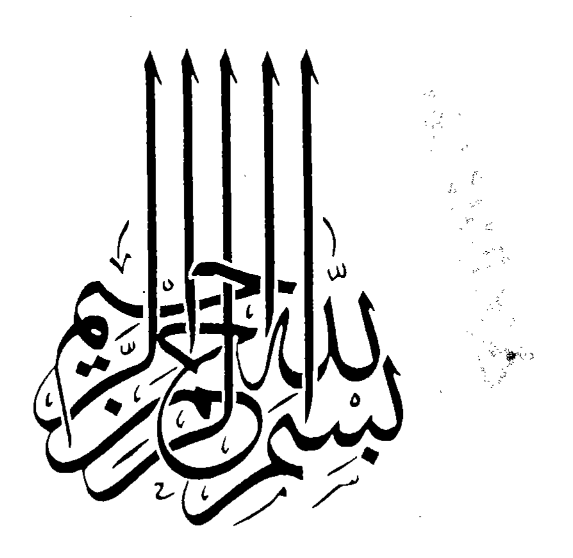
التثقيف الإيماني

إعداد
أ.د. عبدالرحمن بن زيد الزنيدي
أستاذ الثقافة الإسلامية بكلية الشريعة
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية




بسم الله الرحمن الرحيم

التَّثْقِيفُ الإِيمَانِي

ح دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، ١٤٢٩هـ

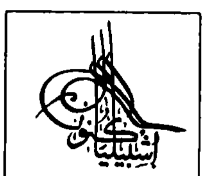
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الزنيدي، عبدالرحمن بن زيد
التثقيف الإيماني؛ عبدالرحمن بن زيد الزنيدي
الرياض؛ ١٤٢٩هـ
ص٣٣٤؛ ١٧×٢٤ سم
ردمك: ٠-٤٠-٨٠٠١-٦٠٣-٩٧٨
١- الوعظ والإرشاد أ- العنوان
ديوي ٢١٣ ١٤٢٩/٣١٨٠

رقم الإيداع: ١٤٢٩/٣١٨٠
ردمك: ٠-٤٠-٨٠٠١-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الأولى

١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م



دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية ص.ب ٢٧٢٦١ الرياض ١١٤١٧
هاتف: ٤٧٤٢٤٥٨- ٤٧٧٣٩٥٩ - ٤٧٩٤٣٥٤ فاكس: ٤٧٨٧١٤٠
E-mail: eshbelia@hotmail.com



تقديم

الحمد لله الكريم الرحيم، العزيز الحكيم، وصلوات الله وسلامه على نبي الرحمة محمد بن عبد الله وعلى آله وصحابته وبعد:

فإن من نعمة الله على المسلم أن جميع جوانب الحياة التي يتعاطى معها فكراً أو شعوراً أو سلوكاً ذات ارتباط إيماني تعبدي سواء كانت أداء أو تركاً وهو ما يجعلها تحقق للمسلم وهو يتعاطاها إذا استحضر نية التعبد فيها – روحانية عذبة، وسكينة واثقة، وشعوراً بالصلة المؤنسة بالله ﷻ.

لا ريب أن تحقيق هذه المكاسب يحتاج من المسلم تفقهاً في دينه، وعلماً بوجوه هذا الارتباط الإيماني لهذه الجوانب.

هذا الكتاب الذي بين يديك يشتمل على مسائل منوعة مما يعيشه الناس في حياتهم اليومية، هدف تناولها التنبيه إلى الفقه الشرعي فيها، والتذكير بالروابط الإيمانية لها.

يجمعها أنها في المجال الثقافي؛ في العقيدة والعبادة والفكر وشؤون الاجتماع البشري، وأنها تعالج هذه المسائل من الزاوية الإيمانية؛ تأملا في كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، وصلة بالخالق سبحانه، وربطا بين دنيا الإنسان التي يعيشها، وآخرته التي سيؤول إليها حتما، من هنا جاءت تسميتها بـ«التثقيف الإيماني».

هي في أصلها أحاديث سجلتها في إذاعة البرنامج العام من الرياض، وإذاعة القرآن الكريم في المملكة العربية السعودية ما بين عامي ١٤٠٩هـ و١٤١٢هـ، هذا ما تيسر لي منها سوى ما ضاع...

ولأنهـا موجهـة للجمهـور فقـد جـاءت ميـسرة اللغـة والأفكـار، وعظيـة الأسلوب.

ولم أشأ أن أعيد صياغتها لتحويلها من خطاب إلقائي مباشر مع الناس إلى مكتوب يتدبر فكرياً بسعة، إيثاراً لإبقاء حيويتها ولشعوري بالحاجة إلى الخطاب المباشر في هذا الزمن الذي لا تتيح دوامة الحياة للناس فيه تلبثاً تأملياً في الأفكار.

تضمنت نقولات من بعض العلماء ومقولات الصالحين لم استطع بعد هذه المدة توثيقها لمراجعها، لكن غالباً ما يشار إلى المنقول أو ينص عليه أو يذكر اسم المنقول عنه.

بعضها مما طلب مني كثير من الإخوة صورا منه لخطبة جمعة أو الارتفاق به في وعظ وقد نشر بعضهم شيئا منها باسمه، إما كما هي أو متصرفاً فيها من قبله ولا ضير في ذلك، فكما استفدت من غيري في نقولاتي يستفيد مني غيري وهي معرفة عامة ومذاعة أصلا.

أسال الله أن ينفع بها كاتبها وقارئها، وأن يكتب بها الأجر فهو الكريم المنان الرحيم الرحمن.

وصلى الله وسلم على عبد ه ورسوله محمد وعلى آله وصحبه...

الرياض في ١٤٢٩/١/١هـ

* * * * *

المسائل الإيمانية العامة

وتشتمل على ما يلي:

* النور.
* المادة والروح.
* الرجاء الصحيح.
* الخوف المطلوب شرعاً.
* المغفرة.
* أمل المؤمن.
* لحظات التأمل.
* صبغة الله.
* حدود الله.
* نوافل العبادات.
* الأسوة المثلى.
* الشريعة بين الالتزام والإلزام.
* التوظيف الإسلامي لطبائع الإنسان.





النـــور

الحمد لله الكريم الوهاب، الرحيم التواب والصلاة والسلام على نبينا محمد التواب الأواب وعلى الآل والأصحاب. أما بعد:

فإن الله تعالى وتقدس في ملكوته هو نور السماوات والأرض الذي أشرقت بنور وجهه الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة والإنسان الذي لم يستضيء بهذا النور العظيم الذي يغمر الكون من حوله فإنه والعياذ بالله أعمى مطموس البصيرة بسبب كفره وإلحاده وغفلته عن الله.

إن المؤمن بالله يرى حقائق الوجود من حوله في وضعها الصحيح لأنه يستضيء بنور الله، يرى مخلوقات الله من حوله جمادات ونباتات وحيوانات مسخرة له من ربه لا تملك لنفسها نفعاً ولا ضراً إلا بإذن الله ويدرك موقعه الصحيح في هذا الكون بصفته عبد الله وسيداً على ما تحته من مخلوقات مسخرة له.

يعلم أن لله جنداً من الملائكة والجن وغيرهم وأنهم جميعاً عبيد خاضعون لسطوة الله وقبضته فيتعالى بإيمانه وعبوديته لله فوق هذه المخلوقات كلها ليتصل ببارئه وبارئها ومفيض نوره عليه وعليها ليستمد من هذا النور ما يشرق به قلبه وتفيض به سعادته.

﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [النور: ٣٥].

إن القرآن الكريم الذي تنزل على رسولنا محمد ﷺ نور من الله يهدي الناس في ظلمات الحيرة والضلال هكذا وصفه منزله بقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَـٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَـٰنُ وَلَـٰكِن جَعَلْنَـٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشُّورى: ٥٢].

وسنة المصطفى ﷺ هي نور أيضاً جاءت شارحة للقرآن مبينة لمراد الله فيه مكملة للدين في مبادئه وتشريعاته؛ ولهذا كانت لها منزلتها السامية في الإسلام، فهي حجة على الخلق لا يجوز للمسلم أن يرفضها ولا يكفيه أن يقول حسبي القرآن يقول سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦].

ويقول تعالى مبيناً أن السنة نور يستضاء بها مع كتابه المنزل لتحقيق حياة سعيدة ومنقلب آمن يوم القيامة – يقول جل وعز: ﴿يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَـٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَـٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٥ – ١٦].

فهذان النوران أيها الأخ المسلم بهما وحدهما تستطيع أن تعرف الحق من الباطل والهدى من الضلال بتعاليمهما تعلم ما ينفعك في دنياك وآخرتك فتفعله راجياً ثوابه، وتعلم ما يضرك في دينك وحياتك فتتجنبه خوفاً من آثاره، أما غير المسلم

المهتدي بوحي ربه وسنة نبيه فإنه مهما بلغ من العلم وطوف في الأرض ووضع من الأنظمة وأنجز من وسائل الرفاهية والتنعم والراحة، على الرغم من ذلك كله يعيش في دياجير الظلام ويتخبط تخبط الضرير في مكان جديد عليه ويسعى في حتف نفسه وهو يتصور أنه يبحث عن سعادتها ولهذا فإن حياته ظلام حالك بل هي في الحقيقة موت وضياع، ألم تسمع أخي قول الله تعالى في سورة الأنعام: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام: ١٢٢].

وهذا النور الذي تستمده من صلتك بالكتاب والسنة وحملك لهما لا يقف عند إشراق المعرفة في عقلك والإيمان في نفسك وحياتك إنه يتواصل معك في يوم أنت أحوج ما تكون إلى النور الهادي فيه نور الأمان ومعرفة مواقع القدم يوم يضطرب الكفار والمنافقون في الظلمة ويتراكضون بحثاً عن النور الذي يسعى بين أيدي المؤمنين وحولهم.

يقول سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [التَّحريم: ٨].

فما أحوجنا أيها الإخوة إلى نور الله ونور كتابه ونور سنة رسوله ﷺ لتستقيم حياتنا وتنجح مساعينا فلنأخذ من أنوارهما بما نستطيع ولنجعل ذلك ميدان التنافس ولنرفع أيدينا نستمد النور من نور السماوات والأرض.

روى الشيخان عن ابن عباس رضي الله عنه أن الرسول صلى الله عليه وسلم يقول: (اللهم اجعل في قلبي نوراً وفي بصري نوراً وفي سمعي نوراً وعن يميني نوراً وعن يساري نوراً وفوقي نوراً وتحتي نوراً وأمامي نوراً وخلفي نوراً واجعل لي نوراً)[1].

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

* * * * *

(١) البخاري في «الدعوات»، ومسلم في «صلاة المسافرين».



المادة والروح

الحمد لله ملء السماوات والأرض وملء ما شاء ربنا من شيء بعد هو أهل الثناء والمجد ومستحق الشكر والحمد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع ولا راد لما قضى ولا ينفع ذا الجد منه الجد، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله أحسن الله خلقه، وعظم خلقه، وطهر بيته، وأكرم أمته، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

إن من أعظم ميزات الشعائر التعبدية صلاة وصياماً وحجاً وعمرة ونحوها ما تفعله بالروح الشاردة الذابلة التي غالباً ما يكون قد ذهب بهاؤها تحت وطأة الشهوات واللذات فتأتي هذه العبادات لتنعش هذه الروح الإنسانية، وترتفع باهتماماتها حتى تكون قبضتها قوية على الجانب الحيواني من الإنسان، حينما تدع هذه الروح شهوة الجسم، وطعامه وشرابه، ابتغاء ما عند الله، وحينما تسخر هذا الجسم ليسير في مرضاة الله.

فهل يشعر المسلم المتعبد المصلي والصائم مؤدي الفرائض والنوافل أن روحه قد انعتقت من هيمنة المادة وحطام الدنيا الفاني، وأنه مع ازدياد تعبده لربه يزيد تسامياً نحو الطهر الإنساني والتحرر من أسر الشهوات والتحكم الإيماني في مطالب عنصره الحيواني؟

أيها المسلم الكريم:

إن مولاك الذي برأك وأوجدك من العدم، لم يخلقك عبثاً، ولم يتركك سدى، إنه خلقك لغاية عظيمة تؤديها في حياتك القصيرة التي تعبر بها حياتك الدنيا، وقد أمدك سبحانه بما يؤهلك للقيام بهذه المهمة ليقيم بذلك عليك الحجة فلا مناص لك الآن سوى أن تقوم بأمر خالقك في هذه الحياة ولا بد لك بدءاً أن تعرف حقيقة نفسك، وحكمة وجودك، ومنهج قيامك بما أراده منك خالقك، حتى لا تظل في حياتك تائهاً، ثم تُفجع يوم القيامة حين تجد أنك رغم ما تمتعت به في دنياك من إمكانات وثراء وذكاء من الذين خسروا أنفسهم وذهبت جهودهم في حياتهم الدنيا هباءً منثوراً.

إن ربك سبحانه حين شاء أن يجعلك خليفة في الأرض خلقك من طين هذه الأرض وهو جانبك المادي، ثم نفخ فيك من روحه وهذا هو جانبك الروحي، فأصبحت كائناً تمتزج فيه المادة بالروح، المادة فيك لها مطالبها، أكلاً وشرباً ونكاحاً وسكناً ولباساً ونحو ذلك، والروح فيك لها مطالبها المتعلقة بالذي نفخها فيك سبحانه، معرفةً به وصلة به، وعبودية له، وقياماً بكتابه وهديه الذي بعث به رسوله ﷺ.

هذه حقيقتك أيها الإنسان، وأنت دائر بين هذين الجانبين كل منهما يجذبك إلى ناحية ويحاول أن يغلب فيك الجانب الآخر.

ولهذا رأينا البشرية التائهة التي لم تشرق نفوسها بهدى الله، قد أساءت إلى نفسها ولم يتحقق العدل بين جانبيها المادي الحيواني والروحي الملائكي.

فبعضهم غلا في جانب الروح وابتدع رهبانية تهمل الجسم وتحارب كل ما في الحياة الدنيا من متاع وخيرات وبعضهم غلا في الجانب المادي الحيواني فجعل رفاهية الجسم ومطالب البطن والفرج، وأنماط المراكب والمساكن وموضات الملابس والأثاث، هي همه الوحيد؛ إليها يسعى؛ وبها يفاخر؛ وأهمل روحه ومطالبها حتى ذبلت كزهرة جفت عروقها.

وفي كلا الحالين فإن الإنسان هو الضحية حيث يفلس من السعادة التي ينشدها من سعيه وراء أحد هذين الجانبين فيحيا شقياً ويموت خاسراً.

أما أنت أيها المسلم فإن بين يديك الهدى والنور الذي يحفظ توازن جانبيك المادي والروحي دون طغيان لأحدهما على الآخر.

فالله يوجهك ممتناً عليك بنعمه لتحقيق مطالب جانبك المادي بالقسطاس المستقيم: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٢]، ﴿يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ۝ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَـٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣١ - ٣٢]، ﴿فَٱلْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧].

كما يوجهك إلى ذكر الله والصلة به وعبادته: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢]، ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا

لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴾ [البقرة: ٤٥]، ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾ [الحجر: ٩٩]، ﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾ [الكهف: ٤٦].

وشرع سبحانه العبادات لتحقيق هذا الأمر العظيم وإعطاء الروح والجسم حقوقهما ومن ذلك الصيام، انظر في آثاره ستجد أنواعاً من الفوائد الصحية الجسمية التي يذكرها المهتمون بهذا الشأن ويدركها المتأملون لها، وستجد من جهة أخرى ما يحققه للعبد من صلة بالله وارتباط بالآخرة وإقبال على الأعمال الصالحة.

وإذا نظرنا يا أخي إلى واقع المسلمين اليوم فسيهولنا الاختلاف الذي حصل في حياة الكثير منهم بين جانبي الروح والمادة، الدنيا والآخرة.

لقد استرسل الكثير مع الشهوات والملذات وأسرفوا في اقتناص متع الحياة وركنوا إلى الأسباب المادية، وتصوروا أن الازدهار المادي هو الغاية التي ما بعدها غاية وصار مبلغ علمهم وأكبر همهم جمع حطام الدنيا ووقف المعرفة والحركة عليها، ولأن حضارة الغرب القائمة تمثل صورة الإفراط في المادية، وتسخير كل المواهب والإمكانات لتحقيق التفوق في الجانب الحيواني المادي من الإنسان، فقد أصبحت هذه الحضارة للأسف قبلة لبعض المسلمين ونموذجاً يحتذى وصار الإعجاب والإكبار منصباً على ما تحققه من كشوفات في دائرة المادة ولو كان ذلك على حساب الروح.

ولا ريب أن هذه الحال هي التي أدت بكثير من الناس إلى الركون للحياة الدنيا وقصر الهم على الاستمتاع بها وكأنها لديهم هي دار القرار التي ليس بعدها دار، بل أدى هذا بهؤلاء إلى كراهية ذكر الموت وما بعده ونسيان الآخرة وقسوة القلوب عند قراءة القرآن وضعف الشعور بالرضى والحلاوة عند ممارسة العبادات وكل ذلك بسبب طغيان الجانب الحيواني على جانبهم الروحي الإيماني...

إنك أخي إنسان؛ بروحك لا بمجرد تركيبك الجسمي المادي، ولا تتكامل إنسانيتك إلا بالإيمان بالله والدار الآخرة وتعليق همك وهمتك بها، أو ما سمعت قول بارئك سبحانه: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [التِّين: ٤ – ٦].

إن هناك مسلمين كثر تعرض لهم فترات يشعر فيها الواحد منهم، بأن حياته تافهة وبأن شخصيته لا قيمة لها، ويجد أنه رغم الوفرة المادية لديه، ورغم الطموحات الكبيرة التي يخطط لها في حياته، يجد نفسه كأنها مأسورة في قفص أو كأنه كسير موثق بسريره.

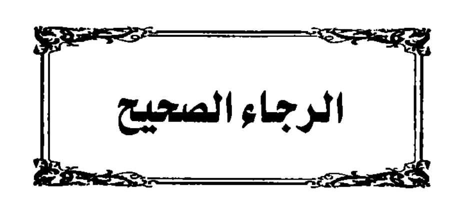
وكل هذه المشاعر سببها أن هذا الشخص جعل دنياه هي همه الأكبر، وجعل جهده وطموحه محصوراً بها، والدنيا مهما عظمت محدودة قصيرة، ولذاتها تفقد طعمها سريعاً، روى الترمذي وأحمد وغيرهم أن رسول الله ﷺ قال: (**من كانت الدنيا همه فرق الله عليه أمره، وجعل فقره بين عينيه، ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له، ومن**

كانت الآخرة همه، جمع الله له أمره، وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة)[1].

فاحذر أخي كيد الشيطان الذي يتسلح عليك بأهوائك الجسدية كي يوثقك بحباله، ويبعد بك عن آيات ربك وذكره، فيتبلد حسك، وتنقاد للنفس الأمارة وللهوى فتهلك كما هلك ذلك الذي ذكر الله قصته للعظة والاعتبار ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٥ – ١٧٦].

* * * * *

(١) في مسند أحمد المحقق بإشراف شعيب الأرناؤوط طبع مؤسسة الرسالة، قال محققو المسند: إسناده صحيح (٤٦٧/٣٥)، وقال محقق جامع الأصول في أحاديث الرسول لابن الأثير – قال المحقق عبد القادر الأرناؤوط عن رواية الترمذي: إسنادها ضعيف (١١/١١).



الرجاء الصحيح

الحمد لله والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وعلى آله وصحبه، وبعد:

فإن أكثر المسلمين اليوم لا يجهلون ولله الحمد، أن الله ﷻ، خلقهم لعبادته، وأن عبادته تتمثل في توحيده، وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، والوفاء بسائر أركان الإسلام وشعائر الدين.

ولا يخفى عليهم كذلك، أن الله وعدهم إن وفوا بما طلب منهم رضواناً وجناناً، وأنه توعدهم إن تنكبوا منهجه غضباً ونيراناً.

ولكن رغم هذه المعرفة فإن النقص والتقصير يعتور سائر حياتهم، ويسم جوانب حركتهم، فالإيمان ضعيف، والأعمال تؤدى إذا أديت بكسل وتكلف والسير إلى الله ليس على ما يرام.

ولذلك أسباب كثيرة، لعل من أبرزها، ضعف الخوف والرجاء والحب، في حياة هؤلاء المسلمين، لأن هذه العبادات الثلاث، تمثل قوى دافعةً للمؤمن نحو ربه، آخذةً به في سبيل الله.

وقلب المؤمن كما يقول ابن القيم طائر إلى الله، فرأسه الحب، وجناحاه الخوف والرجاء، فما بالك بطير وهى جناحاه، أو تمايل رأسه.

والرجاء هو موضوع هذا الحديث وهو ثقة بجود الله، وتطلع لبره وإحسانه، وتعلق برحمته وفضله، وهو صفة إيمانية، مدح الله بها عباده المتقين، في مثل قوله تبارك: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [البقرة: ٢١٨].

وقال عنهم سبحانه: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

وأمر بها سبحانه وأمر بها رسوله ﷺ فقد قال ﷺ: **(لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله)**[1]، وقال ﷺ فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى: **(أنا عند ظن عبدي بي)**[2]، والصفة المضادة للرجاء هي اليأس والقنوط وسوء الظن بالله، والعياذ بالله، ولهذا حذر المولى عباده المؤمنين أن يداخلهم شيء من ذلك وبين أن تلك صفات الكافرين، البعداء عن رحمة الله وفضله، الجاهلين بواسع جوده وبره.

قال سبحانه: ﴿يَٰبَنِىَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧]، وقال تبارك وتعالى: ﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ [الحجر: ٥٦].

ولهذا كان لزاماً على المسلم الحق أن يكون راجياً ربه، واثقاً ببره وكرمه، ولِمَ لا يكون كذلك، وأسباب الرجاء وجواذبه محيطة بالعبد، تغمر حياته، ولهذا كان الأولى بالمسلم ليقوى رجاؤه أن يذكر دائماً هذه الأسباب ويعي دلالاتها، فيذكر سوابق فضل الله عليه في إيجاده من العدم، وإمداده بأسباب البقاء والنماء بعد وجوده، وإنعامه عليه بالرزق والعافية والتوفيق للطاعة، ويستحضر ما وعد به سبحانه من جزيل الثواب وكريم العطاء وسعة رحمته

---

(١) رواه مسلم في «صفة الجنة».

(٢) رواه البخاري في «مواقيت الصلاة».

التي لم يضق عنها شيء، وما ادخر منها سبحانه لعباده غداً، وأنها سابقة لغضبه سبحانه، كذلك فإن التعاهد للنصوص الكريمة الواردة في هذا الشأن وتدبرها يقوى الرجاء في قلب المؤمن.

وللرجاء غايات عظيمة في حياة العبد، العاجلة والآجلة من أبرزها غفران الذنوب التي يقع فيها الإنسان، جهلاً بمقام ربه وإتباعاً لشهوة عاصفة، فإذا ما رجع إلى ربه، وباء بذنبه، وبنعمة الله عليه، كان رجاؤه بالله وسيلة لطلب المغفرة، والتجاوز عن السيئات.

ومن أهدافه كذلك إصلاح العيوب، وإكمال النقص، وقبول الأعمال ورفعها، والاستقامة على منهج الحق، وبلوغ المنزلة العلية، والمقام الأمين، برحمة الله وفضله.

فالمؤمن حينما يدعو ربه الجنة والنعيم المقيم، ويرجوه الفردوس والنظر إلى وجهه الكريم، ويأمل أن يحشر مع الذين أنعم الله عليهم، إنما يستند على رجاء عريض بالله، وبجوده وكرمه، لأنه يعلم أن عمله مهما بلغ لن يدخله الجنة، ولكنه سبب يسعى به العبد نحو ربه، فقد قال ﷺ: **(اعملوا واعلموا أنه لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله، قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا إلا يتغمدني الله برحمته)**[1].

وعلى هذا فالمؤمن في كل أحواله راج لربه متطلع لجوده وبره، إن عصى وقصر وإن عمل صالحاً وفعل خيراً.

---

(١) رواه البخاري في «الرقاق»، ومسلم في «المنافقين».

هذا هو الرجاء الصحيح في الإسلام، الذي مدح الله به عباده المتقين، أما ذلك الأمل العريض والأماني الحالمة لدى بعض الناس الذي ينتهي بأصحابه إلى التهالك في المعاصي، وإهمال الطاعات، والتساهل بأمر الله، ونسيان حقوقه، بحجة رجائهم رحمة الله، حتى قال قائلهم.

فكثر ما استطعت من الخطايا ❖ إذا كان القدوم على كريم

إن هذا ليس من الرجاء، الذي أثنى الله على عباده به، وأمرهم به، لهذا كانت الصفة المقارنة للرجاء هي الخوف، أما رجاء الذين أمنوا مكر الله، ولم يخشوا بأسه، فإنها أماني المفلسين، وأطماع الكسالى النائمين، ولهذا ورد في الحديث: «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأماني»[1].

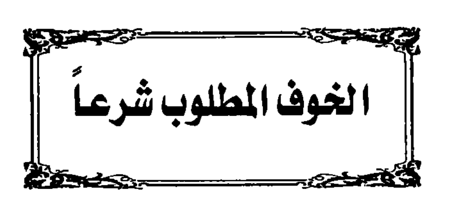
وختاماً يقول المولى فاتحاً أبواب جوده، وداعياً عباده إليها: ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِنَا فَقُلْ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَـٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنعام: ٥٤].

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

* * * * *

---

(١) رواه الترمذي في «صفة القيامة»، ورواه أحمد وابن ماجة، قال عنه الترمذي: «حسن»، جامع الأصول (١١/ ١٣).



الخوف المطلوب شرعاً

الحمد لله الواحد الأحد، والصلاة والسلام على عبده ورسوله محمد، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه، وبعد:

فإن من أنواع العبادة التي لا ينبغي صرفها لغير المولى جل جلاله، الخوف الذي قال فيه المولى سبحانه: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥]، والخوف مع الرجاء الذي قرنه الله بالخوف في القرآن الكريم، من صفات عباد الله الصالحين الذين أثنى عليهم المولى في كتابه في مواضع عدة، ﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء: ٥٧]، وقال سبحانه عنهم: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [السجدة: ١٦].

لهذا أمر الله سبحانه المؤمنين بأن يجردوا عبادة الخوف له سبحانه، كما سبق في الآية الكريمة، ووعدهم الفضل بخوفهم، في قوله سبحانه: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرَّحمن: ٤٦].

والخوف هو تألم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه، وهو كما يقول ابن القيم رحمه الله اضطراب القلب وحركته من تذكر المخوف، ولا بد أن يثمر هذا الخوف مسارعة إلى الطاعة وكفاً عن المحرمات واتقاء للشبهات.

ومن هنا نعلم أن الخوف المطلوب شرعاً من المؤمنين ليس هو تلك الرقة العاطفية الوقتية، التي تحدث لبعض الناس، عند سماع آية كريمة، أو موعظة مؤثرة، أو شهود حادث من أحداث الحياة الأليمة، ثم تعود هذه النفس المنفعلة فوراً، إلى غفلتها وبعدها عن الله وعدم الارتداع إلى أوامره ونواهيه، وحتى يتحقق المسلم بهذه العبادة العظيمة، لابد له من الأخذ بأسبابها، الجالبة لها لتنمو في نفسه، وتؤثر في حياته.

ومن أبرز تلك الأسباب أن يتأمل العبد في صفات الجلال لرب العزة والجلال، كالجبروت والعزة، والانتقام، وكالقهر، وإطلاعه سبحانه على ما ظهر وبطن، وإحصائه كل ما يفعله الإنسان في سره وجهره.

وكذلك النظر في مصنوعات الله سبحانه، سواء في ذلك الكون، من سماوات وأرض ومخلوقات، أو في الإنسان نفسه، لأن في النظر الواعي فيها ما يعود بالمؤمن إلى ربه، ويرى آثار قدرته وعدله في خلقه ولهذا أخبر سبحانه عن عباده المؤمنين، أولى الألباب، أن قلوبهم تخشع إذا تفكروا في خلقه، وتوجل مما أمامها، يقول سبحانه: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩٠ – ١٩١].

ومن أسباب قيام الخوف في قلب المؤمن، ذكر الذنوب السالفة، والأفعال المشينة، التي استدرجه إليها الشيطان، وأغرته بها الدنيا الغرارة، وحدته إلى مقارفتها النفس الأمارة بالسوء، يتذكر هذه الأوزار، التي ذهبت لذاتها، وبقيت تبعاتها، فينوء بها ظهره، ويرهب من مقام ربه، فيمتثل في وجل وخشية، بمثل مناجاة بعض العباد الصالحين:

أسـير الخطايـا عنـد بابـك واقـف ❖ علـى وجـل مما بـه أنـت عـارف

يخاف ذنوباً لم يغب عنك غيبها ❖ ويرجوك فيها فهو راج وخائف

ومن أسبابه كذلك، تذكر يوم نهايته من هذه الحياة، ومفاجأة الموت له، في وقت لا يدري ما حاله فيه، وبما يختم له في تلك الساعة، لأنه يعلم من دينه، أن الأعمال بالخواتيم، وأن من ختم له بخاتمة السعادة سعد، وإن سلف في حياته السابقة ظلم وتقصير وأن من ختم له بالشقاء شقى وإن سلف له في الخير عمل فيخفق قلبه بالخوف، الذي يحميه من الغفلة التي تفسد قلبه وتخرب دينه.

وكذلك استحضاره الحياة البرزخية وما فيها من مساءلة ونعيم أو عذاب، وما بعد البرزخ من نشر وحشر وعرض ووزن أعمال وحساب وصراط وجنة ونار.

ومن أعظم الأسباب لمن فتح الله للحق قلبه، قراءة النصوص الواردة في هذا من آيات وأحاديث وتدبر معانيها والتجاوب معها، كقوله سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ﴾ [المعارج: ٢٧]، وقوله: ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩]. وقول الرسول ﷺ: **(إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها)**[١].

---

(١) رواه البخاري في «الأقدار»، ومسلم في «الإيمان».

وينبغي أن نعلم هنا والحديث عن الخوف المطلوب شرعاً، أنه كما أن الخوف الانفعالي الوقتي قاصر، فإن الخوف إذا تجاوز حده، فأصبح يأساً من روح الله، وقنوطاً من رحمته وانقطاع رجاء بفضله، يكون إفراطاً خارجاً عن حدود الشرع، وهو جهل بالله، وسوء ظن به سبحانه، وتتجلى أهمية اقتران الرجاء بالخوف، في قلب العبد المسلم، بحيث لا ينفرد أحدهما بالعبد حتى يفقد الآخر فالعبد يذكر تقصيره فيخاف، ويذكر سعة عفو الله فيرجو، ويذكر هول الموقف غداً فيوجل ولكنه يعلم عظيم رحمة الله فيطمع، وإذا تأمل نعم الله عليه بخلقه ورزقه وتوفيقه للهداية والإسلام، قوي رجاؤه في دوام نعمة الله عليه، ولكنه يعلم أن الله طلب منه لحصول ذلك برحمته، طاعةً وعملاً، وأنه مقصر في ذلك فيخاف من الانتكاس بعد الاستقامة، ومن العمى بعد البصيرة.

لهذا قال بعض العلماء، من عبد الله بالخوف وحده فهو حروري، ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجئ، ومن عبده بالحب وحده فهو زنديق[1]، ومن عبده بالخوف والرجاء والحب فهو الصدِّيق.

---

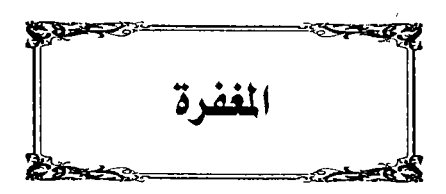
(١) المقصود بحروري هنا أنه يقف مع نصوص الوعيد لدرجة التكفير بالذنب، وهو رأى الخوارج الذين منهم الحرورية، أما المرجئ فهو المقابل للرأي السابق وهو الذي يجعل مجرد الإيمان العقد أو معه اللساني كافياً في بلوغ الدرجات العلى من الجنة دون اعتبار الأعمال.
أما الزنديق فيقصد به – هنا – الذي يرى أن المطلوب من العباد هو استغراقهم في الحب الإلهي في صورة عشق وهيام يذهل به الإنسان عما حوله وأنه في تلك الحالة تسقط عنه مطالب الشريعة في العبادات وغيرها.

وهكذا يسير المؤمن في حياته، فإذا ما جاءت ساعة الخروج من هذا العالم، إلى العالم الآخر فينبغي أن يتعاظم رجاؤه، حتى يغلب خوفَه لأن الرجاء مناطه فضل الله ورحمته، وهي باقية والخوف مناطه عمله وهو موشك على الانقطاع.

نسأل الله التوفيق والهداية وحسن الختام.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

* * * * *



المغفرة

الحمد لله غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير أسأله المزيد من فضله وكرمه، وأشكره على وافر نعمه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، هو يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون.

وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله إمام العابدين، وسيد المستغفرين التائبين، عليه من ربه أتم الصلاة والتسليم وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإن الله ﷻ حينما خلق الإنسان، وأناط به حمل الأمانة التي عجزت عن حملها السماوات والأرض كان في علمه سبحانه أن هذا الإنسان معرض للجهل والظلم، والعجلة والتجاوز، بحكم ملابسته للمادة الناقصة الضعيفة، كما قال سبحانه في أواخر سورة الأحزاب: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢].

وكان هذا التقدير في حكمة الحكيم سبحانه حتى تظهر صفات الرحمة والغفران، متمثلة بآثارها على العباد المقصرين الآيبين، رحمة ربهم وغفراناً لذنوبهم، وتكفيراً لسيئاتهم، ولهذا روى مسلم وغيره أنه ﷺ قال: (**والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم، ولجاء بآخرين يذنبون فيستغفرون فيغفر الله لهم**)[1].

---

(١) رواه الترمذي في «صفة الجنة»، وابن ماجة في «الصيام»، قال محقق جامع الأصول: حسن بشواهده (١١/ ١٣).

كما تظهر صفات الجود والكرم، والغنى والفضل للمولى الكريم، تظهر في قلوب العباد الراجعين حينما يشعرون بفقرهم وضعفهم فيرفعون أيديهم بالدعاء إلى الله، ولهذا قال سبحانه: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

الإنسان بجهله وبظلمه يتعرض دائماً للوقوع في المعاصي ومقارفة الذنوب والذنوب تسوق إلى بعضها والسيئة تجر السيئة خلفها، ولكن المؤمن التقي، لأنه عالم بسعة رحمة ربه ولأنه وثيق الصلة بخالقه ولأنه يعلم شؤم المعصية، سريع الأوبة من ذنبه، يبادر بالرجوع إلى ربه فور ما يقع في المعصية، كما قال جل وعلا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١]، فكأن هذه المعصية عثرة عثرها وهو سائر إلى الله، فهو ينهض منها سريعاً مواصلاً سيره إلى ربه.

ولكن بعض الناس إذا سقط في هوة معصية تثاقل في الخروج منها فساقت غيرها من المعاصي إليه فما يلبث أن تستحوذ عليه الشياطين وتمده في الغي، وهنا يبدأ قلبه يألف ظلمة المعصية وتنحسر شيئاً فشيئاً أنوار الطاعة وقد ينسى ربه ويضل سادراً في غيه، سامداً في لهوه مقصراً في حق مولاه، حتى تصل به الحال إلى أن لا يبقى له خيط يربطه بدينه، إلا صلوات خاوية، لا روح فيها وبعض الشعائر التي يؤديها باستثقال وتكاسل، حتى يسودَّ قلبه، ويتحكم فيه هواه، كما ورد في حديث مسلم عن القلب الذي يتقبل الفتن حينما تعرض عليه كالحصير عوداً عوداً[1].

---

(١) في الحديث الذي رواه مسلم في «الإيمان».

ولكن مثل هؤلاء المسرفين على أنفسهم، هل تودع منهم؟ وما عاد يرجى منهم أوبة أبداً، كلا إن رحمة مولاهم لن تضرب عنهم صفحاً أن كانوا قوماً مسرفين، وقد جعل سبحانه لهؤلاء وغيرهم مواسم خير حافلة، يفتح الله فيها على العباد من أنواره ما يزيل طبقات الظلم والظلام المتراكب عليهم، كما في موسم الحج وعشر ذي الحجة ورمضان وليلة القدر وآخر ساعة من يوم الجمعة وغيرها.

فحتى ينتفع المسلم المقصر من هذه المواسم لا بد أن يطهر نفسه من شؤم المعصية وقذرها حتى تكون محلاً لنزول النور وغشيان الرحمة من الله.

إن التوبة يا عباد الله ليست كلمة يلهج بها اللسان والقلب ساهٍ لاهٍ، وليست عاطفة وقتية ينفعل بها الإنسان ما دام يسمع الموعظة أو وهو في المسجد ثم تبرد بعد دقائق كأن شيئاً لم يكن، وليست مجاملة لظرف معين كشهر رمضان أو خلال حج أو عمرة، ثم يتنكبها فور انتهائه، كلا أيها الأخوة المؤمنون، إن التوبة التي ندب الله عباده إليها وجعلها وسيلة غفران الذنوب، وقبول العبد في رضوانه، هي إقبال صادق على الله، وتنكب لطريق الضلال والمعاصي، وندم على ما سلف من تقصير وذنوب، ومقت شديد لحاله السابقة التي كان فيها بعيداً عن الله حتى يكون كرهه للعود إلى تلك الحال ككراهية أن يُقذف في جحيم يتلظى.

إن أساس التوبة النصوح التي أمر الله بها هو شعور المرء بعظمة خالقه الذي عصاه وشعوره بإطلاعه عليه وشعوره مع ذلك، بأن الله قريب، رحيم به، لن يردَّه إذا آب إليه بعد هذا الشرود يقول سبحانه: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٣٥].

والتوبة الصادقة أيضاً ليست ندماً واعترافاً بالخطأ أمام النفس، وفي مناجاة الله وحسب، إن هذه التوبة تعني تحولاً في حياة العبد التائب، في مشاعره، وفي نظام حياته، وفي علاقاته بالآخرين، وفي صلته بربه من باب أولى، إن التوبة إيمان حي يبعث العبد على العمل والإحسان ولهذا فإن المولى سبحانه حينما يذكر الراجعين إليه لا يصفهم بالتوبة وحدها بل يضم لها العمل والالتزام والإخلاص، ونحوها من الأعمال التي تحوط التوبة وتزكيها وتحفظها من الإنخرام يقول سبحانه: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١٤٦]. ويقول: ﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾ [طه: ٨٢].

إنك إن تفعل هذا أيها الأخ الكريم، تكون قد طرحت نفسك على عتبة الكريم المنان، فلك البشرى بالقبول والرضوان وبالزكاء والسناء فلله أشد فرحاً بتوبة عبده من الذي أضل راحلته التي عليها ماؤه وزاده في أرض فلاة مهلكة ثم وجدها.

يقول سبحانه في الحديث القدسي: **(يا ابن آدم إنك ما رجوتني ودعوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي)**[1].

واسمع ختاماً توجيه المولى الجواد لرسوله محمد ﷺ في استقبال أفواج العصاة، حينما هفت نفوسهم لربهم وأنابوا إليه يقول سبحانه: ﴿وَإِذَا جَآءَكَ

(١) رواه الترمذي في «الدعوات»، وقال: حديث حسن غريب، وصححه ابن حبان، جامع الأصول (٨/ ٤٠).

ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۖ كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَۖ أَنَّهُۥ مَنۡ عَمِلَ مِنكُمۡ سُوٓءَۢا بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [الأنعام: ٥٤].

أسأل الله الرحمن الرحيم، ذا العرش الكريم أن يمن علينا بالتوبة النصوح، والخاتمة الحسنة، ومقعد الصدق الآمن عنده، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

* * * * *



أمل المؤمن

الحمد لله الواحد الأحد الفرد الصمد وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه، وبعد:

فقد بعث الله نبيه محمداً ﷺ هادياً وبشيراً وكانت الدنيا تلفها طبقات من الظُلَم وأسداف من الجاهلية في العقائد والأخلاق والعلاقات تمكنت من نفوس الناس وغطت حياتهم كلها وأصبحت هي الأصل وصار كل ما يخالفها شذوذاً مرفوضاً وابتداعاً محارياً هو ومن جاء به.

وبسبب هذه الوضعية النفسية والاجتماعية لقي الرسول ﷺ حينما بدأ دعوته الإيمانية إنكاراً ورفضاً مطلقاً وزيادة تشبث بالقديم ومناواة للجديد الذي يدعو إليه ﴿وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ﴾ [ص: ٦].

ولكن رسولنا ﷺ وهو المؤيد من ربه لم يقنط من رحمته ولم ييأس من انبلاج النور الذي يبدد ظلمات الجاهلية فظل داعياً آملاً موقناً بوعد الله منتظراً تحققه.

وبدأت الدعوة تنمو شيئاً فشيئاً في قلة من الناس أغلبهم من المستضعفين والأرقاء واشتد المشركون في أذاهم وحربهم القاسية على هؤلاء الأصحاب حتى كاد اليأس أن يتسلل إلى بعض القلوب لشدة ما يلاقون فجاؤا للرسول ﷺ مشتكين من أذى المشركين بعد خشيتهم من الانهيار الحسي أو المعنوي فما كان من الرسول ﷺ إلا أن يبث الأمل في نفوسهم ويبشرهم بانقلاب

الأحوال كما وعد الله عباده حيث يسود الدين الإسلامي ويأمن أهله قال ﷺ لهم: **(والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى هجر لا يخاف إلى الله ولكنكم قوم تستعجلون)**[1].

وقد تحقق موعود الله لنبيه محمد ﷺ ولأصحابه من بعده فاكتسح نور الإسلام ظلمات الجاهلية وهيمنت شريعة الله على الحياة ومكن الله لأوليائه في الأرض.

إن المسلمين اليوم فوق هذا الكوكب الأرضي المتفجر بالويلات والأحداث، المشحون بالأحقاد والحزازات والمؤامرات الكافرة على الإسلام وأهله – إن المسلمين في هذا العالم – بحاجة إلى ذلك الأمل والاستبشار الذي زرعه الرسول ﷺ في قلوب أصحابه فتربوا عليه وانطلقت حركتهم البنائية والجهادية على حدائه يفتحون الأمصار وينشرون الدين ويعلمون الناس.

لا ريب أن الأمة الإسلامية – الآن – تعيش إحباطاً كبيراً وشعوراً بالقهر مؤلماً بسبب المؤامرات الخارجية التي تنكشف عن فظائع وأهوال لا تحتملها العقول وبسبب داخلي أيضاً يتمثل في التخاذل المتبادل والبعد عن شريعة الله ولاءً وتحكيماً.

وأخطر ما يصيب الأمة في مثل هذه الحالة أن يدب اليأس إلى نفوسها وأن تشعر أنها في سبيلها إلى الاندثار وأن تنظر إلى وعود الله بالنصر والتمكين والإعلاء وزهوق الباطل على أنها أحلام خيالية غير متصورة التحقق.

---

(١) رواه البخاري في «فضائل أصحاب النبي ﷺ»، وأبو داوود في «الجهاد»، والنسائي في «الزينة».

إن هذا الوضع أخطر السهام القاتلة لقلب الأمة ومن ثم لم يجعل الله اليأس صفة للمسلم بل صفة للكافر كما قال سبحانه: ﴿يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧]، وقال سبحانه: ﴿قَالَ وَمَن يَقۡنَطُ مِن رَّحۡمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ [الحجر: ٥٦].

أما المسلم فهو آمل متفائل مستبشر حتى وهو في مدلهمات الفتن لأنه يؤمن يقيناً أن هذا الكون في قبضة الله يصرفه كيف يشاء ويوقن أن الله كلفه بما يستطيعه فإذا أدى المسلمون مستطاعهم حتى وإن كان لا يساوي شيئاً في حساب البشر بالنسبة لما يواجههم من قوى فإن الله سبحانه قد ضمن الباقي لعباده وكفى بالله حسيباً وكفيلاً.

فضلاً عن هذا فإن المؤمن يعلم أن هذه الحياة الدنيا ليست نهاية المطاف بل إن الآخرة هي الحياة الحقيقية فآفاق تطلع المسلم بعيدة المدى ومتعددة المجالات وقد وعده ربه بالبشرى في الدنيا وفي الآخرة قال سبحانه: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢-٦٣].

أجل؛ إذ كيف يخاف أولياء الله أو يحزنون وربهم معهم في كل شأن وفي كل عمل كيف يدب اليأس إلى نفوسهم وهم على اتصال بخالقهم يستمدون من قوته وحوله؟.

ما أحوج أمتنا الإسلامية إلى هذه البشرى والأمل، الأمل الذي يدفعها إلى الإنتاج والذي يتجاوز بأصحابه حالات الإحباط والتخاذل إلى حركة

إيجابية يدعم بها مشاريع الدعوة إلى الإسلام ويرفع بها لواء الجهاد ويشد بها أزر العاملين في كل مكان، تعيش به مع المعاني الإيمانية في القرآن الكريم والسنة وهي الحق والصدق ليحميها من تخذيل الواقع المتردي وتيئيس الحيارى التائهين.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

* * * * *



لحظات التأمل

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن النفس البشرية، بفطرتها الأصيلة، تطلب الحق دائماً لأن مما استقر في فطرتها أن الحق هو سبيل السعادة.

ولكن رغم هذا المنطلق المحدد فإن غالب النفوس البشرية تتنكب طريق الحق وتترك سبيل سعادتها بل تعارض الحق وتعانده أحياناً، وتقع بين طريقي الرشد والغواية في النصيب الأدنى حيث ترى سبيل الرشد فلا تتخذه سبيلاً وترى سبيل الغي فتتخذه سبيلاً.

ومن أكبر أسباب هذا الانتكاس في الرؤية هو تشوش تلك النفس وكدرة منظارها للأشياء بسبب المحيط الذي لا يفتأ يقلبها يميناً ويساراً وسفلاً وعلواً حتى يصيبها الدوار ويتمثل هذا المحيط بالعصبيات والحميات الغاوية والأفكار الضالة والخلطة الفاسدة وفتنة الدنيا وسائر محن الحياة.

ومن هنا كان من الخير للنفس البشرية أن تأخذ لذاتها نصيباً من التحرر من هذا المحيط من خلال ساعات تتجه فيها إلى الحقيقة بذاتها فقط في شفافية وصفاء وتتطلع فيها إلى السعادة متجردة من الغواشي والرواسب والمؤثرات، ويراجع فيها صاحبها حسابه في حياته بعيداً عن الضجيج والخلط واللبس والغبش الحاجب للحقيقة.

لذلك وجه سبحانه في كتابه الكريم الكفار حينما رفضوا الحق وعاندوا سبيل الرشد الذي جاءهم به محمد ﷺ وجههم لذلك التحرر كي ينكشف الزيف الذي تحجب به العصبية والحمية الجاهلية والأهواء المجتمعة الحق الناصع.

يقول سبحانه : ﴿ وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُواْ مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَكَذَّبُواْ رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ۝ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾ [سبأ: ٤٥ – ٤٦].

فالمولى سبحانه – في هذه الآية – يأمر رسوله محمداً عليه الصلاة والسلام بأن ينادي قومه الذين دعاهم قبل ذلك إلى اتباعه والأخذ بالحق الذي جاء به والعمل بالدين الذي يحمله فرفضوا اتباعه واتهموه بالجِنّةِ ودعوتهم إلى الضلال ؛ يناديهم – نصيحة صادقة لهم – إلى منهج سديد بسيط صادق يكون نظرهم وتأملهم وحكمهم في ضوئه وهو أن ينفرد كل واحد بنفسه في لحظة صدق معها لينظر في هذا الصفاء إلى الحقيقة أو ينظم الفرد مع صاحبه الصادق الذي يعتبره مثل نفسه فتشف نفساهما معاً في هذا المجال والآية الكريمة وإن كانت موجهة أصلاً إلى الكفار إلا أن مطلوبها أعم من ذلك ، إنها لكل إنسان حتى المسلمين ينبغي أن يقوموا لله مثنى وفرادى ثم يتفكروا في حالهم وفي مدى استقامتهم على الحق وعملهم به وصدقهم في دعوتهم وسلامة حركتهم في الحياة.

ولو أردنا إسقاط مطلوب هذه الآية على أنفسنا في هذا العصر لوجدنا العجب في ذلك ؛ فالساعات تتلاحق والأيام تتابع وكل منشغل في فكره ، وفي حركته ومع الناس ومع وسائل الإعلام ومع شئون الحياة المتنوعة إما أنه منشغل بها متقطع الأنفاس معها مباشرة أو أنه مشتت الذهن وراءها في فترات بعده

الواقعي عنها، حتى في صلاته وعلى طعامه، وتمضي الأسابيع والشهور دون أن يجد الواحد فرصة لساعة تأمل ولحظة عزلة عن هذه الشئون ليستريح فكره أو تصفو نفسه ويرى ذاته في مرآة نفسه، فيقوم وجوده ويخطط أبعاد حركته في حياته وفق الكمال المطلوب.

اذكر أنني قد قرأت لبعض الكتاب وصفاً للغربيين وقد لعبت بهم دوامة الحياة الضائعة فهم مستغرقون في الإنتاج، حتى يأكلهم الملل، فيستغرقون بالهوايات حتى الملل، حيث يلهون أنفسهم بالألعاب فما بعدها وهم في كل ذلك مشغولون مشدودة أعصابهم حتى في فترات الراحة والاستجمام تشعر أن أفكارهم مشغولة وقلوبهم مهمومة.

ألا ترى أن هذا الوصفَ، يكاد ينطبق على كثير منا للأسف، رغم اختلافنا عنهم في أصول كثيرة، تربأ بنا أن نكون العوبةً بيد الدنيا وأهوائها، فنكون كالسفينة بين لجج المحيط، تطفو حيناً، وتغرق حيناً ونهايتها أن تهوي في مكان من المحيط سحيق، لا تحس في أعينهم طعم السكينة والهدوء، ولا في حياتهم لذة الصفاء وقرة العين.

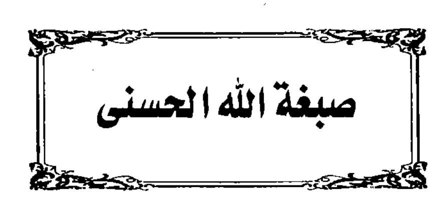
إن ساعات التأمل هي لحظات الصدق مع النفس، وهي فترة حياد مع الأشياء، وهي حالة براءة للنفس مما قد لا تبرأ منه في كثير من أحوالها، ولهذا فهذه الساعات لمن يوفق إليها منارات هدى وأضواء تفيد الإنسان بما لا يحققه سواها، إنها تحقق راحة الفكر، ليستعيد نشاطه، ولتصفو رؤيته، لأن العقل والبصيرة إذا اكتنفتهما الأعراض الكثيفة ولم يستطيعا التفلت منها والحكم عليها من خارجها أصابها العشا.. بل العمى والعياذ بالله.

وتحقق هذه الساعة للإنسان مراقبة نفسه ومراجعة حسابه وتقويم نهجه بما يحقق له ما يهدف إليه دون أن تطغى الوسائل على الأهداف أو تحول العوائق دون المسير كما أن ثمراتها الرشد في إصدار الأحكام، لأنه – في الغالب – ناتج عن الصدق في طلب الحقيقة، ولا يعني ذلك أن هذه اللحظات أو الساعات التي نقول بتحبيذها للإنسان ينبغي أن تطول دائماً حتى يحتسبها الإنسان في جدوله اليومي، كلا إنها قد تقل أحياناً لتكون فلتات من الزمن وإن كانت في قيمتها كبيرة؛ أجل، إن لحظة تأمل من شخص واقف على شفير قبر حبيب يلحد، في نفسه ومصيره وتقصيره قد يكون لها أثر عظيم بعد ذلك في حياته ولقد كان العارفون من أولي النهى والحكمة والعلم يختصون أنفسهم بساعات تأمل، وخلوة مع النفس، وبعد عن الضجيج، لقد كان ابن تيمية، كما ذكر تلميذه ابن القيم، يذهب أحياناً إلى غوطة دمشق فيجلس وحده متأملاً ومن هنا فقد تكون هذه اللحظة النفسية في منتزه أو خلاء أو مسجد أو في البيت، وساعات الليل لا شك أنها أشف وأصفى.

فهل لك أخي القارئ في لحظة نفسية تقطع فيها ارتباطاتك بالمحيط بك، حركة وفكراً وتتأمل فيها نفسك ومصيرك، وماذا قدمت وأخرت، وما موقع ما يحيط بك، في حركة سيرك إلى ربك – علها تكون عاملَ رشدٍ من ضلالة أو زيادةٍ في استقامة.

أسأل الله لي ولكل مسلم التوفيق، ، وصلى الله وسلم على محمد وآله وصحبه.

* * * * *



صبغة الله الحسنى

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن ولاه، وبعد:

فتعال أخي القارئ، نتأمل معاً بخشوع وتدبر معنى الآيات الكريمة من أواخر الجزء الأول في سورة البقرة حيث يحدد المولى سبحانه للأمة المسلمة مميزها الحاسم وصبغتها الفريدة التي تلتقي فيها مع أولياء الله السابقين من الأنبياء والتابعين لهم والتي تتأبى في الوقت ذاته على محاولات الإذابة في أتون الثقافات البشرية الضالة يهودية ونصرانية وغيرها من الصبغ الأرضية.

يقول جل وعلا: ﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ تَهْتَدُواْ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَـٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾ قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَـٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَـٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُواْ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَـٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٣٥ – ١٤٠].

قال عامة المفسرين إن صبغة الله هذه هي ملة إبراهيم، وهي بعد بعثة محمد ﷺ الدين الذي جاء به من عند ربه قال ابن الجوزي رحمه الله: وإنما سمي

الدين صبغة لبيان أثره على الإنسان كظهور الصبغ على الثوب، وقال القرطبي في تفسيره: صبغة الله أي الإسلام سمي الدين صبغة لأنها تظهر أعماله وسمته على المتدين كما يظهر أثر الصبغ على الثوب ثم استشهد القرطبي بقول شاعر العرب الهمداني.

وكل أناس لهم صبغة ❖ وصبغة همدان خير الصبغ

صبغنا على ذاك أبناءنا ❖ فأكرم بصبغتنا في الصبغ

إن أهمية الوعي بهذه الركيزة في دين الإسلام وهي ضرورة تميزه بإيمانه وإسلامه والحذر من الركون ولو شيئاً قليلاً إلى الأصباغ المتدفقة سيولها عليه تقيه من أن يغرق فيها أو يمسخ خلقاً آخراً يرد به أسفل سافلين.

وهذه الأهمية لا تبرز كما تبرز في هذه العصور حيث لا تزال تواجه الثقافة الإسلامية هجمتين للفكر المعاصر تستهدفان توهين صبغتها وإبهات لونها:

الهجمة الأولى: التبدي المغري للصبغ المتنوعة التي تقذف بها الثقافة الأوربية متمثلة بالأيديولوجيات المتعددة التي يقدم كل منها صبغة كاملة أي منظومة شاملة من التصور عن الكون والوجود والإنسان والحياة في نظمها المتعددة حيث تسوق للآخرين بحبك مغر خادع كخضراء الدمن النابتة في المنبت الخبيث.

ولقد حاولت هذه الأيديولوجيات زحزحة المسلم عن ثقافته الأصلية كي يستنسخ تلك الأيديولوجيات بديلاً عن ثقافته بل لقد زحزحت بعضا من أبناء المسلمين ممن لم يكن له من ثقافته الإسلامية حمى حصين فدخلوا في أنفاق تلك الأيديولوجيات فخسروا أنفسهم وخسرتهم أمتهم.

أما الهجمة الثانية فهي تلك الدعوة التي تنادي بها منظمات أو أناس لا يعون حقيقة تميز والإسلام أو يضمرون الشر له وهي أممية الثقافة بأن تكسر الحواجز بين الثقافات وتهد التميزات في كل ثقافة ويستبعد من كل ثقافة ما ليس صالحاً حتى يجتمع العالم على ثقافة واحدة.

أما معيار تحديد الصالح في الثقافة من غيره ومقياس القبول والرفض فهو المنهجية الغربية أي هو في النهاية الثقافة الغربية ذاتها.

وهكذا يعود هدف الهجمة الثانية إلى الأولى وهو طي لثقافة الإسلام من حياة المسلمين كي يتجردوا من مصدر هدايتهم فيضلوا تائهين يتلقفون ما يجود به الآخرون عليهم، والحق أنه لو ساغ لأي فرد بل لأية أمة من أمم الأرض أن تتخلى عن ثقافتها جزئياً أو كلياً لحساب ثقافة أخرى لم يَسُغ ذلك للأمة المسلمة بحال من الأحوال، لا تتصور أخي الكريم أن هذا الحكم جموح عاطفي لا يستند إلى مبرر منطقي كلا إن الثقافة الإسلامية تتميز عن سائر الثقافات بخصائص كبرى تمثل هذا المبرر إنها تستند إلى وحي إلهي منزه عن الخطأ والقصور ومتعال عن قيود الزمان وظروف المكان فهي ثقافة ربانية خلافاً لكل الثقافات الأخرى حيث إن مصدرها العقل البشري المحدود المقيد بالأوضاع الزمانية والمكانية.

ثم إن سمة العقل البشري أنه دائماً جزئ أي أنه ينظر إلى جانب أو جوانب معينة دون إحاطة بالجوانب البشرية كلها مما يعني نقصان الثقافة التي ينشئها ومن ثم احتياجها إلى استكمال من ثقافة أخرى اهتمت بالجانب الذي ينقصها فالثقافات المادية يضطر اتباعها غالباً إلى البحث عن ثقافات روحية تغذي

جانبهم الوجداني وأصحاب الثقافات الروحية لا بد لهم من التعويل على المهمتين بالجانب الحياتي لتقوم حياتهم.

أما الثقافة الإسلامية فقد استمدت من الوحي الإلهي التبيان الشامل لكل ما يحتاجه الإنسان في شئونه الدنيوية والأخروية فلم يعد ثمة مجال للتعويل على ثقافة سواها لأن ذلك استبدال للذي هو أدنى بالذي هو خير ولأنه عوج في التفكير ونكران لفضل الله ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ [النحل: ٧٢]. ﴿إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ [النَّجم: ٢٣].

بل إن الأمر أعظم من ذلك، إن زهد المسلم في شيء من دينه سواءٌ في أمر العقيدة أو الشريعة وإعجابه بما يباهي به الآخرون، يعكس انحرافاً عقدياً إيمانياً لديه، لأن ذلك يعني اتهامه لشرع الله بالنقص والقصور، وتصوره أن بإمكان البشر أن يتفوقوا عليه.

ولهذه الخطورة حذر الله عباده من أن تميل نفوسهم إلى الكافرين، أو أن يشركوهم مع الله بأن يستمدوا منهم تصوراتهم أو شرائعهم أو تقاليدهم.

يقول المولى سبحانه مخاطباً رسوله ﷺ: ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ۝٧٤ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٧٤ – ٧٥].

حينما رأى ﷺ بيد عمر رقعة فيها شيء من التوراة غضب وقال: **(أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب، والله لقد جئتكم بها بيضاء نقية، والله لو كان**

موسى حيا ما وسعه إلا اتباعي)[1].

وقال عليه الصلاة والسلام في حديث آخر شريف: **(لا يكن أحدكم إمعة يقول أنا مع الناس إن أحسن الناس أحسنت وإن أساؤوا أسأت ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساؤوا أن تتجنبوا إساءتهم)**[2].

إن صبغة الله التي يحق للمسلم أن يباهي بها كل الصبغ البشرية في كل أجيالها بحكم أنها بحكم الله لها ستبقى متفردة بالأحسنية دائماً هذه الصبغة تتمثل في عقيدة التوحيد الصافية في الربوبية والإلهية والصفات والأسماء وفي الإيمان بكل الحقائق التي جاء بها الوحي وفي العبودية الخالصة لله المستقيمة على هديه وفي التشريع الشامل لكل جوانب الحياة المادية والاجتماعية وفي الوسطية العدلية في كل المواقف، ومختلفِ الجوانب، إنها صبغة إلهية شاملة، تستغرق كيان الإنسان كله، وحياته كلها.

﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُۥ عَـٰبِدُونَ﴾ [البقرة: ١٣٨].

رزقنا الله الفقه في دينه، والفهم لكتابه والسير في مرضاته وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه..

* * * * *

(١) رواه الترمذي في «البر»، قال محقق جامع الأصول (١١/٦١٩): حديث حسن.

(٢) رواه الترمذي في «البر»، قال محقق جامع الأصول (١١/٦٩٩): حديث حسن.



حدود الله

الحمد لله العزيز الوهاب، أنزل على عبده الكتاب وشرع لعباده دين الحق، فرض فرائض لازمة الأداء، وحد حدوداً واضحة البناء من تجاوزها فقد ظلم وأساء، أحمده تعالى وأشكره على جزيل العطاء ووافر الآلاء.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم، والله بما تعلمون بصير.

وأشهد أن سيدنا محمد عبد الله ورسوله، ختم الله بنبوته النبوات وهيمنت شريعته على الشرائع السابقات وحاز من ربه جزيل الكرامات صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى صحابته وآله الأبرار الأطهار.

القرآن كتاب الهدى والنور، وآياته معالم للرشد والصلاح والنجاح، وأعظم جهود الإنسان بركة أن ينهل من معين هذا الكتاب المجيد، فتعال أخي المسلم نقتبس من أنوار بعض الآيات ما يضيء طريقنا ويزكي نفوسنا ويستقيم به سلوكنا.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ۖ فَٱلْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ۚ وَلَا تُبَـٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَـٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَـٰجِدِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَـٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٧].

أجل أيها المسلم تلك حدود الله فلا تقربوها بينها سبحانه لعباده وقد ذكر سبحانه في الآيات السابقات أحكاماً تتعلق بالصيام والعبادات كفرض الصيام وفطر المريض وقضائه وكذلك المسافر وإكمال العدة وتكبير الله وشكره وبداية الصوم وانتهائه والصلة بالمرأة في ظروف الصوم ونحوها.

وقد جاءت آيات سوى هذه الآيات تؤكد هذا المعنى الجليل وهو رعاية حدود الله وعدم تجاوزها.

قال سبحانه في سورة البقرة: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢٩].

وقال تبارك وتعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [النساء: ١٣-١٤]، إلى غير ذلك من الآيات الكريمة...

إن المولى ﷻ أنزل على عبده محمد ﷺ الكتاب وبين فيه جميع ما تقوم به حياة الناس وتتحقق به مصلحتهم في العاجل والآجل ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩].

وبهذا أكمل الله الدين وأتم النعمة على يدي محمد ﷺ الذي دأب على تربية أصحابه على هذا المنهج السديد آخذين بمبادئه وشرائعه واقفين عند حدوده قال العباس رضي الله عنه: (والله ما مات رسول الله ﷺ حتى ترك السبيل نهجاً واضحاً وأحل الحلال وحرم الحرام وحكم وحارب وسالم وما كان راعي

غنم يتبع رؤوس الجبال يخبط عليها العصاة بمخبطته ويمرر حوضها بيده بأنصب ولا أدأب من رسول الله ﷺ كان فيكم).

وقد جعل سبحانه لهذه الشريعة حدوداً من الحلال والحرام والمقادير لتكون معالم انضباط لعباده كي لا تستزلهم النفس الأمارة بالسوء أو الدنيا الغرارة وكيد الشيطان فينتهكوها فيقعوا في سخط الله، ولأن هذه الحدود تمثل حمى الله الذي نهى أن ينتهك وتهدر حرمته كما جاء في حديث النعمان ابن بشير> الذي رواه البخاري ومسلم حيث قال عليه الصلاة والسلام: (**إن الحلال بين وإن الحرام بين وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه ألا وإن لكل ملك حمى ألا وإن حمى الله محارمه**)[1].

إن المسلم لا يمكن أن يمتري أو يشك لحظة في أن الله حكيم في شرعه عليم بعباده وأن كل ما حدده حلالاً أو حراماً أو مندوباً أو مكروهاً محقق لمصلحة الإنسان وسعادته دنيا وأخرى وأن الخير فيما اختاره الله دائماً.

ولكنا مع ذلك نجد أن كثيراً من المسلمين قد تجرؤوا على حدود الله وانتهكوا كثيراً من أوامره وانساقوا مع شهوات قريبة ولذات فانية وخدعهم الماكرون من أعدائهم أو من الجاهلين بشريعة الله ممن ينحرفون بهم عن سواء السبيل فيظلمون أنفسهم حينما يسعون في هلاكها ويجافون ما شرع الله فيه مصلحتها ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ﴾ [الطَّلاق: ١]، ويقول في الآية الأخرى: ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢٩].

---

(١) رواه البخاري في «الإيمان»، ومسلم في «المساقاة».

وتعدي حدود الله قد يكون بالتفريط فيها تساهلاً في اقتراف المحرمات وتكاسلاً عن القيام بالواجبات وقد يكون بالإفراط والغلو فيها بالزيادة على ما شرع الله، بأن يبتدع أنواعاً من التعبدات والأعمال التي تخالف أمر الله، ولو كان قصده حسناً فهي ظلم وتعد لحدود الله وقد قال ﷺ: **(من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)**[1].

والشيطان اللعين يتجه بالإنسان إلى الوجهة التي يرى هواه معها فإذا رأى أن الغالب على نفسه الضعف والإحجام أمعن في تثبيطه وإضعاف همته وثقل عليه الالتزام بالأوامر والنواهي وصورها له بمثابة الكوابح والقيود التي تحرمه من شهواته وترهقه بالجد والحركة المتواصلة حتى يقوده شيئاً فشيئاً إلى التكاسل والانخذال عنها والشعور بصعوبة العودة إليها والعياذ بالله.

وإذا رأى أن الغالب على الشخص الحماسة المتوقدة والطموح المتطلع وهمة الإقدام في مجال التدين سلك به مسالك الغلو بأن يصور له عدم كفاية ما لديه من أوامر ونواه إلهية ويوحي له بأنه في حالة نقص لا يكملها إلا بأن يسير خطوات جديدة تتجاوز شريعة الله وبأن يبالغ في تحقيق ذلك ويثمر هذا غلواً في الدين وتجاوزاً لشرع الله وكلا الأمرين تعدٍ لحدود الله ولهذا قال بعض السلف: «ما أمر الله بأمر إلا وللشيطان فيه نزغتان إما إلى تفريط وتقصير وإما إلى مجاوزة وغلو ولا يبالي بأيهما ظفر».

والأمة الإسلامية اليوم تعيش في ظل وضع ذي وجهين:

---

(١) رواه البخاري في «البيوع»، ومسلم في «الأقضية».

الوجه الأول: حضارة مادية مدنية تفيض بعوامل الإغراء التي تفتن الإنسان بزهرة الدنيا وتجعل لذته الحاضرة ورغباته المادية والشهوانية هي الغاية والهدف الذي يضحى في سبيله بأغلى الأشياء.

وهذا أمر خطير على إيمان المسلم ودينه قد ينسيه آخرته ويورثه قسوةً في قلبه ويهون عليه الانقياد مع الهوى والدنيا تاركاً أمر الله مستثقلاً عبادته متخذاً إلهه هواه، مسيطرة المادة على قلبه.

وقد تأثر كثير من المسلمين بهذه المغريات فركنوا إليها وقست قلوبهم.

أما الوجه الثاني: فهو أننا نعيش ولله الحمد في ظل صحوة إسلامية مباركة شاملة تمتد في قطاعات الناس كلهم وفي شعب الحياة المختلفة ومن قطاعاتها أناس ممن ملأت الغيرة على دين الله نفوسهم والإقبال العارم على مرضاة الله أرواحهم وهذه نعمة كبرى على الأمة كلها وعلى هؤلاء بخاصة ولكنَّ بعضهم ممن لا يملكون علماً بالشريعة ولا تأنياً في الحركة قد يجمح بهم جهلهم ويستغل الشيطان توقدهم ويشطح بهم إلى مواقع خارج شريعة ربهم غلواً في الدين وتجازاً في المواقف، وتطرفاً في الأحكام، وربما مجازفة في التصرفات.

من هنا ينبغي لك أخي المسلم حرصاً على دينك وطلباً لنجاتك من هذه المواقف الناقصة أن تأخذ بالأسباب التي تقيك من مواقعة حدود الله واختراق حماه.

وأهم تلك لأسباب أن لا تجعل للشيطان عليك سبيلاً بأن تعتصم بربك وهداه فإنه ليس له سلطان على المتقين إنما سلطانه على الذين يفتحون له أبواب نفوسهم ليعبث بها.

ومعرفة الشريعة عامل مهم في استقامة المسلم على حدود الله وارتداد كيد الماكرين المضلين عنه.

ومن العوامل المهمة أن تجعل بينك وبين حدود الله وقاية تجعلك في حصانة من تعديها ولهذا قال سبحانه عن حدود الله: ﴿فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾، وقال ﷺ: **(من وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه)**[(١)]، وقال عليه الصلاة والسلام: **(دع ما يريبك إلى ما لا يريبك)**[(٢)].

أسأل الله أن يجعلني وإياك من الحافظين لحدوده المبشرين بالفوز العظيم عنده الذين قال عنهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١١١ – ١١٢].

* * * * *

(١) رواه البخاري في «الإيمان»، ومسلم في «المساقاة».

(٢) رواه الترمذي في «صفة القيامة»، والنسائي في «الأشربة»، قال محقق جامع الأصول (٦/٤٤٤): إسناده صحيح.



نوافل العبادات

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

الإنسان كلما أجهده هجير الحياة وكبدها زاد احتياجه إلى القنوات التي يتنسم منها عليل السكينة والأنس والإشراق الروحي.

وقد تفضل الله على عباده بأن فتح لهم نعمة منه ورحمة قنوات كثيرة من أهمها وأعذبها نوافل الطاعات، جعلها مجال ارتقاء وتسامٍ وتزود بالحسنات.

إن للنوافل آثاراً عديدة على الإنسان في صلته بربه وفي التزود لآخرته وفي المحافظة على سمت إيمانه.

فحب الله ورضاه سبيله التقرب منه سبحانه بالنوافل كما قال سبحانه في الحديث القدسي: **(وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه)**[1].

وقوة النفس ومواجهة الشدائد سبيلها عمران النفس بالطاعات ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝١٩ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ۝٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ۝٢١ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ﴾ [المعارج: ١٩ – ٢٢].

والنوافل تقوم بدور المكمل للنقص في الفرائض وسد الثغرات التي تقع فيها، ومن ثم تقف عائقاً دون الصور الكمالية لها فتأتي النوافل لتكون تسديداً للنقص وسداً للثغرات.

---

(١) رواه البخاري في «الرقاق».

إن الله تعالى في نظره إلى عباده وجزائه لهم، وتقبله منهم إنما ينظر إلى الحقائق والنيات وروح العبادة، ووعي الإنسان لها واستحضار عظمة ربه عند أدائها ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الحج: ٣٧].

وقال ﷺ: **«إن الله لا ينظر إلى صوركم وأجسامكم ولكن ينظر إلى قلوبهم»**[١]، وجاء في الحديث: **«إن الرجل لينصرف وما كتب له إلا عشر صلاته، تسعها، ثمنها، سبعها، سدسها، خمسها، ربعها، ثلثها، نصفها»**[٢].

ومن بديع التشريع في دين الإسلام أنه جعل النوافل متنوعة في أشكالها متدرجة في مراتبها ومتفاضلة فيما بينها:

ففي الصلاة مثلاً هناك الصلوات المؤكدة جداً التي تلي الفرائض في طلب الإسلام لها وهي الوتر وركعتا الفجر، ثم السنن الرواتب المعروفة أربع قبل الظهر وركعتان بعدها وركعتان بعد المغرب وركعتان بعد العشاء، وهناك الصلوات المؤكدة بأسبابها على المجموع كصلوات الاستسقاء والجنائز والكسوف والخسوف وهناك الصلوات المرتبطة بأوضاع خاصة كصلاة الاستخارة ثم النوافل المفتوحة في سائر الأوقات – عدا المنهي عنها – وهي تتفاضل بدورها، ومثل ذلك في مجالات التعبد الأخرى.

وإذا ما نظرنا إلى الصيام فإن الله سبحانه فرض على الأمة صيام شهر رمضان في كل سنة يحرم على المسلم غير المعذور شرعاً أن يخل بيوم واحد منه.

---

(١) رواه البخاري في «النكاح»، ومسلم في «البر الصلة» وغيرهما.

(٢) رواه أبو داود في «الصلاة».

ثم بعد هذا الشهر المفروض صيامه تأتي نوافل الصيام المتدرجة فهناك ستة أيام من شوال وهي أشبه ما تكون بالإكمال الحسابي لشهر رمضان مضروباً في عشر ليكون (٣٦٠) وهي أيام السنة لأن الحسنة بعشر أمثالها فكأن المسلم باستيفائها صام السنة كلها.

ومن نوافل الصيام المشروعة صيام يوم عرفة والأيام الثمانية قبله من ذي الحجة، وكذلك صيام يوم العاشر من المحرم مع يوم قبله أو بعده، بل شرع صيام شهر المحرم كله حيث ورد في صحيح مسلم: **(أفضل الصيام بعد رمضان صيام شهر الله الذي تدعونه المحرم)**[1].

هناك أيضاً صيام ثلاثة أيام من كل شهر وهي أيام البيض الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر وكذلك صيام يومي الاثنين والخميس من كل أسبوع وكان ﷺ أكثر ما يصوم الاثنين والخميس.

إن للصيام فوائد إيمانية ونفسية وصحية عظيمة، والناس في هذا العصر بما فيه من قلق من جهة وشره مادي طاغ من جهة أخرى وما يعيشه كل في غفلة من الآخرين من حوله من الجائعين والمعدمين من جهة ثالثة يحتاجون لعوامل وقائية تحميهم.

إن الناس لمقاومة هذه الآفات بحاجة إلى الصيام يهدئ روعهم ويكبح جماح شرههم ويذكرهم بالفقراء من حولهم ويقربهم من ربهم ويحببهم إليه ومن ثم ينالون حبه ورضوانه.

ولقد أدرك كثر من الفطناء الصالحين بحدسهم الإيماني هذه الحاجة إلى الصيام فأقبلوا عليه يصومون الاثنين والخميس وغيرهما، حيث انتشر هذا بينهم رجلاً ونساءً وخاصة من الفئات الشابة من الجنسين.

---

(١) مسلم في «الصيام»، وأبو داود في «الصوم»، الترمذي في «الصلاة».

وهو نعمة كبرى ودليل صدق تدين واستعانة بطاعة الله على مقاومة إغراءات الشيطان وتسويله، وعلى وأد النزعات النفسية الرديئة والشطط الذي قد ينتج عن نوازع الجسم الحيواني لدى الإنسان حينما تضعف ويلين إيمانه.

لهذا جاء في الحديث عنه ﷺ: **(يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء).**

لكني أود أن أنبه في هذا المقام فيما يتعلق بصيام التنفل إلى ضرورة رعاية المصلحة حتى لا يقع المسلم في ضرر أكبر من ترك النوافل.

لابد من توخي المصلحة فيما يمارسه العبد من النوافل ولأضرب مثلاً: إذا كان التنفل بالصيام سيؤدي به إلى كسل وإهمال في ممارسة واجباته سواء في عباداته الأخرى كالصلاة، أو في مسؤوليته الوظيفية التي يتحملها فخير له أن يفي بتلك الواجبات ولو قصر في النوافل.

ومثل ذلك المرأة إذا كان صيامها يؤدي إلى الإخلال بحق زوجها عليها في بيته أو في نفسها فأفضل لها أن تترك هذا التنفل لتحقق رضا هذا الزوج.

والزوجة الواعية تدرك ذلك حتى ولو لم يعترض زوجها على صيامها تورعاً منه أن يقف في وجه امرأته في طاعة ربها.

والأولى بالمسلمين زوجاً وزوجة أو الوالدين وأولادهم أو غيرهم أن يتعاونوا على البر والتقوى وأن يشيعوا بينهم التنافس في الفضائل والتسابق إلى النوافل ولكن دون عنت أو غلو أو إكراه.

والله الموفق.

* * * * *



الأسوة المثلى

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم، وصلى الله وسلم على أفضل رسله وخير عباده نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن المسلم في هذا العصر الفاتن الملهي بإعلامه ذي السطوة الآسرة يجد نفسه من حيث لا يدري متشعب الهوى بين نماذج من الناس تعرض عليه كل حين، ولربما انساق عاطفيا معجباً بهذا أو ذاك بما لا ينفعه في دينه ولا في دنياه، بل بما لو تفكر فيه ملياً لربما ضحك على نفسه.

ولكن كثيراً من المسلمين في ظل الصحوة المتنامية والحس الديني المنبعث فيهم وخاصة في المناسبات الدينية رمضان أو الحج أو خلال بعض الأنشطة التربوية تزكوا نفوسهم وتتعالى تطلعاتهم فإذا وظفت هذه الروح وتحررت من كثير من هذه الأغلال تطلعت إلى السمو نحو خالقها وشعرت برغبة في المنافسة بالطاعة مع جماعة المؤمنين ولم تقف عند حد المؤمنين الذين تعاشرهم في عصرها بل إنها تشعر بالحاجة إلى الارتباط بالمتقين في سلف هذه الأمة وفي هذه الحال تكون النفس المؤمنة مهيأة للتأسي بتلك النماذج العليا واتخاذها قدوة حسنة في السير إلى الله والانفصال عن السبل التي تسير في اتجاهات مضادة لسبيل الله.

فما أحرى المسلم الذي يبغي نجاح تطلعه وزكاء مقصده في تدينه أن يتواصل مع القدوة العظمي ويكون قريباً منه عليه الصلاة والسلام، بل معايشاً له من خلال سيرته. لقد وجه المولى سبحانه نبيه محمدا ﷺ وأمته إلى التأسي بأبيهم إبراهيم الحنيف عليه الصلاة والسلام في قوله سبحانه وتعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤].

كما وجه المسلمين إلى الاقتداء والتأسي برسولهم ﷺ في قوله: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

وكان ﷺ في ممارسته الشرعية يوجه أصحابه إلى الوعي بتصرفاته كي تكون لهم أسوة يتذكرونها ثم يطبقونها من بعده قال ﷺ: **(صلوا كما رأيتموني أصلي)**[١]، وكان في الحج وهو يتقلب بين المشاعر واقفاً بعرفة أو رامياً للجمرات أو طائفاً بالبيت يوجههم إلى ذلك فيقول: **(خذوا عني مناسككم)**[٢].

والملاحظ في تاريخ البشرية أن النفس البشرية بجبلتها تبحث دائماً عن نماذج إنسانية لها تفوق في تاريخها وأدوار بطولية في حياة هذه الأمة في السياسة أو الحرب أو الجوانب الفكرية والإنسانية، فتجعلها مثالات تمجدها في احتفالاتها وبرامجها وتقدسها لدى أطفالها وتلمع أحاديثها أو مواقفها أمام الأمم الأخرى وتفاخر بها، وفي الإسلام رغم أنه يجرد عبودية الإنسان لخالقه سبحانه توحيداً لا يشرك فيها معه سواه لا طلباً ولا قصداً.

إلا أنه امتن على عباده – وهو العليم بفطرهم – فجعل أنبياءه المصطفين وأولياءه المتقين الوارثين لأنبيائه نماذج تحتذى ومثالات يقتدى بهداها ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠]، حيث يتمثل الإسلام بهذه الشخصيات واقعاً بشرياً حياً.

(١) رواه البخاري في «الأذان»، ومسلم في «المساجد».

(٢) رواه مسلم في «الحج».

والذي لا مرية فيه لدى المسلم بل لدى المنصف عموماً أنه لا مقارنة بين الأنموذج النبوي المتمثل في شخص رسولنا الكريم ﷺ وبين النماذج التي تتباهى بها الأمم من قادة ومفكرين ونحوهم.

فلئن كان بروز الواحد من هؤلاء العظماء في جانب من الحياة شجاعة حربية أو دعوة سياسية أو فكراً إبداعياً مع ضمور الجوانب الأخر حتى إن التاريخ ليكشف عن ظلام وعفونة في الوجه الآخر من حياة كثير من أولئك العظماء.

لئن كان هذا شأن أولئك الأبطال الأسطوريين فإن رسولنا محمداً ﷺ يمثل الطهر في كل جوانب الحياة، فقد تحقق فيه الكمال الإنساني في تقلبات حياته كلها.

فأينما نظرت من سيرته العطرة ستجد البهاء والسمو ومثال الإعجاب، وهذا بلا ريبة ناتج عن رعاية الرب الكريم له وصناعته على عينه ليحمل رسالته الخاتمة ويقيم حياته وحياة من تبعه على منهج الله المرضي عنه، وعلى وحي الله الموحى إليه في كتاب الله وسنته المطهرة خلافاً لتلك الشخصيات التي لم تتصل بخالقها ولم تهتد بهداه واكتفت بفكرها عن وحيه وتعاليمه.

ولكن الإسلام الذي وجه المسلم إلى الاقتداء بالرسول ﷺ وإلى تعظيمه وحبه وتعبده بأخذ سنته والسير إلى الله وفق منهجه وأمره بالصلاة والسلام عليه وحرم عليه أدنى إساءة لجنابه الكريم قد وقف بالنفس البشرية عند الحدود الصحيحة من التعظيم والحب دون الغلو الذي يتجاوز بصاحبه إلى جعله

ﷺ شريكاً مع الله أو نداً له أو صرف شيء من حق الله نحوه دعاءً واستغاثة أو نذراً أو صلاة أو طوافاً.. الخ.

كما جرى للأمم الأخرى التي تمادى بها تعظيم أنبيائها أو زعمائها إلى عبادتهم مع الله أو من دونه وإلى تصور أنهم يتصرفون في الكون كما يشاؤون تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

ولقد ضرب الصحابة وتابعوهم بإحسان المثل الأعلى في التأس برسولهم ﷺ وفي زرع حبه وتعظيمه والاقتداء به في نفوس ناشئتهم حتى قال أحد الصحابة كنا نعلم أطفالنا مغازي رسول الله ﷺ كما نعلمهم السور من القرآن.

ولهذا كان أولئك الأصحاب البررة بعد رسولهم أسوة للمؤتسين وقدوة للمقتدين بما آتاهم الله من شرف الصحبة وتلقي شرع الله من نبيه ﷺ مباشرة وبما منحهم من سلامة فهم وصفاء قلوب ولهذا وجه الصحابي الجليل عبدالله ابن مسعود رضي الله عنه إلى الاقتداء بهم قال رضي الله عنه : (من كان منكم مستناً فليستن بمن قد مات فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة أولئك أصحاب محمد ﷺ كانوا أبر هذه الأمة قلوباً وأعمقها علماً وأقلها تكلفاً قوم اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه فاعرفوا لهم حقهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم).

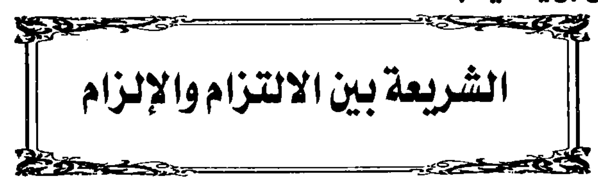
إن الحري بك أخي المسلم وإن من الخير لك أن تربط نفسك برسولك عليه الصلاة والسلام وبأصحابه الكرام تملياً في يقينهم بالحق ومنافستهم فبه ومواقفهم في الدعوة إلى الله وبذل الخير وطلب الآخرة حتى تعيش معهم

بروحك وتلحق بركابهم وتحب من كل قلبك إيمانهم وجهادهم وتنافسهم علك أن تحشر في زمرتهم يوم القيامة فإن المرء كما أخبر الرسول ﷺ يحشر مع من أحب[1] وعساك أن تنال بذلك الفلاح والسعادة حينما تقتفي أثرهم وتحذو حذو مآثرهم:

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم ❖ إن التشبه بالكرام فلاح

* * * * *

(١) في الحديث الذي رواه البخاري في «الأدب»، ومسلم في «البر والصلة».



الشريعة بين الالتزام والإلزام

الحمد لله الواحد الأحد الفرد الصمد وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه، وبعد:

فإن كل دين من الأديان وكل نظام من النظم يجعل من أوليات اهتمامه أن يحدد للناس المنهج الفكري والسلوكي في حياتهم موضحا الفضائل التي تمثل عناصر الخير المحمودة للإنسان مبيناً الرذائل التي تمثل عناصر الشر المذمومة من الإنسان.

وطبيعي أن لا تقف الأديان والنظم الخلقية عند وضع قوائم الفضائل والرذائل أمام الإنسان لأن بقاءها بمعزل عنه أو حتى معروفة لديه فحسب يفقدها قيمتها الحيوية إذ إن قيمتها تكمن في أن يتمثلها الناس في حياتهم ويطبقوها في حركاتهم وتصرفاتهم لهذا بحثت هذا النظم والأديان في مصدر الإلزام الذي يدفع الإنسان إلى فعل الحسن من الأعمال وتجنب سيئها لتنميتها كي تؤدي دورها في شخصية الإنسان. والإسلام دين الله الذي رضيه لعباده كي تصبح إنسانيتهم في أكمل صورها الممكنة في هذه الحياة وتتحقق عبوديتهم التي هي غاية خلقهم سدد للمسلمين مسلك الحياة بشعبتيه الكبيرتين.

* شعبة الخير المحمودة المشروعة.

* وشعبة الشر المذمومة المنهي عنها.

سواء كان ذلك في صلة المسلم بربه أو صلته بالناس من حوله أو صلته بالكون المحيط به: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا

عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

إضافة إلى هذا البيان الشامل لكل ما يحتاجه الإنسان في حياته من خير يتزود به وشر يتوقاه كي ينال فوز حياته الدنيا وفلاح حياته الآخرة فقد اهتم الإسلام بالقوة التي تكفل لهذا النظام والتشريع أن يتمثل في حياة الأفراد وان يسود التشكيلة الاجتماعية.

وتجلت هذه القوة في مراتب ثلاث:

المرتبة الأولى: وهي المصدر الأكبر للإلزام الأخلاقي في الإسلام وهي الإيمان الذي يعمر قلب المسلم ويفيض متوزعاً على سائر كيانه.

الإيمان بالله خالقه ورازقه والمطلع عليه والمحيط بظاهره وباطنه والمحاسب له، والإيمان باليوم الآخر وهو المصير الذي سينتهي إليه الإنسان حتما وسيواجه فيه مسؤولية عمله في هذه الحياة الدنيا بما في ذلك اليوم من أهوال وحساب دقيق ومواجهة مباشرة مكشوفة أمام الخلق وشهادات إدانة مكثفة على الإنسان حتى من جوارحه التي كانت وسيلته في حركته في هذه الحياة، والإيمان إذا جاشت به النفس صاغ الشخصية الإنسانية صياغة عجيبة وارتفعت به من بهيمية البشر المقطوع عن الله المنكر أو الغافل عن اليوم الآخر إلى ملائكية سامية في فكرها ونظرتها للوجود وحركتها في الحياة.

وحياة صحابة رسول الله ﷺ الذين عاشوا فترة الجاهلية أول حياتهم تعكس صورة هذا الانقلاب العظيم في الشخصية الإنسانية.

ولهذا فإن من ضروريات نهضة المسلمين وعودتهم مسلمين حقاً وصدقاً مرضيين عند ربهم سامين في تصورهم وسلوكهم أن يولوا هذا الإيمان اعتناء أكبر وأن يركزوا عليه في تربية الصغار والناشئة حتى يرسخ في نفوسهم هذه الملكة الدافعة نحو الخير الرادعة عن الشر.

والإيمان الذي نتحدث عنه بصفته أساساً للالتزام العملي بالشريعة وإقامة الحق في النفس والمحيط ليس إيمان الفلاسفة وعلماء الكلام والعقيدة الذين لا تتجاوز مسائلهم الجانب العقلي والمعرفة الفكرية.

إن الإيمان المطلوب والجدير بتحقيق هذه الغاية هو ذلك النور الذي تضيئه في جوانح الإنسان وتشحن به نفسه آيات كتاب الله وأحاديث الرسول ﷺ وما أثر من علم وهدى عند صالح السلف رضي الله عنهم.

إنه الإيمان الذي يعيش به المسلم الحقائق الغيبية كأنه يراها رأي العين ويعايشها تماماً لذلك أخبر الرسول ﷺ أن قمة التدين والالتزام في الإسلام وهي مرتبة الإحسان إنما تتأتى للإنسان من شهوده الحي لجلال مولاه وعظمته وإطلاعة وتمثلها تمثلاً يكاد يكون مباشراً.

قال ﷺ: **(الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك)**[1].

وإذا بلغ الإنسان هذه الدرجة فإن حياءه من الله الذي خلقه ورزقه وأمده بأسباب البقاء وتفضل عليه بألوان النعم سيجعله ذا يقظة ذاتية مبادرة إلى فعل الطاعات والفضائل، مستوحشة من مقاربة ما يسخط الله من رذائل، قال ﷺ

---

(١) رواه البخاري في «الإيمان»، وكذلك مسلم.

موجهاً حديثه لأصحابه: **(استحيوا من الله حق الحياء قالوا إنا نستحي من الله والحمد لله قال ليس ذاك ولكن الاستحياء من الله حق الحياء أن تحفظ الرأس وما وعى والبطن وما حوى وتذكر الموت والبلى ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء)**[1].

ولهذا لا يمكن أن يقارف الإنسان الرذائل وهذا الإيمان مهيمن على وجدانه فإذا أقدم الإنسان على ارتكاب محرم فإن ذلك دليل على أن هذا الإيمان قد تلاشت هيمنته وانزوى ضعيفاً في زوايا النفس التي سيطرت عليها شهوة ذلك المنكر قال ﷺ: **(لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن)**[2].

وقال سبحانه مبينا أن مقارفة المنكرات وصور الكفر ناتج عن إنكار يوم الدين أو لغفلة عنه أو نسيانه: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ [الماعون: ١ — ٣].

فإذا ما انحسر هذا الإيمان لدى فرد أو أفراد في المجتمع المسلم وقارفوا الرذائل واستهتروا بالفضائل فلا بد هنا من التعويل على روادع خارجية ترد الشارد عن شروده وتحفظ المجتمع من ثغرات الفساد أن تسوده.

---

(١) رواه الترمذي في «سنة القيامة»، قال محقق جامع الأصول في سنده الصباح بن محمد: وهو ضعيف، قال المنذري في الترغيب والترهيب، ورواه الطبراني مرفوعاً من حديث عائشة؛ أقول: وقد صححه الحاكم، ووافقه الذهبي وهو كما قالا فإن له شواهد يرتقي بها، جامع الأصول (٦١٦/٣).

(٢) رواه البخاري في «المظالم»، ومسلم في «الإيمان».

هنا تأتي المرتبة الثانية وهي الضغط الاجتماعي لمحيط لهذا الشخص أقارباً وجيراناً وأصدقاء وجهة عمل ونحوها حيث تمارس ألوان التوجيه المؤثرة على هذا الشخص كي يثوب إلى رشده أمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر واشمئزازاً من الشخص وعمله وقد يصل إلى نوع من المقاطعة إذا قدر تأثيرها عليه وهي المسماة بالهجر.

فإذا لم تفد هاتان الوسيلتان لم يبق إلا المرتبة الثالثة وهي الجزاء القضائي الذي تتولاه حكومة المجتمع المسلم بأن تطبق عليه شريعة الله بإقامة الحدود والتعزيزات التي تصون المجتمع المسلم من اختراق العناصر الفاسدة لسياجه الإسلامي وأمنه ومصالحه.

ولقد أنزل المولى سبحانه حدوداً مقدرة وفتح المجال للتعزيزات الاجتهادية وفق علمه بطبيعة الإنسان وتركيبته الفردية والاجتماعية خلافا للأنظمة الوضعية التي تفقد هذا الأساس المتين ومن ثم النجاح في تحقيق هذه الغاية العظمي وهذا ما أثبتته التجارب خلال العصور الإسلامية حتى عصرنا الحاضر الذي تقدم فيه الفكر القانوني ووسائل ضبط الجرائم فما زال ولا يزال تطبيق التشريع الرباني هو الأعلى والأنجح في تحقيق أمن المجتمع وحفظ سمته الإسلامي ورعايته مصالحة.

* * * * *

التوظيف الإسلامي لطبائع الإنسان

الحمد لله خلق الإنسان علمه البيان وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، وبعد:

الإنسان هذا المخلوق المتفرد بين المخلوقات المحيطة به في عالم الشهادة من جمادات ونباتات وحيوانات ما هي حقيقته وما هي العناصر التي تتشكل منها شخصيته الحقيقية القائمة وراء جثمانه المادي وحركاته الظاهرة، ما هي نزعاته وما هي تطلعاته.

هذه هي المشكلة التي تعاني منها الفلسفة البشرية التي حاولت معرفة حقيقة الإنسان حتى تضع مشروعاً حضارياً يلبي حاجتها ويتفق معها يكون بديلاً للمشروع الحضاري الغربي الذي وضع على جهل بهذه الحقيقة فتنافر معها وشقيت به.

أما أنت أيها المسلم فقد أراحك الله من هذا العناء لأنه سبحانه هو خالق الإنسان وهو العالم بحقيقة تكوينه ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤]، وقد وضع سبحانه لهذا الإنسان منهجاً ملائماً لطبيعته متسقاً مع فطرته ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الرُّوم: ٣٠].

إذا أخذ به وشكل حياته بمنهجه تكاملت إنسانيته واستقامت حضارته في كل جوانبه ولقد كان من منهج العليم الحكيم في أمر هذا الإنسان أن جبله على

طبائع معينة وأمده سبحانه بسبل توظيف هذه الطبائع في خير الإنسان نفسه ورسم له الحدود التي إذا تجاوزها كانت عامل تدمير للإنسان وذهاب بدينه ودنياه.

من طبيعة الإنسان الجدل كما في قوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٤]. ولهذا تبرز هذه الطبيعة لديه أمام الحق حينما يدعى إليه ﴿وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ﴾ [الكهف: ٥٦].

بل إن هذا الجدل لدى الكافر الذي لم يضبطه بضابط الإسلام يستمر معه إلى يوم القيامة فقد روى أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **(يؤتى بالرجل يوم القيامة من الكفار فيقول الله له ما صنعت فيما أرسلت إليك فيقول رب آمنت بك وصدقت برسلك وعملت بكتابك فيقول الله له هذه صحيفتك ليس فيها شيء من ذلك فيقول يا رب إني لا أقبل ما في هذه الصحيفة فيقال هذه الملائكة الحفظة يشهدون عليك فيرفض شهادتهم فيقول الله هذا اللوح المحفوظ قد شهد عليك بذلك فيقول يا رب ألم تجرني من الظلم قال بلى قال يا رب لا أقبل شاهداً علي إلا من نفسي فيقول الله الآن نبعث عليك شاهداً من نفسك ويختم على فيه وتنطق جوارحه بالشرك ثم يخلى بينه وبين الكلام فيدخل النار وإن بعضه ليلعن بعضاً يقول لأعضائه لعنكن الله فعنكن كنت أناضل فتقول أعضاؤه لعنك الله أفتعلم أن الله يكتم حديثاً)**[1].

---

(١) ذكره القرطبي في «الجامع لأحكام القرآن» (٥/١١)، وقال: أخرجه مسلم بمعناه من حديث أنس أيضاً.

وفي هذا المقام نهى الإسلام المسلم عن الجدال في الحق بعد أن يتبين كما وجه المسلم في جدله وحركته الفكرية نحو خدمة الحق ونشره ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥].

وفي قوله بالتي هي أحسن تحديد لطبيعة الجدل المطلوب بأن يكون خيراً في منهجه وغايته ولهذا نهى ﷺ عن المراء وهو نوع من الجدل الذي إ ما أن يكون عقيماً في نتيجته أو فيه خلل في منهجه قال ﷺ: **(من ترك المراء وهو مبطل بني له بيت في ربض الجنة ومن تركه وهو محق بني له بيت في وسطها)**[1].

كذلك فإن من طبيعة الإنسان العجلة والاستعجال قال سبحانه في سوره الإسراء: ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا﴾ [الإسراء: ١١]. وقال في سورة الأنبياء: ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ ۚ سَأُو۟رِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾ [الأنبياء: ٣٧]، والكافر الذي لم يأخذ نفسه بضوابط الشرع يندفع مع هذه الطبيعة إلى تعجل الشهوات بل إلى تعجل العذاب كما قال سبحانه حاكياً عن المشركين قولهم: ﴿وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال: ٣٢].

وإذا كانت العجلة التي تدفع الإنسان إلى الإقدام على الشيء بأول خاطر دون ترو وتؤدة مذمومة بعموم لما تؤدي إليه من فوات المطلوب أو تجاوز سمت

---

(١) رواه أبو داود في «الأدب»، وابن ماجة في «المقدمة»، وأشار محقق جامع الأصول (٢/٧٥٠) إلى حسنه.

الشرع المتين كما جاء في الحديث: **(إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق فإن المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى)**[1].

إلا أن هذه العجلة من حيث هي انبعاث لتحصيل المرام بسرعة لها ميدانها في سبل الخير مبارزة إليه ومسارعة لتداركه ومسابقة في مجالاته كما قال سبحانه: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، وقال: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢١]. ووجه ﷺ إلى المبادرة بالأعمال فتناً تأتي كقطع الليل المظلم وهكذا يوظف الإسلام هذه الطبيعة الإنسانية الاندفاعية في مجالات سليمة في حركتها جيدة في نتائجها على الإنسان نفسه وعلى مجتمعه.

والإنسان ينطوي على نزعات متقابلة في أعماقه يتفاعل بها مع الوجود من حوله، بغضاً وحباً، ورجاءً وخوفاً، وميلاً للنظام نزوعاً للتحرر، وتعلقاً بالمحسوس وتطلعاً إلى ما وراءه، ونحوها من المتقابلات الكثيرة.

وقد رسم الإسلام المنهج السليم كي تصب هذه النزعات في مجاريها الصحيحة وتنضبط بالضوابط التي تجعلها محققة صالح الإنسان في دنياه وأخراه.

قال ﷺ مبيناً مجالات الحب والبغض وترتيبها: **(ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار)**[2].

---

(١) رواه أحمد والبزار في «روايات»، انظر: مجمع الزوائد (١/ ٦٧).

(٢) رواه البخاري في «الإيمان»، وكذلك مسلم.

وفي الرجاء والخوف بين سبحانه أنه جل وعلا هو الأحق أن يرجى ويخاف لأنه أهل المغفرة والرحمة والكرم والجود ولأنه سبحانه شديد العقاب الذي يمهل ولا يهمل.

الرجاء إنما يتعلق برحمة الله ولا بد له من سبب يقوم عليه وهو طاعة الله وعبادته وإلا صار تمنياً ومخادعة لله.

والخوف إنما يتعلق بذنوب العبد وتقصيره في جنبه وإلا فالله حكم عدل لا يظلم أحداً وهكذا سائر طباع النفس البشرية ونزعاتها تجد لها في منهج الإسلام الذي جاء به رسول الله ﷺ توظيفاً يستغرقها ويوجهها نحو ما يحقق سعادة الإنسان في دنياه الفردية والاجتماعية وفوزه في أخراه برضوان الله وجنانه.

أما الإنسان المنفلت من منهج الله المعرض عنه فإنه مهما حاول تنظيم هذه النزعة وتوقى اضطرابها ستبقى مصطرعة في داخل ذاته ومشوشة لمجرى حياته حيث يعيش شقياً وينقلب إلى ربه خاسراً، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴾ [طه: ١٢٤ – ١٢٦].

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

* * * * *

المسائل الإيمانية المتعلقة برمضان

وتشتمل على ما يلي :

* رمضان ومراجعة الحساب.
* استقبال رمضان .
* رمضان في حس الفطناء.
* روحانية الصوم.
* بعض آداب الصوم.
* بعض مكدرات الصوم.
* فطور وسحور.
* تأمل وتغيير.
* السفر والمرض.
* بدر.
* الفتح الأعظم.
* الشخصية.
* الإخلاص.
* التقوى.
* الدعاء.
* الجنة والنار.
* العشر الأواخر.
* ليلة القدر.
* ما بعد رمضان.



رمضان ومراجعة الحساب

الحمد لله العلي الكبير وصلاة الله وسلامه على البشير النذير نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإني أسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يمن علينا وعلى المسلمين بالقبول والرضوان وأن يتولانا برحمته إنه حميد مجيد.

رمضان أيها الأخ الكريم شهر مفضل متميز يغير الله به برامج حياة المسلمين وحركتهم في الحياة لا من حيث مواعيد الأكل والشرب، والدوام، وإنما من حيث التفاعل النفسي مع الأشياء، وأبعاد الرؤية للحياة واندفاع الإنسان السابق فيها.

إن المسلم في رمضان يسمع بقلبه وإحساسه الداخلي نداء الله له بأن صومه الذي يصومه وقاية له من النار، وأنه يقربه منه ويرفع مقامه عنده وأنه لتحقيق ذلك ينبغي أن يأخذ نفسه بالجد فيه وأن يتوقى ما يفسده عليه ويبطل آثره الإيماني في حياته وشخصيته.

إنه يسمع نداء الله متوجهاً له ولإخوانه المؤمنين ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]، يسمع نداء الكريم: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥]، بروح أقرب وأكثر انفعالاً من سماعه للآيات في قراءات كثيرة سابقة.

إن المسلم الصائم يعيش استجابة حية لله وهو يستيقظ في ألذ أوقات النوم وقت السحر ليتناول غداءه المبارك بنية الصوم والتعبد يأكل تعبداً في غير وقت

الأكل ويصوم تعبداً في أوقات الأكل والوجبات، وبين يديه الطيبات ممسكاً عنها ثم هو ينتظر أذان المغرب أو مدفع الإفطار ليرفع تمرته إلى فيه مناجياً ربه بحضور قلب وجيشان نفس «اللهم لك صمت وعلى رزقك أفطرت، ذهب الظمأ وابتلت العروق وثبت الأجر إن شاء الله»[1].

ألا ترى أخي المسلم أن هذا الجو العابق بالروحانية والسمو والتعالي إلى درجة الإحسان جدير بأن يكون له دور مؤثر في حياتك تأثيراً شمولياً لا ينحصر في الصوم وحده ولا رمضان وحسب ولكن يمتد ليغير في مسيرة حياتك نحو مسلك أرشد، وحال تتجاوز فيها التغيرات الكبيرة التي تعاني منها والتي تخشى لو فاجأك الموت عليها لأوردتك المهالك.

إذن فأكرم برمضان، وبالصيام ويا نعما ما يفعل بالصادقين.

ولكن حنانيك أخي المسلم.

إن هذا الأمر الذي ينبه كل إنسان بأن تتغير حياته نحو الأفضل ويسلك مسالك الأمن والهداية وينجو من الطرق المهلكة.

إن هذا الأمر يحتاج منك إلى مبادرة صادقة وتوجه جاد تقوم فيه مع نفسك بمراجعة شاملة لحساب حياتك السابقة مراجعة واعية يقظة، تقوم بها وأنت مصمم على إحداث نقلة في نفسك وحركة حياتك.

وإذا اتجه الإنسان بهذه الهمة فإن الله سيعينه ويسدد خطوه وستتفتح أمامه أبواب ما كان يتصورها، وسيجد أنه بعكس ما يتصور كثير من الناس؛ سيجد

---

(١) رواه أبو داود في «الصوم»، قال محقق جامع الأصول (٣٧٨/٦): مرسل، وللحديث شواهد يقوى بها.

أنه يسير من ضيق إلى سعة ومن ضياع إلى رشد ومن حياة مليئة بالعقد والتشوه إلى حياة مشرقة تتضوع بأريج التفاؤل والأنس بالله وبخلقه.

إن كل جانب من جوانب الحياة يحتاج إلى مراجعة تأمل وتصفية حساب ومن الجوانب التي ينبغي أن يبادر المؤمن مغتنما جو رمضان لمراجعتها ما يلي :

أولها : وأهمها صلة المؤمن بربه وهي أعظم صلاته وأجلها ، فوجود الإنسان في هذه الحياة إنما هو ليعمر هذه الصلة بما يرضي الله تعالى وما يحقق نجاحه وفلاحه ؛ فهل هذه الصلة قائمة وفق الصورة المرضية.

وإذا كان حديثنا يتجه إلى مسلمين يصلون ويصومون ويؤدون الشعائر فإن المحاسبة ينبغي أن تتجاوز هذه الشعائر إلى ما وراءها فيتساءل مع نفسه عن هذه الصلاة والصيام والصدقة ونحوها من العبادات هل هي عامرة بالروح بصدق التوجه إلى الله وباستحضار التعبد والتقوى في أدائها فإنه كما أخبرنا سبحانه : ﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [الحج : ٣٧]، ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا ۖ وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ [البقرة : ١٧٧].

ثم يتساءل :

ثانياً : عن علاقته بالناس من حوله وهل قام بمسؤوليته التي أناطها الله به تجاههم خاصة إذا كان راعياً في رعيته التي تحته ؛ أباً في بيته على زوجته وأولاده

أو مديراً في مدرسة على أساتذة وطلاب ، أو مسؤولاً عن مؤسسة أو مديراً لدائرة ، يسائل نفسه متبصراً في سلوكه السابق وإذا أمكنه أن يستعين بالناصحين والذين يهدونه عيوبه ممن تحت مسؤوليته فخير له وأفضل ؛ يسائل نفسه :

هل هو قائم بالقسط في تعامله معهم أو أنه خاضع للنفس الأمارة بالسوء والتلاعب الشيطاني يمارس الظلم والمحاباة ، ويحكم بالظنون ويتجاوز في معاملته لهم الحدود الشرعية يتساءل أيضاً هل حركته في دائرة بيته أو وظيفته محكومة بالضوابط الشرعية ومتجهة إلى تحقيق المصالح الشرعية أو أن جهوده تتمحور حول طموحه الشخصي ومصلحته الأنانية ولو على حساب المصلحة الشرعية ، ولو على أكتاف من تحته ظلماً وانتهازية واستغلالاً.

إن التفريط في أوامر الله وإن ظلم النفس ليس محصوراً بالتكاسل عن العبادات إنه مستشر في حياة الناس الاجتماعية في علاقاتهم ومعاملاتهم وإن في هذا التفريط خطراً جسيماً يفسد الحياة ويقطع أوصال المجتمع ويذهب دين الإنسان ويمحق حسناته.

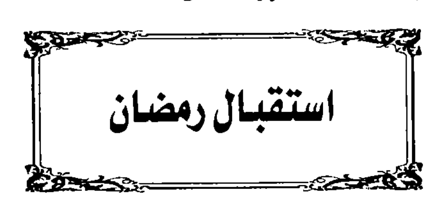
والإنسان يسرع به دولاب الحياة الدائر دون توقف لتفكير، أو موقظات لإدكار.

ويأتي رمضان ليكون مناسبة لطالبي النجاة ، ولفتة لمتحيني الفرص نحو تفكر يقود إلى معرفة تدعو إلى توبة وإصلاح وتغيير نحو الأحسن.

أسأل الله الكريم أن يهدينا سبل السلام وأن يرزقنا حسن الاستعداد لما أمامنا إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

* * * * *



استقبال رمضان

الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور، أحمده وتعالى وأشكره، وأثني عليه الخير واستغفره.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في ربوبيته، ولا في إلهيته ولا في أسمائه وصفاته، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله إلى العالمين أجمعين، يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث.

صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، أما بعد:

إن رمضان الذي هل على الكون هلاله وتضوعت الدنيا بأريجه والذي أشرقت بطلعته القلوب الصادقة، هو الشهر العظيم في ميزان خالق الشهور، سبحانه، وعند حامل الشريعة صلوات الله وسلامه عليه، وفي حس المؤمن الصادق، ولقد كان رسولكم عليه الصلاة والسلام يفرح بقدوم رمضان ويرحب به ويبشر أصحابه بوصوله، وكان يبين لهم خصائصه العظيمة، ويكشف لهم عن جوانب الفضل فيه، وصور المكاسب الرابحة للمنافسين.

لقد كان ﷺ يبين شوقه إلى رمضان والتطلع لبلوغه فكان يقول إذا دخل رجب: **(اللهم بارك لنا في رجب وشعبان وبلغنا رمضان)**[1] ثم يقول لأصحابه حينما يهل عليهم رمضان: **(إذا جاء شهر رمضان أو إذا كان أول ليلة من رمضان صُفدت الشياطين ومردة الجن وغلقت أبواب النار فلم يفتح منها باب،**

(١) رواه البيهقي في «الشعب»، والنووي في «الأذكار»، والذهبي في «ميزان الاعتدال»، قال أحمد شاكر في المسند (١٠١/٤): إسناده ضعف.

وفتحت أبواب الجنان فلم يغلق منها باب، ونادى منادٍ يا باغي الخير أقبل ويا باغي الشر أقصر، ولله عتقاء من النار)[1].

وها نحن أيها الأخوة الأفاضل وقد تناءا بنا الزمن قروناً عديدة، عن العهد المشرق، الذي شرع فيه صيام رمضان، وجرت فيه حركة الحياة الزكية، حياة الرسول ﷺ وأصحابه الكرام رضي الله عنهم.

ولكنه رغم البعد الزمني، لا يزال رمضان هو رمضان بجلاله وجماله ومقامه في دين الله، يفد إلينا بإيحاءاته العظيمة، التي تمثل علائم كبرى في حياة المسلمين، بل في الوجود كله، فهو الشهر الذي نزل فيه القرآن الكريم يهدي الحياة الإنسانية بعد الضلال البعيد ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ١٨٥]. وهو شهر النصر والعزة والفرقان، الذي ظهر فيه الحق على الباطل، شهرُ بدر والفتح وهو الشهر الذي ينطوي على ليلة القدر، التي فاقت بخيريتها ألف شهر من عمر الزمن، وهو شهر الغفران والرحمة، والعتق من النار، والتقوى والثواب الجزيل، هذا هو شهركم الكريم يفد بإيحاءاته العظيمة، وبمنابع الخير الغامرة، فهل نحن معشر المسلمين، أمة وأفراداً، على مستوى الوعي بقيمة رمضان، والهمة في استثمار خيراته، وتعبئة النفس من نفحاته.

---

(١) رواه البخاري في «الصوم»، ومسلم كذلك.

لقد استهلكنا لحظات من الزمن كثيرة قبل رمضان، شهوراً متتالية بأيامها ولياليها، بلغ فيها الكثير منا ما بلغ من الرتوع في الشهوات، واللهو بمتع الحياة، تقلب في دنياه بين أفراح وأحزان، وعمل وفراغ، حتى أصابت القلوب القسوة، والغفلة عن الدار الآخرة، وذبلت النفوس لبعدها عن القرآن الذي هو مصدر حياتها، ويأتي رمضان بما له من وقع حسي مؤثر في الحياة الإسلامية بما عساه أن يحدث هزة في النفوس الغافلة، وصحوة للعقول الشاردة كي تراجع نفسها وتؤوب إلى خالقها، وتستقيم في مسلكها.

إن رمضان يفد على المسلمين وهي تكوى جنوبهم نيران الكيد من أعدائهم، الذين كشروا عن أنيابهم، واستبانت حقيقة مواقفهم من الإسلام وأهله عداءً وحقداً وانتقاماً بشعاً تأباه طبيعة الإنسان السوي هذا فضلاً عما يجنيه المسلمون على أنفسهم نتيجة بعدهم عن هدي ربهم، وتفرقهم وإيثارهم الأنانية والمصالح القريبة، مما أوقعهم فريسة للفوضى والمجاعات والتناحر، وسوء الأحوال.

فلعل رمضان ببرده الإيماني، ولعل هذه المآسي بلهيبها المحرق، أن تحرك القلوب النائمة، وتهز النفوس الشاردة، كي تثوب إلى رشدها، وتعود إلى ربها ومحاسبة ذاتها لتصوغ حياتها صياغة جديدة، تستلهم منهجها من هدي ربها، وتستعين بهذا الشهر الكريم، لبدء تكييف الحركة وفق هذه الصياغة.

ولابد لك أخي المسلم أن تعلم علم اليقين أن نفحات هذا الشهر وخيريته ليست من نصيب المعرضين الساخرين الذين يتضايقون من هذا الشهر ونظامه، ولا الذين لا يهمهم من الشهر إلا التفنن الزائد في ألوان الأطعمة وصنوف المأكولات، وأمثال هؤلاء المساكين، الذين يبوئون أنفسهم مقاعد البعد من

الله، ومنازل سخطه في رمضان، بسبب سوء صنيعهم وانسياقهم مع الشيطان في مسالك الغواية، فيكون مجيء الشهر وبالاً عليهم والعياذ بالله.

روى أبو هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ رقى المنبر فقال: **(آمين آمين آمين)** فقيل يا رسول الله ما أنت تصنع فقال عليه الصلاة والسلام: **(قال جبريل: أرغم الله أنف عبد دخل رمضان فلم يغفر له فقلت آمين، ثم قال رغم أنف عبد أدرك والديه أو أحدهما فلم يدخله الجنة، فقلت آمين، ثم قال رغم أنف عبد ذكرت عنده، فلم يصل عليك فقلت آمين)**[1].

أجل يا عبد الله إن الصيام أمانة عظيمة بل إن رمضان أمانة حملتها من قبل الله تستوجب الرعاية والاهتمام منك، ولن يثمر لك الصيام ثمرته قربا من ربك، ونيلاً لرضوانه وتأثيراً في سلوكك، إلا إذا رعيت أمانته، ووفيت بحقه، إن في رمضان صائمين ليس لهم من صيامهم ويا للحسرة إلا الجوع والعطش، بما فرطوا في أمر الله ولم يرعوا حرمة الشهر الكريم.

والصيام كما يعيشه المسلم – عبادة تقرب العبد من ربه وتجعله يشعر بأنه محوط بشريعته، ومن ثم تنبعث لدى المسلم في رمضان توجهات ووقفات إيمانية شرعية، كالجود والبذل والتزام السنة، وقراءة القرآن، وحسن الخلق.

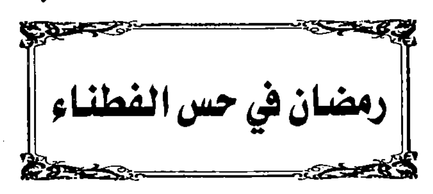
وهذا يعني إن فقه هذه العبادة لا يقف عند حد إطارات الصيام العملية إمساكاً وإفطاراً ومفطرات ونحوها، بل إنه يتضمن ما وراء ذلك من تحفزات عبادية إيمانية، وشعورية.

---

(١) أورده الذهبي في «المهذب»، والألباني في «صحيح الأدب المفرد» (٥٠٢)، وقال: حسن صحيح.

اللهم ربنا كما أنعمت علينا ببلوغ رمضان وأمددتنا بالقوة على صيامه والقيام فيه، نسألك سؤال المعترف بفضلك، المقر بتقصيره، أن تمتعنا فيه بالقبول والرضوان وتجعله شاهداً لنا وشفيعاً عندك يا منان، واكتبنا فيه من عتقائك من النيران، فإنك أنت الجواد الكريم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

* * * * *



رمضان في حس الفطناء

الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه الأخيار والأبرار، وبعد:

ها نحن نتهدى شيئاً فشيئاً في رحاب هذا الشهر الكريم رمضان المبارك وادي الإيمان الخصيب، وموسم المتاجرة الرابحة لذوي الهمم المتنافسة.

شهر رمضان الذي أبان الله منزلته حيث أنزل الله فيه القرآن وفرض الصيام وحاطه بفضائل جمة كرماً وفضلاً على عباده المؤمنين.

ولقد وعي الفطناء لهذا الموسم قيمته واهتبلوا فرصته فعل العارف الحريص، وفي مقدمة هؤلاء الفطناء بل إمامهم نبي الرحمة صلوات الله وسلامه عليه الذي عرف عظيم منزلته وبينها لأصحابه فكان يبشرهم بقدوم رمضان ويحضهم على الاجتهاد فيه والمنافسة في الخيرات ويحذرهم من الغفلة والتهاون فيه.

وقد أخذ نفسه بالنصيب الأوفر من الاجتهاد فيه وتحري مراضي الله والتماس مواقع رحمته وتنزلات نفحاته.

كان يكثر من الصلاة في لياليه ومن قراءة القرآن وكان يعتكف في العشر التي يتحرى فيها ليلة القدر والتي ثبتت في العشر الأواخر وكان بالجود أعظم ما يكون في رمضان حيث كان ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة كما جاء في الروايات[1].

---

(١) رواه البخاري في «الصوم»، ومسلم في «الفضائل».

ثم سلك المقتدون به من صحابته والتابعين لهم بإحسان هذا المنهج العلمي العملي في التعامل مع رمضان.

فاهتموا بالتعرف على فضل هذا الموسم وصنوف العبادة والفضل فيه، وتعريف الناس بذلك بلاغاً لمطلوب الشرع ورغبة في نفع الأمة وتقوية صلتها بخالقها بالطاعات والعبادات.

كما أنهم أثابهم الله تركوا لمن خلفهم صوراً عملية للمنافسة في هذا الشهر ونماذج حية للإقبال الصادق والمجاهدة والتشمير عن ساعد الجد في كل صنوف الطاعات يقول أحد الصالحين وهو يؤكد قيمة الشهر بالنسبة لباقي السنة حيث يمتد تأثيره الإيماني لمن قبل فيه إلى أيام السنة كلها يقول الإمام السرهندي: «إذا وفق الإنسان للخيرات والدعوات الصالحات في هذا الشهر حالفه التوفيق في طول السنة فهو شهر جامع للخيرات وللبركات وكل خير وبركة تصل إلى الناس في طول العام قطرة من هذا البحر وإن جمعية هذا الشهر سبب لجمعية العام كله وتشتت البال فيه سبب لتشتت الحال في بقية الأيام وتوزع البال»، لقد أدرك العارفون أن غاية الصوم – كما يقول ابن القيم في زاد المعاد – حبس النفس عن الشهوات وفطامها عن المألوفات وتضييق مجاري الشيطان وكسر سورة النفس اللاهثة وراء المادة طلباً لرضوان الله واستجابة لأمره مما يحقق التقوى التي بها تنال معية الله وكراماته ومن هنا حذروا من الغفلة عن هذا المعنى في الصيام وأكدوا على ضرورة استحضار غاية الصيام وهو تزكية الروح، وتقواها، وشرطه وهو الإيمان والاحتساب، هذه الغفلة التي وقع في بعض المسلمين وللأسف ممن يصوم – كما يقول الشيخ عبد الرحمن الدوسري

رحمه الله - عن تقليد ومسايرة متوجعاً متحسراً يقتل أوقاته بالنوم والبطالة ويتمنى سرعة انقضاء رمضان كأنه ليس محسوباً من عمره أو ليس فيه زيادة من أجره والعياذ بالله.

ثم إن شهركم هذا أيها المسلمون والمسلمات ليس مجموعة من الأمور السلبية كما يتصور بعض الناس بأنه لا أكل ولا شرب ولا غيبة ولا نميمة ولا رفث ولا فسوق فقط، كلا إن رمضان كما يقول الشيخ الندوي أبو الحسن فضلاً عما سبق مجموعة أمور إيجابية لك فهو زمن العبادة والتلاوة والذكر والتسبيح والبر والمواساة وصلاة التراويح، إنه مهرجان العبادة وموسم المثابرة وربيع الأبرار المخبتين.

لقد كانت المنافسة فضلاً عن التواصي قائمة بين الصالحين بين عباد الله العارفين بقدر هذا الشهر وفضله وهذا ما جعلهم رغم أن شهورهم كلها عامرة بالطاعة والعلم النافع وأعمال البر يخصون رمضان بتكثيف كبير في أعمال البر وصنوف العبادات وشدة توقي ما يضيع الوقت فيما لا ينفع.

وإن من الخير لنا ونحن نتمتع بهذه الفرصة الغالية أن نتحرى فيها ما يقربنا إلى الله وما يرفعنا درجات في مدارج الرضا والقبول والفوز العظيم في الآخرة.

ينبغي للمسلم أن يعرف آداب هذا الشهر في صيامه وقيامه ودروب الخير فيه، وأن يترك مناقضات الإقبال على الله ومفسدات روح العبادة كهجر الفجور واللغو والسباب، وأن يتجنب مفسدات الصوم ويحذر الحوم حول حماها، وأن يأخذ نفسه بأحكام الصيام في سحوره وإمساكه وفطره، وأن يشارك المسلمين في تراويحهم وقيامهم لله، وأن يندفع في سبل الخير المتنوعة دعوة إلى الحق وإصلاحاً لذات البين.

ينبغي له أن يقبل على كتاب الله فرمضان هو شهر القرآن الذي أنزل فيه القرآن.

إننا الآن في عصر من أبرز سماته القلق وكثافة الهموم التي تنهك فكر الإنسان وتكدر مشاعره وتهد صحته وشيع الاضطراب في حياته كلها ولم يعد داء العصر الذي هو القلق محصوراً بفئة أو مجتمع كما كان قبل ذلك لقد أشاع تعقد الحياة وسرعة إيقاعها وتجدد أحداثها وأزيائها وأوضاعها، القلق في حياة سائر الناس.

ولقد أدرك الواعون الملتمسون للنفس أدويتها وترياقها أن رمضان من أعظم وسائل المسلم لاستعادة توزانه الروحي وسكينته النفسية وسعادة قلبه يقول أحد هؤلاء: «الهموم سموم، هذه حقيقة لا مرية فيها وترياقها السكينة والرضا والبر وإشراق القلب بنور الفضائل والحسنات وكلها عواطف خير تبسط العضل وتريح البدن وتفتح الشهية ومن بركات رمضان أنه يعين على صفاء الروح من الأقذار والأوزار فتسمو على نزوات البدن وشهوات النفس ونكد الدنيا وتجد من حلاوة الإيمان ما يفيض على البدن صحة وعلى العقل هدى وعلى النفس سكينة».

فهنيئاً لك أخي المسلم بنعمة ربك عليك بما آتاك من قدرة بدنية وإيمانية على الصيام والقيام وبما فسح لك من الدهر كي تدرك هذا الموسم الكريم الذي تتنوع فيه صور الخير وألوان العبادات والقرب التي تسوق لك من الآثار العظيمة ما أنت محتاج إليه إذا طلبته صادقاً.

إن أردت جهاد النفس عن أن تضعفك الشهوة عن ترك المعصية فهو شهر جهاد النفس.

أو جهادها لقيام الليل ومناجاة خالقك فهو شهر القيام والتهجد، أو الارتباط بالقرآن في صحبة جدية فهو شهر القرآن.

وإن أردت أن تحتفظ بسمت الإيمان في قولك وسمعك وأكلك وشربك وتعاملك مع الناس وتنظيم وقتك فلن تجد مثله في التدرب على ضبط ذلك كله مستقيماً على ميزان الشرع ومتجها به إلى الله.

أسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يفيض علينا من نفحات جوده وأن لا يكلنا إلى أنفسنا طرفة عين، وأن يهدينا الصراط المستقيم.

* * * * *



روحانية الصوم

الحمد لله رب العالمين، خلق الإنسان من طين، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، وصلى الله وسلم على الهادي البشير نبينا محمد وعلى آله وصحابته أجمعين، أما بعد:

نتفيأ الآن ظلال الشهر الكريم، شهر الصوم والقرآن، شهر رمضان، وهو الشهر الذي ما إن يحل بالمسلمين حتى يحدث تغير في أوضاع حياتهم، وفي نفوسهم بالذات. قد يكون التغير كبيراً أو قد يكون ضئيلاً، لكن هناك تغيراً على أي حال.

ويستمر تفاعل المسلمين مع الصوم والشهر الكريم، حتى نهايته، وخصوصاً إذا دعم المسلم حركته، بعبادات مقارنة كالاعتكاف والاعتمار ونحوها، فذلك يجعل أثر الشهر عليه كبيراً، وصقل الصوم لشخصيته عميقاً، ولذا لا بد أن يعي المسلم هذا الجانب، حتى يستثمره من صومه، كيف لا، وقد جعله المولى الكريم سبحانه غاية الصوم، حينما فرضه على عباده في قوله جل وعلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾

[البقرة: ١٨٣].

من أجل هذا لا بد من بيان لهذا الأثر التغييري للصيام، ولرمضان على نفس المسلم الصائم.

ما هي حقيقة الإنسان، هل هي كيانه المادي، لحماً وعظماً وشحماً ودماً، أو هي نزعاته البهيمية، أكلاً وشرباً وجنساً، أو هي أمر فوق ذلك، يميزه عن الحيوانات التي تشاركه العنصرين السابقين.

نعم هو كذلك، إن حقيقة الإنسان هي روحه السماوية التي بها أصبح إنساناً، والتي بها تسمو اهتماماته وتطلعاته، إلى ما وراء عالمه المادي القريب، والتي من أجلها بعد أن نفخها الله فيه من روحه، سجد له الملائكة بأمر الله، ولكن هذه الروح، قائمة بهذا الجسد المادي، ومتأثرة بمطالبه، ومؤثراته ونزعاته.

وهكذا شخصية ابن آدم مزدوجة بين جانبيها المادي والروحي، وهما في حالة تجاذب، كلما ارتفع أحدهما كان على حساب الجانب الآخر، ولا ريب أن المنهج السوي والوضع السليم إنما هو في تعليه جانب الروح، التي تمثل حقيقة الإنسان، على جانب الجسد، وفي تغليب مطالبها على نزعاته دون إضرار بمطالبه الأساسية المشروعة.

وإذا كان التهالك على الشهوات والملذات والاستغراق في إشباع الغرائز وحصر الهمة بإرواء الجسد بمشاهيه، أكلاً وشرباً وجماعاً، يؤدي إلى طغيان الجانب المادي على الجانب الروحي في الإنسان ومن ثم في تحكم الجانب الحيواني في جانبه الإنساني، حيث ينحدر الإنسان إلى مرتبة بهيمة الأنعام أو أقل.

إذا كان هذا هو طريق البهيمية البشرية، فإن هناك طريقاً للارتقاء بالجانب الروحي، وهيمنته على الجانب المادي، حيث يصبح الإنسان في قمة إنسانيته أو يصبح ملائكياً.

والإسلام بمبادئه الإيمانية وأحكامه التشريعية هو طريق ذلك ولكننا سنقتصر على ما في الصوم وشهر رمضان من أثر في تحقيق ذلك.

وهو ما تدل عليه الآية الكريمة، آية فرض الصوم في قوله سبحانه في ختامها: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

أليس هذا هو واقع الصوم في حياة الصائم، الذي ملك نفسه وشهوته وأصبح زمام الحركة في حياته، في يد روحه المرتبطة بربه، الملتزمة بأمره، وشرعه، وترك الطيبات والملذات، مع قربها منه وتيسرها له، وتشوف دوافعه الغريزية إليها، تحقيقاً لالتزامه بمراد الله.

وهكذا يعطي المران على هذا روحه قدرة على التحكم بكيان الإنسان، وتمكناً فائقاً من الارتقاء بصاحبها، نحو الآفاق العليا، التي يقترب فيها من ربه ويتخلص من الجواذب الأرضية والمثبطات الشهوانية.

ولهذا لم يكتف الإسلام في تشريع الصوم، بصورته، بل اهتم بحقيقته وروحه.

فكما حرم الأكل والشرب والجماع، حرم كل ما ينافي مقاصد الصوم وغاياته، ويفسد فوائده الروحية، وعوائده النفسية والإنسانية، وأحاطة بسياج من التقوى والعفة، والغض عن ما يشين، كما جاء في مثل قوله ﷺ: **(إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب وإن سابه أحد أو قاتله فليقل إني صائم)**[١]. وقوله عليه الصلاة والسلام: **(من لم يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه)**[٢].

هذا من جانب ومن جانب آخر فإن الإسلام وهو يعرج بالإنسان في مرتقاه الروحي، من خلال رمضان وصيامه، لم يجعل هذا الشهر محصوراً في تلك الأمور السلبية، تركاً للأكل والشرب، والرفث والفسوق ونحوها، بل فتح فيه

---

(١) رواه البخاري في «الصوم».

(٢) رواه البخاري في «الصوم».

للمسلم شعب الخير الإيجابية، التي تنقل المسلم إذا أقبل عليها من حال إلى حال وترتقي به في عروج لا يتذوق لذته، ولا يدرك عظمته إلا هذا الإنسان الذي وفقه الله لسلوكه، ومن شعب الخير الكثيرة تلاوة الكتاب المجيد، والذكر المتواصل، والبرُ والمواساة، والتنفل بالعبادات المنوعة، وقد جاء عنه ﷺ في حديث عن رمضان قوله ﷺ: (**من تقرب فيه بخصلة من خير، كان كمن أدى فريضة فيما سواه، ومن أدى فريضة فيه، كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه**)[1].

ومن شعب الخير، التي اعتادتها الأمة المسلمة، صلاة التراويح، التي يسمو فيها المسلم في عالم روحاني مع آيات القرآن ومناجاة الكريم، وبين إخوانه المسلمين، وكذلك الاعتكاف الذي ارتبط كثيراً بالصيام، وبرمضان بالذات، والذي يتحقق فيه من السمو الروحي وهدوء النفس وتحررها من نزعات الشهوات ما لا يتحقق في غيره، ولهذا قال عنه ابن القيم ~ في زاد المعاد: «شرع لهم الاعتكاف الذي مقصوده عكوف القلب على الله تعالى وجمعيته عليه والخلوة به، والانقطاع عن الاشتغال بالخلق لمناجاة الله بحيث يصير ذكره وحبه، والإقبال عليه في محل هموم القلب وخطراته، فيصير أنسه بالله، ولذته بمناجاته، وتفرغه لعباداته المحضة، ولا ريب أن هذا قمة الكمال الروحي بالنسبة للإنسان، إذا ما تحققت له صافية هنية، هانت لديه الدنيا، ورخص

---

(١) هذا جزء من حديث الخطبة للبخاري روي أن سلمان الفارسي قال عنها: خطبنا رسول الله ﷺ، في آخر يوم من شعبان، وقد رواه البيهقي وتمكن الألباني في تحقيقه لمشكاة المصباح (١/٦١٣)، قال: إسناده ضعيف.

عنده غاليها، لأنه إنما يطل عليها من أوجه الإنساني الرفيع، ومن أجل هذه الغاية الروحية السامية، ينبغي للمسلم أن يكون يقظاً في صومه في هذا الشهر الفاضل وأن يحذر أن تسيطر عليه التقليدية في عبادته، وفي صومه فيصوم مع الناس ويقوم عادةً ومسايرة، أو لمجرد إبراء الذمة، دون تفكير أو استحضار قيمته الروحية، وأبعاده الإيمانية والإنسانية».

لابد للمسلم لكي يجني ثمار عبادته، وصومه بالذات أن يكون واعياً تعبده لربه، مصدقاً بما وعد سبحانه على هذا العمل متطلعاً إلى القرب من خلال هذه العبادة.

لقد جاء في الصحيح عن رسول الله ﷺ قوله: **(من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه)**[1].

فربطه ﷺ صيام رمضان بالإيمان والاحتساب رغم أنه لا يصوم رمضان إلا مسلم، تأكيدٌ على ضرورة الاستحضار للعبودية، والتصديق والتطلع للثواب، من قبل الصائم ما دامت شرطاً لقبوله عند الله.

نسال الله أن يرزقنا عملاً صالحاً خالصاً، وإيماناً صادقاً، وهمما مقبلة على الخير، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

* * * * *

(١) رواه البخاري في «الصوم»، ومسلم في «صلاة المسافرين».



بعض آداب الصوم

الحمد لله الواحد الجليل أنار السبيل وأقام الدليل، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، خلق الأزمنة والأمكنة، واختص منها ما شاء بتشريفه وتعظيمه، لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه.

وأشهد أن محمداً العربي القرشي، عبد الله ورسوله، بعثه في الأميين رسولاً منهم إليهم، يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة، فقام بدعوته، حتى استقام عودها وأشرقت الدنيا بنورها، اللهم صلي وسلم عليه وعلى آله وصحابته أجمعين، وبعد:

فإن الله ﷻ أنزل دينه الإسلام إلى الناس كي تستقيم به إنسانيتهم ويتحقق به كمال وجودهم، ومن هنا شرع المولى تقدس وتبارك لخلقه الشعائر التعبدية، من صلوات، وصدقات، وصيام، وحج وجهاد وذكر وغيرها، حتى يتزكى بها الإنسان، وتكون وسيلة للقرب من خالقه، ونيل رضوانه وحبه، فيستمد الإنسان الضعيف بهذا القرب، من قوة الله ويتصل وهو الناقص المحدود، بصاحب الكمال والجمال والجلال عز ذكره، فيكسبه ذلك سموا واطمئناناً وسعادة وأماناً، والصيام إحدى هذه العبادات التي تهدف إلى غايات إيمانية سامية في حياة العبد وآخرته، حيث يُصفى الصوم في نفس المسلم الشوائب التي يمكن أن تلوث عبوديته لله، إذ يكسر شهوتي الفرج والبطن، ويسلك به معراج صدق نحو الله، ويحقق خاصية الصبر العظيمة في الإسلام، ويرتفع به عن الدنايا المغرية المهلكة في هذه الدنيا.

ولكن الصوم ومثله سائر العبادات لا يمكن أن يحقق غايته، ويثمر في حياة العبد العاجلة والآجلة إلا إذا أداه المسلم وفق ما شرعه المولى سبحانه، وأتى بآدابه، وهذا ما نبه عليه الرسول ﷺ في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: (الصوم جنة فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، وإن سابه أحد أو قاتله فليقل إني صائم)[1].

وإذا تأملت الحديث الشريف، وجدت تأكيدَ الرسول عليه الصلاة والسلام على ضرورة رعاية المسلم لصومه ووفائه بآدابه، وذلك من وجهين:

الأول: أنه ﷺ بين أن الصوم وقاية لصاحبه من النار، كما ورد: **(جنة أحدكم من النار)**[2] ولكنه بالنهي عن الرفث والفسوق أثناءه فكأن مفهوم الحديث أن صوما تخترقه هذه النواقص قاصر عن تحقيق الوقاية لصاحبه.

الثاني: قوله فإن سابه أحد أو قاتله، فليقل إني صائم، وهذا دليل على أن الصيام الصحيح في دين الإسلام، هو ذلك الذي يمنع المتلبس به، أن يقارف التصرفات السيئة، حتى ولو أغراه الآخرون بها.

وعليه فلابد لك أخي المسلم وأنت الذي ترجو ربك وتخشاه وتطمع في رضاه لا بد أن تراقب الله في صيامك، فلا يكون مجرد كف عن الأكل والشرب والجماع ساعات معدودة.

---

(١) جاء في مسند أحمد قال أحمد شاكر في «تعليقه» (١٥/ ٢٠٠) إسناده صحيح.

(٢) أخرجه النسائي في «الصوم»، وهو حديث حسن وفق ما قاله محقق جامع الأصول (٩/ ٤٥٥).

اجتهد وفقك الله في استكمال آداب الصيام وحياطته بمؤثرات إيمانية وعملية تجعلك بهذا الصيام تقترب من خالقك، وتتمكن أكثر في تدينك وصلاحك، وتتزود به لحياة مقبلة لا تدري على أي وضع ستكون مجرياتها.

وسأذكر لك أيها الأخ الكريم بعض المؤثرات والآداب النافعة لك في صومك إن شاء الله.

هناك آداب قلبية تجيش بها المشاعر، منها استصحاب النية في الصيام طيلة نهارك بل إن الفرض يجب أن تقوم نيته قبل الشروع فيه، أي قبل طلوع الفجر الذي يلزمك الإمساك به، ولذا ينبغي للمسلم الصائم أن يتقي ذهوله عن صيامه، أو تردده فيه كما يحدث لبعض المسافرين الذين يترددون في الإفطار أو قد يعزمون على الإفطار جزءاً من النهار ثم يتراجعون عن ذلك، لا ريب أن هذا مخل بصيامهم والأعمال بالنيات.

ومن الآداب القلبية، تأمل الصائم في نعم الله عليه، حيث يعيش مغموراً ريان شبعان منها طيلة السنة، ما قد يضعف شعوره بقيمتها، حتى إذا ما جاء الشهر الكريم، حفزه الصيام إلى الشعور بقيمتها وعظمتها، فشكر الله عليها.

ومن ذلك أن يحاول استحضار حكم الصيام العظيمة، فإن استحضار الهدف يجعل السالك إليه أشد في تحقيق الوصول إليه.

ومما ينبغي للمسلم الصائم أن يقتنصه من صيامه استغلال صفاء الفكر، وتخفف القلب من مشاكل الحياة، وشفافيته الإيمانية، وهي غالباً ما تحصل للصائم في رمضان خاصة – استغلالها – في محاسبة النفس، وتقويم النظام الذي تسير عليه حياته السابقة، وكذلك مناجاة المولى سبحانه والابتهال إليه،

فحري بقلب مُفرغ من شواغل الدنيا، مقبل على خالقه، أن يقبل ويعطى وهناك آداب عملية ينبغي على الصائم المحتسب أن يقوم بها، ويستوفيها ما استطاع، وينبغي للمسلم أن يباشر الصيام وفق الكيفية التي وجه إليها الشارع الكريم، سحوراً وإمساكاً وإفطاراً، وتخففاً من الأكل بعد الإفطار، فإن الهجوم الشرس المتواصل على الأكل بعد الإفطار وطوال الليل، مما يضعف أثر الصيام في حياة العبد، ويحرمه من حلاوة العبادة الليلية.

وكذلك ملازمة قراءة القرآن والعيش في رحابه، فإن رمضان هو شهر القرآن الذي أنزله الله فيه، ومثل ذلك تعاهد المرء لسانه حتى يظل رطباً بذكر الله.

وينبغي على العبد عموماً أن يجعل يوم صومه يوم مبادرة إلى الخيرات، حافلاً بصنائع المعروف، فيكون فيه مفتاحاً للخير، مغلاقاً للشر، نوراً تتوزع أضواءه على من حوله، وهذا ميدان تنافس عظيم، فطوبى لعبد نافس فسبق، وتيسرت له سبل الخير فولج.

أخرج الإمام مسلم في صحيحه، عن أبي هريرة ﵁ أن النبي ﷺ قال: **(من أصبح منكم اليوم صائماً)**، فقال أبو بكر أنا، قال: **(فمن تبع منكم اليوم جنازة)**، قال أبوبكر أنا، قال: **(فمن أطعم منكم اليوم مسكيناً)**، قال أبو بكر أنا، قال: **(فمن عاد منكم اليوم مريضاً)**، قال أبو بكر أنا قال النبي ﷺ: **(ما اجتمعن في امرئ إلا دخل الجنة)**[1].

---

(١) أخرجه في مسلم في «الزكاة».

هذه بعض آداب الصوم، الذي شرعه الله لخلقه، عبادة له ومصلحة لهم وهي تمثل روح الصوم الذي لا تكمل حقيقته إلا بها فإن الله لا يناله إلا تقوانا في الأعمال لا أشكالها، ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الحج: ٣٧].

وقد تجد نفسك أول الأمر مثقلاً برعاية هذه الآداب، بحكم أنها تقتضي منك التزاماً وتعاهداً وحضوراً نفسياً متتابعاً، ولكن جاهد نفسك، واصبر واستعن بالله فإنك ستجد عاقبة ذلك، لذة في العبادة، وسعادة للنفس، وقرباً من الله، وتأثيراً كبيراً للصوم على حياتك ومستقبلك.

أسأل الله الكريم رب العرش العظيم، أن يمنحنا هداية في العلم والعمل، ولذة في العبادة والمناجاة وأمناً في الحياة وبعد الممات، إنه ولي ذلك والقادر عليه وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله.

* * * * *



بعض مكدرات الصوم

الحمد لله الذي خلق الكائنات كلها، وأعطى كل شيء خلقه ثم هدى، يدبر الأمر من السماء إلى الأرض، ويصرف الكون بحكمته وعلمه، لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الخالق البارئ صاحب الأسماء الحسنى والصفات العلى ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله، نسخ الله برسالته الرسالات، وختم بنبوته النبوات، فانحصر الطريق إلى الله بهديه الكريم، ونوره المبين، فصلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن شريعة الصوم كما أخبرنا المولى سبحانه في كتابه الكريم لم تبدأ بنا نحن أمة محمد ﷺ فقد فرض الله الصيام على الأمم قبلنا ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٣].

بل إن الصوم ليس خاصاً بالديانات ذات الأصل السماوي كاليهودية والنصرانية فقد اشتملت سائر الأديان ذات الشرائع على الصيام وكلفت به أتباعها كالديانة البرهمية والبوذية وغيرها.

ولكن الإسلام حينما جاء بشريعة الصوم، جاء به وفق صيغة سامية، ملائمة للفطرة الإنسانية ومحققة لغاية العبادة الإسلامية، فكان دوره في إصلاح

نسك الصيام عظيماً، كان – كما يقول الندوي في الأركان الأربعة – إصلاحاً جذرياً في مفهوم الصوم، وآدابه وأحكامه، ووضعه وفي تحقيق الفوائد الروحية والاجتماعية، وعمق تأثيره في ذات الفرد وحياة المجتمع.

فالصوم في بعض الديانات خاص بطبقة دون أخرى خلافاً للإسلام الذي يشترك فيه جميع المستوفين شروطه، وفي بعضها الصيام رمز للحزن والمآسي ولتعذيب النفس تكفيراً للخطايا كما في اليهودية حتى أصبح مفهوم الصوم فيها تشاؤمياً قاتماً.

أما في الإسلام فإن الصوم وشهر الصيام سُلّم قرب من الله، واستبشار بفيضه الغامر وترقب لفضل عظيم، وفرح عاجل وآجل، كما ورد في الحديث القدسي الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه: **(للصائم فرحتان فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه)**[1].

ومن ذلك أيضاً قوله ﷺ مبيناً سمو حال الصائم أثناء صيامه: **(لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك)**[2].

هذا هو الصوم الإسلامي، كما أراده الله سبحانه لعباده، مقام سام وعبادة جليلة، تفوق حساب العبادات الأخرى، **(كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به)**[3].

هذا هو الصيام في سمته الإسلامي الرفيع، فماذا يا ترى أنت فاعل به وأنت الذي تطبقه في حياتك، ما مدى محافظتك على ذلك السمت، أيها الأخ الكريم.

---

(١) رواه البخاري في «الصوم»، ومسلم في «الصيام».

(٢) رواه البخاري في «الصوم»، ومسلم في «الصيام».

(٣) رواه البخاري في «الصوم»، ومسلم في «الصيام».

إن هناك كدورات كثيرة من الخواطر، وحصائد اللسان، والتصرفات، تتفلت من عقالها، تريد أن تخرم سمت صيامك، وأن تهبط به عن سموه، وأن تقطع بالتالي حبلك مع الله، حينما يفسد صومك، ويذهب بهاء شهرك.

فحذار أخي المسلم أن تركن إلى شيء من تلك الأعمال المنافية لطهارة الصوم وكماله، مثل ترك الحبل على الغارب للسان في هجر القول، من غيبة ونميمة وسباب وفحش، وهو ما حذر منه الرسول ﷺ حيث قال: **(إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فإن سابه أحد أو شاتمه فليقل إني صائم)**[1]، وقال ﷺ: **(من لم يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه)**[2].

ومن المكدرات المفسدة للصوم، عدم التورع عن ممارسة ما فيه خدش لشعائر الله أو إيذاء للمسلمين، فقد قال جابر رضي الله عنه: (إذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك عن الكذب والمحارم، ودع عنك أذى الجار وليكن عليك وقار وسكينة ولا يكن يوم صومك ويوم فطرك سواء).

وينبغي أن تعي أخي المسلم أن من أعظم الأسباب التي تعوق الصائم عن السمو الذي يحققه الصوم الصحيح للصائمين التهاون بالصلاة، شعيرة الإسلام الكبرى، وفاتحة عباداته التي لا ينظر في تلك العبادات صياماً أو غيره إلا بعد أن تجاز الصلاة.

هذه الصلاة – رغم جليل مقامها في الإسلام – يتساهل بها بعض المسلمين والصائمين، فتصبح إذا أدوها هزيلة ناقصة مختلة ويكون اختلالها:

---

(١) رواه البخاري في «الصوم».

(٢) رواه البخاري في «الصوم».

إما بالتسويف بأدائها، حتى يوشك وقتها أو يخرج، خصوصاً لبعض ذوي الحرف والأعمال المتواصلة وقد وصف الله سبحانه هؤلاء بأنهم قد أضاعوا الصلاة، وإن أدوها بعد خروج وقتها، يقول سبحانه في سورة مريم: ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾ [مريم: ٥٩]، قال المفسرون إنهم لم يتركوها بالكلية وإنما أخروها عن وقتها، وقد توعد سبحانه هؤلاء بالهلاك الماحق وهو الويل في قوله تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾ [الماعون: ٤ – ٥]. وبعض المسلمين لا يهتم بأداء الصلاة مع الجماعة في المساجد مكتفياً بأدائها منفرداً في بيته وهو بهذا يسهم في تعطيل شعيرة عظيمة وهي صلاة الجماعة التي أمر الله بها عباده في أحلك المواقف، موقف القتال.. ﴿ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ۗ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓا أَسْلِحَتَكُمْ ۖ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ [النساء: ١٠٢].

ولهذا كان التخلف عن الصلاة في البيئة الإسلامية الملتزمة علامة على نفاق المتخلف بدون عذر شرعي وقد قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه في حديث له عن الصلاة: (ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق).

وقد يصليها المسلم في وقتها مع الجماعة ولكنه يخل بآدابها ومطلوباتها فلا يقيمها وفق صيغتها الشرعية حتى تصل العبد بربه وتسمو بنفسه فوق شهواتها القريبة الدنية، يصليها مثلاً وهو شارد الذهن غارق في شؤون دنياه يدخل فيها

ويخرج منها دون أن يعقل منها إلا ما قل، إن عقل منها، مع أنه ليس للمرء من صلاته إلى ما عقل منها. ونتيجة لهذا قل الخشوع في الصلاة، وانحسر التدبر والتأمل فيما يقرأه المسلم أو يدعوه في صلاته للأسف الشديد، وقد يزيد الطين بلة، أن تكون الصلاة – لدى هؤلاء – فريضةً مجردة لا تقارنها نوافل أو سنن مؤكدة ونحوها مما يمكن أن يجبر به النقص الوارد على الفريضة.

أخي القارئ لقد بسطت الحديث عن خوارم الصلاة لدى بعض المسلمين في الحديث عن مكدرات الصوم لأن التساهل بالصلاة – إن قليلاً أو كثيراً – شائع في حياة كثيرين لا من المعروفين بقلة اهتمامهم بأمور الدين وحسب بل لدى بعض الموسومين بالخير وطلب العلم، ثم إن هذه الصلاة بذلك المقام الرفيع في الإسلام كيف لا والصيام نفسه لا يمر إلا من بوابتها فإن قبلت نظر فيه وإلا فلا وهي عمود الدين والفارق بين الكفار والمسلمين، وحارسة الإيمان وقرة عين المؤمن وملجؤه في الأزمات.

فلتكن أخي المسلم على وعي بخطير أمر الصلاة في دينك، ولتستثمر شهرك هذا وأنت صافي النفس قريب من خالقك، ملازم لكتابه، في تصحيح صلتك بالصلاة واستدراك جوانب النقص والخلل التي كانت تقع منك علك أن تكون في شهرك هذا من القائمين الفائزين.

والله يحفظني وإياك وإخواننا المسلمين ويشملنا برحمته إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

* * * * *



فطور وسحور

الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض، وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الحي القيوم، الذي لا تأخذه سنة ولا نوم، له ما في السماوات وما في الأرض، لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، وسع كرسه السماوات والأرض، ولا يؤده حفظهما وهو العلي العظيم.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله النبي الأمي، المبعوث في الأمة الأمية، يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث، ويضع عنهم إصرهم والاغلال التي كانت عليهم فصلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحابته الأخيار الأطهار، وبعد:

فإن مما جرت به سنة الله في حياة الناس أنه كلما قويت شعلة الإيمان في الأمة، كانت أكثر حرصاً على تتبع هدي نبيها في أفعاله وتروكاته، في الواجبات والسنن والمندوبات، وكانت أدق في الانضباط على ما رسمه رسولها في أمر الدين توقيتاً وتنظيماً.

أما إذا ضعف الإيمان وشغلت القلب شواغل الدنيا والهوى، صار الإنسان يقتصر على أداء الفرائض بكسل ولا مبالاة وبنفس مشغولة بالهموم الدنيوية، وصار يشعر بثقل العبادات عليه.

نحن الآن في رحاب شهر رمضان الكريم، بتأثير جو عبادة الصيام العظيمة أقرب ما نكون من ربنا ومن تحرى مرضاته ومن الهمة السامية للتقرب منه والتخلي عن ما يسخطه ويباعد منه، لذا ينبغي لنا أن نتأمل في هدي رسولنا ﷺ في هذا

الشهر، خاصة في التزامه حدود ربه، وانضباطه على مرادات الله، دون زيادة غلو أو نقص تفريط، فلعلنا بهذا التأمل نكسب زاداً من العلم والإيمان يرفع حالنا عن وضعها السابق إلى وضع أرضى لله، وأقرب إلى امتثال أمره سبحانه.

تعال أيها الأخ الكريم، نتأمل في فطوره ﷺ وسحوره وما كان يوجه إليه أصحابه بهذا الشأن.

السَّحور هي الأكلة التي يختم بها المسلم أكله قبل إمساكه لصيام يوم جديد، وقد وجه الرسول ﷺ أمته إلى منهجية دقيقة في هذه الجوانب، تجعل للمسلم تميزاً خاصاً، ونكهة إيمانية عذبة، لا يعرفها ولا يسعد بها إلا من أخذ من هذه المنهجية بحظ وافر.

لقد كان ﷺ يتعاهد سحوره ويسميه الغداء المبارك كما جاء في النسائي، **(عليكم بغداء السحور فإنه هو الغداء المبارك)**[1] وبين ﷺ أن في تناول السحور مهما قل حتى ولو كان تمرتين بركة على المتسحر جاء عن أنس أنه ﷺ قال: **(تسحروا فإن في السحور بركة)**[2].

وبين ﷺ في حديث آخر رواه مسلم وغيره عن عمرو بن العاص أن في تسحر المسلم لصيامه معنى إيمانياً آخر وهو مخالفة أهل الكتاب في صيامهم، قال ﷺ: **(فصل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السحر)**[3]، وبهذا نعلم قدر الخير الذي حرم منه أنفسهم أولئك الذين يواصلون الأكل بعد الإفطار

---

(١) رواه النسائي في «الصوم»، قال محقق جامع الأصول (٦/٣٦٣): إسناده حسن.

(٢) رواه البخاري في «الصوم»، ومسلم في «الصيام».

(٣) رواه مسلم في «الصوم»، وكذلك أبو داود.

وأول الليل ليهملوا أكلة السحر، التي دعاهم إليها ﷺ في قوله فيما رواه النسائي عنه : : **(إنها بركة أعطاكم الله إياها فلا تدعوها)**[1].

وبركتها تأتي - والله أعلم من وجه كونها أكلة في وقتٍ فاضل - هو وقت نزول الله إلى السماء الدنيا، ونزول رحماته، وأنها أكلة استجابة لمراد الله، وطلباً للاستعانة بها على الطاعة، وهي فريضة الصيام، لأن الغالب أن وقتها ليس وقت شهوةٍ للطعام، فضلاً عن كونها رمزاً لخصوصية العبادة الإسلامية المخالفة لطريقة أهل الكتاب في صيامهم وتميز المسلم عن مشابهة الآخرين مبدأ من المبادئ التي وجه إليها الإسلام، وحذر المسلم من خرمها، والانسياق مع الأمم الأخرى في أفعالها وأزيائها وطرائق حياتها، فضلاً عن عباداتها وأعيادها، ولهذا قال ﷺ : **(من تشبه بقوم فهو منهم)**[2]، ولقد كانت عزة الأمة المسلمة وغلبتها واحترام الأمم الأخرى لها بسبب تميزها حينما وقفت عند حدود ما جاء به نبيها من عقائد وعبادات وشرائع، وشعرت أنها بما تحمله من هذا الدين فوق الأمم الأخرى، لأن معها الحق المنزل من علم الله، أما غيرها فليس لديه إلا أهواء البشر وفلسفات العقول الكليلة.

وحينما جهل أكثر المسلمين قيمة دينهم في هذه العصور وبهرهم بريق ما عند الغرب من مدنية ملفوفة بفلسفات ضالة وأفكاراً منحرفة وأعراف معوجة لا تستقيم على منهج الله فذهبوا يتسولون عادات وتقاليد وأفكار وأنظمة لحياتهم، متصورين أنهم بذلك يرتفعون بأنفسهم ومجتمعاتهم ولكن الحقيقة

---

(١) رواه النسائي في «الصوم»، وإسناده صحيح كما قال محقق جامع الأصول (٦/ ٣٦٢).

(٢) رواه أبو داود في «اللباس»، وأحمد في «المسند»، قال محقق جامع الأصول (١٠/ ٦٥٧) : إسناده حسن.

المرة أنهم بهذا التقليد قد أذابوا شخصياتهم وتقهقروا بمجتمعاتهم فأصبحوا أذلاء تابعين، لا يحسب لهم حساب ولا يقام لهم وزن.

ومن الآداب التي أكد عليها الرسول ﷺ قولاً وتطبيقاً الالتزام الوقتي الدقيق بموعدي السحور والإفطار. فقد كان يوجه أمته إلى تأخير السحور مبيناً أن ذلك علامة خير في الأمة، كما ورد عنه ﷺ: **(كلوا واشربوا ولا يهيدنكم الساطع المصعد حتى يعترض لكم الأحمر)**[1]. وكان من حرصه على التأخير أن يقول لأصحابه: **(كلوا واشربوا حتى يؤذن ابن أم مكتوم فإنه لا يؤذن حتى يطلع)**[2]، وأن لا يعتمدوا على أذان بلال مع أنه لم يكن بينهما إلا أن يرقى ذا وينزل ذا كما جاء في البخاري.

وليس معنى ذلك أن يتساهل المسلم في المسألة بأن يواصل الأكل والشرب مع الأذان، أو بعد الأذان، فإن الله سبحانه وقت وقتاً محدداً للإمساك، وهو حد من حدود الله، التي ينبغي على المسلم أن يقف عندها بل أن يحتاط لها، حيث قال سبحانه عن حدوده ﴿فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾.

كذلك وجهه ﷺ إلى المبادرة بالإفطار فور تحقق غروب الشمس، عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه قال: كنا مع النبي ﷺ في سفر حتى إذا أمسى قال لرجل: **(أنزل فاجدح لي)** – أي اخلط السويق بالماء قال يا رسول الله لو انتظرت حتى تمسى قال: **(أنزل فأجدح لي... إذا رأيت الليل أقبل من ها هنا**

(١) رواه أبو داود في «الصوم»، والترمذي كذلك، قال في هامش جامع الأصول (٦/ ٣٧٠): إسناده حسن.

(٢) رواه البخاري في «الصوم»، ومسلم في «الصيام».

فقد أفطر الصائم)[1] أي أنه أفطر حكماً وإن لم يطعم شيئاً كما فسره بعض العلماء، أو أنه حل وقت فطره وكان ﷺ يفطر قبل أن يصلي المغرب، وجاء في الحديث القدسي: **(أحب عبادي إلي أعجلهم فطراً)**[2].

ولعل من أسباب أفضلية تعجيل الإفطار مخالفة أهل الكتاب الذين لا يفطرون إلا إذا تميزت النجوم في السماء كما ورد ذلك في الأثر.

ولعل هذه الخيرية التي جعل الرسول ﷺ من علاماتها في الأمة تأخير السحور وتعجيل الفطر، هي الاستقامة على حد الشريعة، دون غلو وتزيد ولا إفراط وتسيب، فإن الخلل إنما يدخل على الناس من أحد هذين الطريقين في جميع أوامر الدين، فإن شريعة الله في جميع العبادات والمعاملات، تمثل نظاماً منضبطاً ضابطاً لحياة الإنسان على الطريق المستقيم، فإذا زاد الإنسان عليها شيئاً لم يشرعه الله، أو أهمل منها أشياء كان ذلك خرقاً لهذا النظام، وأصبحت حياة هذا المسلم فوضى، فعليك يا أخي المسلم أن تنظر في حال نفسك في صلتك بالشريعة، في عباداتك وسائر شئون حياتك، فما كان منك من تقصير وإهمال فاستدركه بالمبادرة والعمل، وما كان منك من تجاوز لما شرع الله فقف فيه عند الحدود المشروعة.

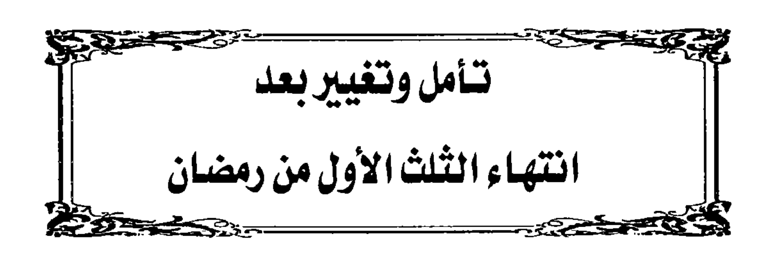
وخذ من شهر الصيام مجال تدرب على الانضباط الدقيق، في فطرك وسحورك وصيامك وقيامك ما دامت نفسك مقبلة ورغبتك قوية.

* * * * *

---

(١) رواه البخاري في «الصوم»، ومسلم في «الصيام».

(٢) رواه الترمذي في «الصوم»، وإسناده ضعيف لكنه يتقوى بأحاديث صحيحة أخرى جاءت بهذا المعنى مثل: **(لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر)**، وهو في البخاري، ومسلم.



تأمل وتغيير بعد انتهاء الثلث الأول من رمضان

الحمد لله العلي الأعلى، يعلم السر وأخفى له ما في السماوات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الأسماء الحسنى، وله الصفات العلى، خلق الزمان والمكان، وبرأ الإنسان والجان، وأمسك بيده مقاليد السماوات والأرض أن تزولا، ولئن زالتا ما أمسكها من أحد من بعده تعالى وتقدس.

وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله، الذي جاء بالحق بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، أشرقت الدنيا بدعوته، واستقامت الحياة البشرية بشريعته، اللهم صل وسلم عليه وعلى آله وصحابته أجمعين، وبعد:

إذا كان رمضان في حس المؤمن بمثابة دورة إيمانية مكثفة، يلين فيها قلبه لذكر الله، ويقترب من ربه خطوات كثيرة، وينعم في رياض القرآن في شهر القرآن، فإن مضي ثلث المدة وهي العشر الأول من رمضان كاف لك أيها الصائم ليظهر أثر الشهر عليك في حبك للخير، وسعيك نحو تصحيح أوضاعك السيئة السابقة.

إنك في رمضان تعيش وضعاً خاصاً متميزاً تشعر بتميزه عن وضعك في الشهور الأخرى، تبدأ يومك بنية صيام اليوم وبالسحور، ثم تعيش نهارك وأنت تشعر بأنك حامل أمانة وأنك في عبادة حتى وأنت في عملك وأنت خارج

بيتك ومسجدك، تشعر بأنك تمارس طاعة لله ولهذا ترى الذكر والتسبيح يتوارد على لسانك، أكثر منه في غير رمضان، وتجلس مع كتاب الله قارئاً مطمئناً أوقاتاً ربما تمضي السنة كلها لم تجلس جزءاً منها، ويأتي المغرب فتفطر لتتهيأ لقيامك بعد ذلك بنفس مقبلة سعيدة.

وهكذا تشعر أخي المسلم أنك في عبادة متواصلة، وأنها هي همك الحاضر وأن مشاعرك قد تحررت من الخيوط الكثيرة، التي كانت تشدها يمنة ويسرة، بعيداً عن الله، كل هذا يورثك تحفظاً من الانشغال الملهي بالدنيا الذي ربما كنت عليه قبل ذلك، وهذا ما يجعل قلبك صافياً مشرقاً، إذا تدبر أبصر وإذا تأمل تبين، ورمضان أيام تمر وسينتهي عما قريب فكن يا عبد الله يقظاً واعياً واستفد من هذا الصفاء الفكري والشفافية التي تعيشها في جو هذا الشهر الكريم استفد منها في مراقبة نفسك، ومراجعة حالك السابق، حتى لا تعود بعد رمضان سيرتك الأولى.

لقد أمر الله سبحانه المشركين أن يجلس كل واحد منهم بنفسه، ومع صديقه الخاص، ليتفكروا في أمر الرسول ﷺ حتى يتبين لهم الهدى ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [سبأ: ٤٦].

فتدارك أوقاتك هذه وخلواتك الصافية قبل أن تعود إلى دوامة الأعمال والمسؤوليات، وشلل الرحلات والجلسات فلا يكون ثمة مجال للتفكير الصحيح الهادئ المؤثر في السلوك.

انظر في تعاملك مع ربك كأنك قادم عليه بعد أسابيع أو شهور وتريد أن تهيئ نفسك لخاتمة حسنة من هذه الحياة، هل أنت من المقصرين الكسالى عن

أوامر الله، الواقعين في مساخطة، ما هي علاقتك بالصلاة عمود الدين، قياماً بأمرها ومحافظة عليها وحرصاً على رواتبها، ما تعظيمك لشعائر الله، إخلاصاً بها لله، وإتياناً بها على وفق شرعه.

هل أنت ممن يغش إخوانه المسلمين، في أمر دينهم، أو في أمور دنياهم، وهل تؤذي أحداً من الناس وتسيء إليه وهل في مداخيلك المالية حرام.

ثم هل أنت من المستهترين بدين الله، الذين يصلون ويصومون، ويحجون، ولكنهم يسخرون من بعض شعائر الإسلام ويستهزئون بدعاته وقد يحاربون أولياءه.

ثم انظر في تعاملك مع أهلك وولدك، هل قمت بمسؤوليتك عنهم، قياماً كافياً، فدعوتهم إلى الحق وحملتهم عليه وصنتهم من عوامل الزيغ التي يمكن أن توردهم المهالك.

وهكذا انظر في جميع أحوالك، وأنت في جو رمضان، جو الإقبال على الله واستحضار اليوم الآخر، وتقصير أمد الأمل في هذه الدنيا، فإن ذلك يساعدك على تلافي النقص، والعزيمة على التوبة والإنابة، وتأمل وأنت في حالك هذه مثل هذه الآيات، ﴿وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الزمر: ٥٥ – ٥٨].

إن رمضان خير معين لذوي الهمم الصادقة في الرجوع إلى الله، وفي إصلاح ما فسد من سالف أزمانهم، فإن من حرم فرصة هذا الشهر، فقد حرم خيراً

كثيراً، ولهذا جاء في الحدث أن جبريل أتى النبي ﷺ فقال: أرغم الله أنف عبد دخل رمضان فلم يغفر له فقال ﷺ: **(آمين)**[1].

رمضان هو شهر الصبر كما جاء ذلك في حديث سلمان الفارسي رضي الله عنه، والصبر قوة معنوية مؤثرة لكننا للأسف نفتقدها في جوانب كثيرة من حياتنا وخاصة أمام الشهوات والملذات أو تحت وطأة المآسي والأحداث، ورمضان حينما يربي المسلم الصائم على الصبر يولد فيه قوة تجعله قادراً على أن يتخذ قرارات مهمة في حياته، لا يستطيع أن يتخذها في أحوال أخرى، كالامتناع الكامل عن بعض المحرمات، خموراً أو مخدرات أو مجالس لهو محرمة، ووقوعاً في بعض الفواحش ومثل ذلك العزيمة الصادقة على التزام الطاعات التي كان مفرطاً فيها فيما سبق.

هذه هي الثمرة التربوية العظيمة التي ينبغي للمسلم أن يستثمرها من هذا الشهر فيغير به نفسه وحاله قبل أن يغادره الشهر سريعاً.

لقد ذكر الله سبحانه في كتابه كثيراً من صفات المؤمنين المتقين التي بها نالوا مقامهم العلي عند الله، ومدحهم بها سبحانه.

ونحن المقصرون المتخلفون عن التحقق بتلك الصفات، نستطيع في هذا الشكر الكريم أن نتمثل كثيراً منها بدرجات أكبر من سائر السنة.

إن الاحتساب والصدق وطهارة الباطن، وتعظيم شعائر الله، والتنافس في الخير، ومقاومة الهوى وتلاوة القرآن، وذكر الله وكف الأذى والإعراض عن اللغو والرضى والشكر والتعلق بالله رجاءً وخوفاً وتوكلاً، ونحوها مما ذكره الله

---

(١) قال الألباني في «صحيح الأدب المفرد» (٥٠٢): حسن صحيح.

في كتابه، كلها صفات يتهيأ للمسلم المقصر أن يتحلى بقدر طيب منها في هذا الموسم الكريم.

وهذا مكسب وايم الحق أي مكسب إذا تلبس بها المسلم الصائم تلبساً يجعلها مؤثرة في حياته وبداية صادقة لشخصيته الجديدة.

وهنا أخي المسلم يتبين الرابح من الخاسر، ويعرف الإنسان أثر صيامه في تغيير شخصيته وقوة إيمانه، وحسن فيأته للحق وقد قال ﷺ: **(ليس الشديد بالصرعة — أي الذي يصرع الناس بقوته العضلية — إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب)**[1].

فهل سيثمر شهرك الكريم لك أن تملك نفسك عن الشهوات المحرمة، أم أنك لن تتجاوز حجز نفسك عن الطعام والشراب في هذه الأيام المعدودة فقط.

أسأل الله الكريم لي ولك ولسائر المسلمين صدق النية وصلاح العمل والثبات على الحق والتوبة عن المساخط إنه ولي ذلك والقادر عليه وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

* * * * *

(١) رواه البخاري في «الأدب»، ومسلم في «البر والصلة».



السفر والمرض

الحمد لله رب العالمين، خلق النفوس وسواها، وألهمها فجورها وتقواها، جعل زكاءها في طاعته وحبه، وجعل خيبتها في البعد عنه وفي معصيته.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الأحد الصمد، الذي يجير ولا يجار عليه، يُحق الحق ويبطل الباطل، لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه، ولا نفاد لخزائنه، تبارك وتعالى وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله بعثه بالهدى والصواب، وأنزل عليه الكتاب، وأعطاه من المزايا ما لم يعطه نبيناً قبله، طبَّق دين ربه ودعا إليه وصبر على الأذى في سبيله حتى نصره الله وأظهر دينه وأعز ذكره.

صلوات الله وسلامه ورحمته وبركاته عليه وعلى إخوانه النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

قال سبحانه في آيات الصيام: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَـٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٥].

في هذه الآيات الكريمة نموذج لرحمة الله الرحيم بعباده وتيسيره عليهم في أمر الشريعة ورفع الحرج عنهم في حال السفر والمرض.

لأن شريعة الله لم تأت لإعنات الإنسان وقهر طاقته وتحطيمه، وإنما جاءت لتطهيره ورفعه إلى مقامه الإنساني الكريم، ولتكميل وجوده على أكمل الوجوه

المكنة لهذا الإنسان، كما قال تبارك وتعالى: ﴿ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [المائدة: ٦].

إن الله ﷻ حينما برأ الكائنات، أعطى كل شيء منها خلقه، ثم هدى كل مخلوق لوظيفته، والإنسان الذي سخر الله له ما في السماوات والأرض جميعاً، وجعله خليفة في أرضه وحمله أمانة العبودية لجلاله وحده لا شريك له أعطاه سبحانه طاقة محدودة ولكنها كافية للقيام بهذه العبودية ومع ذلك فإنه يعرض لهذه الطاقة الإنسانية عوامل قد تهبط بها عن مستواها المعتاد، فتضعف قدرته ويشق عليه التكليف المفروض على غيره وقد يعرض لهذه القدرة الإنسانية ما يجعلها أقدر على الأخذ بأكثر من التكاليف المفروضة والمؤكدة.

والله ﷻ عليم بكل ذلك لأنه هو خالق الإنسان ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤]. ولهذا كان شرعه تعالى مراعياً هذه القدرة محققاً لطاقته وسعها فقد شرع سبحانه للمفرِّدين، ذوي الهمة العالية والإرادات الكبيرة ما يلبي طموحهم ويحقق مبتغاهم في المنافسة في طاعة الله والسبق في مراضيه من نوافل العبادات في الصلاة والصيام والحج والعمرة والصدقات، وبذل المعروف وطلب العلم والذكر وسائر شعب الإيمان وخصائل البر الكثيرة عظيمة الأجور.

كما أنه سبحانه قد خفف عن هذه الطاقة الإنسانية حينما تضعف ويسر عليها حينما يصيبها عارض تهبط به عن وضعها المعتاد، ويشق عليها أداء العبادات بصورتها الأصلية في وضعها المشروع لسائر الناس.

والسفر الذي هو قطعة من العذاب كما جاء عن الرسول ﷺ والمرض الذي تسقط به قوة البدن وتضعف به إرادة النفس، والحرب التي تقلق القلب

وتربك الحركة، كل هذه نماذج للعوارض التي تحدث للإنسان وقد أنزل سبحانه تشريعه في هذه الأحوال الاستثنائية، في الصلاة وفي الصيام كما مر معنا في الآية التي افتتحنا بها هذا الحديث.

وقد بين ﷺ حال المسلم مع الصيام حال السفر في فعله وقوله حيث صام في بعض أسفاره وأفطر في بعضها الآخر مما يدل على التخيير، وبهذا كان عمل الصحابة مع رسول الله ﷺ، قال أنس بن مالك > كما جاء في الصحيحين، كنا نسافر مع النبي ﷺ فلم يعب الصائم على المفطر ولا المفطر على الصائم[1].

على ذلك فقد كان الصحابة رضي الله عنهم يرون أن من وجد قوة ونشاطاً فإن الصيام له حسن وأن من وجد ضعفاً فإن فطره أحسن، كما قال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه.

إما إذا كان السفر منهكاً وأحدث مشقة على الصائم فإنه ينبغي له أن يفطر ولا يكمل صومه فقد أمر ﷺ الناس معه في سفر وهم في يوم صائف أن يشربوا ولما أخبر أن بعض الناس لم يفطر حينما أمر قال ﷺ أولئك العصاة أولئك العصاة[2].

فينبغي لك أخي المسلم أن تفقه حكمة الله في تشريعه وأن لا تشق على نفسك وأهلك في حال السفر، فخذ المناسب لحالكم صياماً أو فطراً.

ومما ينبغي التنبه له أن بعض الناس إذا خرج مسافراً نوى الفطر وجزم عليه، وقد يشتري طعاماً وغذاء ولكنه يتراجع بعد ذلك إما لاستثقال القضاء، أو

---

(١) رواه البخاري في «الصوم»، ومسلم في «الصيام».

(٢) رواه مسلم في «الصيام»، والترمذي في «الصوم»، وكذلك النسائي.

لتوقفه في طريقه، أو غير ذلك من الأسباب مع أنه من المعلوم أن النية هي أساس العمل وشرطه، لقوله ﷺ: **(إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى)**[1] كذلك فإنه حينما يكون هناك في سفر صائمون ومفطرون، فقد يبدي بعض من أبى الإفطار تأففه من القضاء، وتثقيله على المفطرين، فكأنه يتحسر من صيامه، ويود الفكاك منه وهو مع الناس الصائمين فكيف يصوم والناس مفطرون بعد ذلك، وهذا ما لا يليق بالمسلم الذي ينبغي أن لا يجد في صدره حرجاً من شرع ربه، وأن يسلم لأمره وأن يشعر بأن عبادته، سبب لتحقيق سعادته الدنيوية والأخروية، فأولى أن تكون قرة عينه لا قرفاً يتململ منه.

وهناك من يتصور أن الفطر في السفر لا يكون إلا لمن بدأ اليوم من أوله مسافراً والصحيح أن المسافر له الفطر في أي وقت أنشأ السفر ولو بعد العصر.

أما المريض فإن كان لا يشق عليه الصوم ولا يتسبب له بضرر فإن الصوم واجب عليه وإن دخل تحت مسمى المريض لأن اسم المرض واسع، تدخل تحته العلل البسيطة التي لا تؤثر على حال الصائم بل قد يكون الصيام أحياناً عامل شفاء لها كبعض الأمراض التي يُحتمى لها.

وإذا كان الصيام يشق على المريض أو كان يسبب له ضرراً كتشقق في الأنسجة أو حدوث إغماءات مثل ما يحصل لبعض المصابين بمرض السكر شفاهم الله فإنه هنا ينبغي له أن يفطر ويكره له الصيام بل إنه إذا تيقن منه الضرر، فإنه لا يجوز له الصوم، بل يجب عليه الفطر، وحفظ ضرورة النفس، وقضاؤه إذا زال الداء بعد ذلك.

---

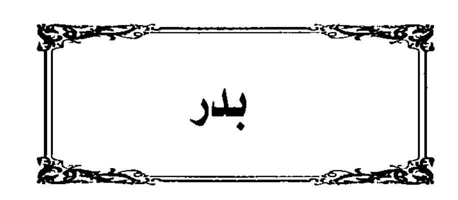
(١) رواه البخاري في «بدء الوحي»، ومسلم في «الإمارة».

وينبغي لك أخي المسلم، أن تكون دائماً على الجادة الوسط فلا تتساهل مع المتساهلين الذين لا يرعون للصوم حرمته، ويفتعلون الأسباب الواهية من أجل الإفطار، سفراً أو مرضاً، ولا تأخذ نفسك ومن تحت يدك بالشدة التي تتجاوز حدود ما شرع الله لعباده من التيسير والتخفيف فتعذب ذاتك، وتجور على نفسك، مع أن الخير في الأخذ بما شرع الله وقد جاء في مسند أحمد ورواه ابن حبان في صحيحه أنه ﷺ قال: **(إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه)**[1].

والله يحفظني وإياك وسائر المسلمين، ويلهمنا السداد والرشاد، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه.

* * * * *

(١) رواه أحمد وابن حبان، قال أحمد شاكر في تعليقه على المسند (١٣٥/٨): إسناده صحيح.



بدر

الحمد لله الملك الحق المبين القاهر الغالب، ذي القوة المتين، له الأولى والآخرة، وهو أحكم الحاكمين، أعوذ به من شرور النفس وسيئات العمل وكيد الشيطان.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الحمد في السماوات والأرض وعشياً وحين تظهرون يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحي الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون.

وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله دعا إلى ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، وجاهد في سبيله جهاداً كبيراً، حتى أقام علائم الحق، وجعل كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى.

عليه صلاة الله وسلامه وتحياته وطيباته وعلى آله وصحبه، وبعد:

فإن لشهر الصيام الكريم رمضان بالعسكرية الإسلامية، والجهاد في سبيل الله صلة وثقى وارتباطاً حميماً، ولم لا يكون ذلك، إنه إن يكن الجهاد تضحية بالنفس في سبيل الله فإن الصيام تضحية بشهوات النفس ولذائذها، وهي الشهوات واللذائذ التي يبذل الإنسان أحياناً نفسه في سبيل تحصيلها.

لقد شهد هذا الشهر المبارك عبر تاريخ الإسلام، عدداً كثيراً من الملاحم الكبرى بين عباد الله المؤمنين، وأهل الشرك الكافرين، كتب الله فيها النصر والتمكين للمسلمين.

غزوة بدر الكبرى التي فرق الله فيها بين الحق والباطل في السنة الثانية من الهجرة، وفتح مكة المبين في السنة العاشرة من الهجرة، ومعركة البويب بين المسلمين والفرس في السنة الرابعة عشر من الهجرة، وفتح الأندلس في رمضان سنة أربع وتسعين، وفتح عمروية في القرن الثالث الهجري، وسقوط حركة بابل الخرمي في القرن نفسه، وانتصار المسلمين على التتار في عين جالوت في القرن السابع، وغيرها من أحداث عسكرية عظيمة وقعت في رمضان وكان فيها نشر لدين الله وانتصار للحق ورد للباطل والظلم.

والأمة الإسلامية اليوم وقد هفا مقامها في العالم، وتكالب عليها الأعداء من كل جانب وفُرض عليها الصراع في أكثر من موقع، حريٌّ بها أن تتأمل في منهج الله في نصر عباده وتمكينهم من خلال العيش في رحاب القرآن الكريم، والتعرف على الأسباب التي ترفع المسلمين من ذلتهم، وتنقذهم من الوهن الذي أصابهم، وتجعلهم على مستوى عباد الله الجديرين بنصر الله وتأييده وتمكينه.

خاصة في هذه الآونة التي زاغت فيها قلوب كثير من الناس بشأن الجهاد في الإسلام فجعله أناس نوعاً من البغي والعدوان، وحاربه آخرون ونادوا باستبعاده من حياة المسلمين في عصر - كما يزعمون - الشرعية الدولية والتعايش السلمي العالمي.

اليوم هو السابع عشر من رمضان، وفي مثله من السنة الثانية للهجرة وقعت غزوة بدر الكبرى بين العصبة المؤمنة بقيادة الرسول ﷺ وأهل الشرك من قريش، وفيها قال المولى سبحانه في سورة الأنفال: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ

بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧﴾ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧ – ١٠].

وما بي أن أذكر وقائع المعركة وأحداثها فهذا ما لا يخفى ولله الحمد من خلال القراءة والسماع، ولكني أشير إلى أن معركة بدرٍ بالذات جرت بتوجيه إلهي مباشر، دفع الناس إلى خوضها ولم يكن أي منهم المسلمون أو المشركون قصدوها في الأساس.

فإن رسول الله وأصحابه، خرجوا طالبين للعير القافلة من الشام لا يريدون حرباً، والمشركون خرجوا من مكة لإنقاذ عيرهم، ولم يكونوا يستهدفون حين خرجوا الالتحام في معركة حامية مع المسلمين.

ولكن الله سبحانه جمعهم بعيداً عن العير المطلوبة، في موقع واحد، دون اتفاق مسبق ﴿وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي ٱلْمِيعَٰدِ ۙ وَلَٰكِن لِّيَقْضِيَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ [الأنفال: ٤٢].

وأنجز الله وعده، وقضى أمره في معركة فاصلة أصبحت معلماً في تاريخ البشرية، ودرساً لأتباع الدعوة الإسلامية تجاه قوى الكفر الباغية الطاغية، حسمت بدر وجهة التاريخ في ذلك العهد، نحو قيادة الحق في الجزيرة العربية ثم ما وراءها.

لقد كانت قريش أشبه بالإمبراطورية المغرورة بمكانتها وإمكاناتها ولم تكن تتصور اهتزازاً لوضعها أو سقوطاً لهيبتها، وكان خروجها من مكة خير تعبير

عن هذا كما أخبر الله عنهم أنهم خرجوا بطراً ورئاء الناس، ويصدون عن سبيل الله، لقد اعتبروا خروجهم مناورة استعراضية، يشربون فيها الخمور وتعزف عليهم القيان وينحرون الإبل، فتزيد هيبتهم لدى العرب كما قالوا ذلك.

ولكن أمر الله غالب فقد عادت قريش بعد ليال من تبجحها تجر أذيال الخيبة، منحلة العرى، مضطربة الحال، قد قتل سبعون من زعمائها.

وهذه سنة الله في خلقه، ليست خاصة بقريش، فمن حارب الله واستكبر على دينه، وصد عن سبيله وناوأ أولياءه فإن مصيره هو هذا المصير، يوردهم الله إياه، إما بعذاب من عنده أو بأيدي المؤمنين مهما كانوا قلة أو ضعفاء ما داموا مع الله، وما اندحار الإمبراطورية الشيوعية في أفغانستان ثم سقوطها السريع عنا ببعيد.

أما الرسول ﷺ ومعه الفئة المؤمنة في مواجهة قريش، فكانوا في قلة من العدد، وفي تواضع شديد في العتاد والعدد، بالمقارنة مع قريش المقابلة، إنهم في الاعتبارات البشرية المادية أذلة كما أخبر القرآن بذلك ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٣]. ولكنهم يحملون مؤهل التفوق وسبب النصر، إنهم مؤمنون بالله وبرسوله، صلتهم بالله عامرة، عبادةً له وقصداً واستعانة به وطلباً منه، وتوكلاً عليه، ومن توكل على الله توكلاً صحيحاً صادقاً كفاه وحماه، ولقد عبر عن هذا أحد القرشيين الكفار وهم مقبلون على بدر حين قال وهو يرى عظمة قريش: إن كنا سنحارب الله كما يقول محمد فلا طاقة لأحد بالله، وإن كنا إنما نقاتل الناس فنحن للناس أكفاء.

والحق أن المسلمين في عصرهم الأخير ما أتوا إلا من قبل ضعف إيمانهم وما أصابتهم المسكنة وغشيهم الوهن وحاق بهم الهوان إلا نتيجة الخلل في هذا الإيمان، في حبهم لله، وفي خضوعهم له، وفي التزامهم بشرعه ودينه، مما جعلهم ينسون الله ويعتمدون في طلب النصر والعزة على الأسباب المادية دونه، فنسيهم الله وسلط عليهم أعداءهم ولن تقوم لهم قائمة ولن يظهروا ويؤثروا في المسيرة الحضارية، إلا إذا عادوا إلى ربهم واعتصموا بحبله، وحكموا شريعته، ولن تنفعهم كثرة الأعداد، ولا وفرة الأموال، ولا ضخامة العتاد وتطوره ما دام الإيمان غائباً عن ساحتهم أو متخلخلاً، بل إن هذه الأشياء تصبح وبالاً عليهم يتطاحنون بها فيما بينهم.

وأبرز خصائص هذا الإيمان الذي تمثله أهل بدر وهم يسيرون إليها وهم يقاتلون فيها هو التوكل على الله والارتباط به سبحانه طلباً للنصر منه، وطمعاً في دخول رضوانه بالشهادة في سبيله، وكذلك الاستسلام الكامل للرسول ﷺ كما تجلى ذلك في كلمات المقداد بن الأسود وسعد بن معاذ رضي الله عنه.

وهو الإيمان الذي وحد قلوب هذه العصبة لا على مصلحة مادية ولا نعرة عرقية وإنما على أساس الإيمان الصادق والعقيدة الإلهية، مرّ مصعب رضي الله بأخيه الكافر أبي عزيز ورجل من الأنصار، يأسره، فقال مصعب للأنصاري شد يدك به فإن أمه ذات متاع لعلها تفديه منك، قال أبو عزيز أهذه وصيتك بأخيك، قال مصعب هو أخي دونك.

ثم إنه الإيمان الذي يجاهد به صاحبه لتكون كلمة الله هي العليا ولينشر عبادة الله في الأرض وكانت تبرز إحدى الخطوات الكبرى والأولى في هذا السبيل

وهذا ما يتضح من قول الرسول ﷺ وهو يناجي ربه في العريش: **(اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض)**[1].

هذه بعض علامات ذلك الإيمان الذي يتوسل به صاحبه لتحقيق النصر والظهور وبلوغ رضا الله تعالى، فهل لنا معشر المنتسبين للإسلام همة تسوقنا للتحلي به واقتفاء سنن أولئك السلف الكريم.

إن رمضان مدرسة تصقل الروح، لتجردها من جواذب الأهواء، وتربي القلب، ليتعلق بالله ﷻ مستغنياً عما سواه، ورمضان بصيامه يشيع روح الحب بين المسلمين، وكل هذه من عدد النصر والتمكين. فليغتنم المسلم هذه الفرصة حتى يفوز منها بربح وفير، ومكسب في دينه كبير.

والله الموفق والمعين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

* * * * *

(١) رواه مسلم في «الجهاد والسير».



الفتح الأعظم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على محمد خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحابته أجمعين، وبعد:

فإن سيرة رسولنا محمد ﷺ في سلمه وحربه مهوى أفئدة أتباعه المتأسين به، وموطن اعتبارهم وتفقههم، إن الفتح الأعظم لمكة المكرمة الذي يتفيأ المسلمون ظلال ذكراه في شهر رمضان كل عام، حيث دخل رسول الله ﷺ مكة فاتحاً صبيحة يوم الجمعة العشرين من رمضان، سنة ثمان من الهجرة، من أخصب الأحداث أثراً، وأكثرها عبراً إنه الفتح، الذي أعز الله به دينه، ورسوله وحزبه الأمين واستنقذ به بلده وبيته، الذي جعله هدى للعالمين، من أيدى الكفار والمشركين، وهو كما يقول ابن القيم، الفتح الذي استبشر به أهل السماء، وضربت أطناب عزه على مناكب الجوزاء، ودخل الناس به في دين الله أفواجاً، وأشرق به وجه الأرض ضياءً وابتهاجاً.

خرج رسول الله ﷺ بالكتائب المؤمنة، من المدينة بعد أن غدرت قريش بحلفاء رسول الله ﷺ من خزاعة، ونقضت عهد الصلح الذي أبرمته مع رسول الله ﷺ في الحديبية، سنة ست من الهجرة، وانضم إلى رسول الله ﷺ وهو في الطريق، عدد من قبائل العرب، حتى بلغ الجيش عشرة آلاف، وكانت قريش بعد نقضها العهد وخيبة أبي سفيان في طلبه تجديده تعيش قلقة مرعبة وتبث عيونها، وقد كان من عيون قريش التي التقت بالجيش قبل وصوله مكة، أبو سفيان بن حرب، وبديل بن ورقاء، وحكيم ابن حزام، وقد أسلموا

وطلبوا من رسول الله ﷺ الأمان لقريش، فقال لهم رسول الله ﷺ: **(من دخل دار أبي سفيان أو المسجد أو أغلق عليه بابه فهو آمن)**[1].

وفي ذي طوى وزع رسول الله ﷺ جيشه، ليدخل مكة من جوانبها، ويقتل من قاتل، حتى يتوافى الجيش داخل مكة، ودخل رسول الله ﷺ مكة متواضعاً خاشعاً لربه مطأطئاً رأسه، وهو على راحلته والمهاجرون والأنصار بين يديه، ودخل المسجد، فاستلم الحجر الأسود، وطاف بالبيت، وكان معه قوس، يطعن به الأصنام المصفوفة حول الكعبة ويقول: «جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا». ثم دعا سادن الكعبة وأمر بالكعبة ففتحت ودخلها وأمر بالصور التي فيها فمحيت وصلى فيها، ثم أطل من بابها على قريش، وهم صفوف ينتظرون ماذا يصنع، فقال لهم بعد خطبة حمد الله فيها وأثنى عليه، ما ترون أني فاعل بكم معشر قريش؟، قالوا خيراً، أخ كريم، وابن أخ كريم، قال فإني أقول لكم كما قال يوسف لإخوته: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يوسف: ٩٢][2].

ورد مفتاح الكعبة إلى سادنها، وأمر بلالاً أن يعلو الكعبة، ويؤذن للصلاة، ودخل ﷺ دار أم هاني، فصلى فيها صلاة الفتح، ثماني ركعات.

وفي غداة يوم الفتح، خطب رسول الله الناس، مؤكداً على حرمة مكة شرفها الله، قال ﷺ: **(أيها الناس، إن الله حرم مكة يوم خلق السماوات والأرض، فهي حرام بحرمة الله، إلى يوم القيامة، فلا يحل لامرئ يؤمن بالله**

(١) رواه مسلم في «الجهاد والسير».

(٢) رواه النسائي في «التفسير».

واليوم الآخر، أن يسفك فيها دماً، أو يعضد بها شجرة، فإن أحد ترخص لقتال رسول الله، فقولوا إن الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم وإنما حلت له ساعة من نهار، وقد عادت حرمتها اليوم، كحرمتها بالأمس)[1].

إن من أعظم العبر في قصة هذا الفتح، ذلك الموقف الذي يمثل معجزة عظيمة لرسول الإسلام، ﷺ، مما يفتقده تاريخ العظماء، فضلاً عمن سواهم، على مر العصور أعني موقفه مع أهل مكة، الذين آذوه ونالوا منه ومن أصحابه، وحبسوه في الشعب وسخروا منه، وحاولوا قتله، ثم وقفوا بقوتهم ضده، وقتلوا من أصحابه، من ظفروا به منهم، ويدخل عليهم منتصراً، تحف به الآلاف من جنود الله، ويقفون أمامه صاغرين، منتظرين حكمه فيهم، فهل انتقم وعاقب، وأخذ بالثأر القديم؟ كلا لقد برز الخلق العظيم للنبي الكريم وظهرت الطبيعة الصافية، المطهرة من الحقد وإيثار المصلحة الشخصية على ما سواها. قال ﷺ: **(اذهبوا فأنتم الطلقاء)**، واستغفر لهم ﷺ فكان ذلك سبيلهم إلى الإسلام، فدخلوا فيه، وفازوا بنعمة الله.

ومن العبر العظيمة في ذلك الفتح، ما أكده الرسول ﷺ، في خطبته ثاني يوم الفتح، من تحريم الله لمكة، تحريماً أبدياً، ومقتضى ذلك التحريم رعايتها من قبل الناس أن يسفك بها دم، أو يعضد بها شجر أو يلتقط بها لقطة إلا للتعريف، أو يُصطاد بها الصيد، بل لقد بلغت حرمتها إلى درجة أن مجرد الإرادة المتوجهة للفساد تعتبر جرماً عظيماً يستحق عليه صاحبه العذاب ﴿إنَّ

---

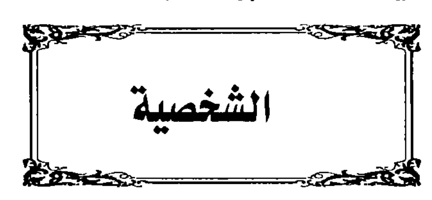
(١) رواه البخاري في «العلم»، ومسلم في «الحج».

ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج : ٢٥].

ومن هاتين العبرتين ينبغي أن يأخذ المسلم منهجه السليم، في التعامل مع الآخرين، وهو يدعوهم إلى الإسلام، هذا من الأولى، وفي تعظيم حرمة مكة، إذا زارها، والعلم بأن ما يمارسه الجاهلون الفاسقون، من إفساد في البلد الأمين، انتهاك لما حرمه الله، وخروج على شرعه.

نسأل الله الهداية والتوفيق، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه.

* * * * *



الحمد لله العليم الخبير، أخبر سبحانه أنه هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل وأنه هو العلي الكبير وأشهد أن لا إله إلا هو وحده لا شريك له الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحانه عما يشركون وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى الآل والصحب الكرام أجمعين، وبعد:

فقد أذن شهر الصيام بالانصرام والقمين بنا معشر المسلمين ونحن نعرف قيمة هذا الشهر ومقام الصيام في الإسلام وفي حياة الصائمين أن نحوز لأنفسنا ما استطعنا من فضائل هذا الشهر وخيراته علماً وإيماناً وذخراً عند الله.

جاء في الحديث الشريف الذي رواه أبو هريرة وأخرجه الشيخان قوله ﷺ: **(وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إني صائم)**[1].

ودلالة الحديث واضحة في أن الصائم ينبغي أن يصون نفسه عن مفسدات الصوم الشهوانية وعن اللغو والفحش في القول لا من حيث الابتداء بهذه الأمور فحسب بل ومن حيث الرد على من استثاره فيها بأن يقف مع صومه سلبياً تجاه هذه الأمور.

---

(١) رواه البخاري في «الصوم»، ومسلم في «الفضائل».

ولكن الحديث يعطينا فضلاً عما سبق توجيهاً نحو ما ينبغي أن يكون عليه المسلم من وقوف مع أوامر دينه وثبات عليها أمام عوامل الانحراف ودعاة الضلال فكما أن المسلم الصائم يقول لمن يريد أن يستزله لما يفسد صومه إني صائم فصيامي يحفظني من الانجراف كذلك يقول المسلم لنفسه أو لمن يدعوه إلى الفواحش والمنكرات إني مصلٍ لأن الصلاة الحقيقية تمثل حمى يحفظ صاحبه من تلك الأمراض، كما قال سبحانه: ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥]. بل إن المسلم حري به أن يقف أمام كل صور الضلال وعوامل الانحراف فكرية أو سلوكية رافضاً لها متعالياً عليها قائلاً إني مسلم؛ ولن يستطيع الإنسان أن يقف هذا الموقف ما لم يكن واعياً بإسلامه مؤمناً به معتزاً بكل عقائده وشرائعه.

وهذا ما سعت التعاليم التي جاء بها الرسول ﷺ لتحقيقه في الذين آمنوا بدين الإسلام من أجل أن يصبحوا شخصيات متميزة بإسلامها معتزة بدينها مستعلية على الباطل والضلال متحررة من التقليد الأعمى والتبعية التائهة.

يقول سبحانه منكراً على المقلدين بدون علم: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٠]، ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٧١].

وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [هود: ١١٣]. وقال سبحانه مخاطباً رسوله ﷺ خطاباً

عاماً لأمته: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٩].

وفي أحاديث الرسول ﷺ الكثير من مثل هذه التوجيهات لأمته بأن يتميزوا بدينهم ويثبتوا على ما جاءهم به من منهج حق قال ﷺ: **(لا يكن أحدكم إمعة يقول أنا مع الناس إن أحسنوا أحسنت وإن أساءوا أسأت ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساءوا أن تجتنبوا إساءتهم)**[(١)]، وحرم عليه الصلاة والسلام تقليد الكفار والتزيي بأزيائهم الخاصة بهم في قوله ﷺ: **(من تشبه بقوم فهو منهم)**[(٢)] وكان ﷺ هو القدوة لأصحابه في الثبات على الحق، والوضوح في المواقف والصراحة تجاه الضلال وأهله والغيرة على محارم الله أن تنتهك.

وربى عليه صلاة الله وسلامه أصحابه على هذا المنهج الكريم فخرجوا من جزيرتهم إلى الناس إلى أهل الحضارات المتقدمة عليهم مدنياً وثقافياً ولكنهم يشعرون بعزتهم على أولئك لأنهم يؤمنون بأن رسالتهم التي يحملون فوق كل الثقافات البشرية وأن فيها الخير والسعادة وما وراءها إلا الشر والشقاء فالناس بحاجة إلى ما عندهم وليس العكس ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝١٨ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُواْ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الجاثية: ١٨ – ١٩].

---

(١) رواه الترمذي في «البر»، قال محقق جامع الأصول (١١/٦٩٩): حديث حسن.

(٢) رواه أبو داود في «اللباس»، وأحمد في «المسند»، وإسناده حسن كما قال محقق جامع الأصول (١٠/٦٥٧).

ولأنهم يؤمنون بأن الرسالة التي جاء بها نبيهم منهاج كامل يغطي حياتهم كلها ويحقق لهم غايتي الدنيا والآخرة فلا يشعرون بأن لديهم نقصاً في دينهم يستعيرون له ما يسدون به هذا النقص.

ولأنهم يحملون هذا المنهج الكامل دون الناس لذا فإنهم يشعرون أنهم أكمل من الناس وأنهم أقرب الناس إلى الله وأقواهم صلة به ولذا فإنهم واثقون من عونه ونصره وما قطعه لهم من وعود مأتية لأنه لا يخلف الميعاد.

لذا نشطوا في فتوحهم وجهادهم أمام قوى وأمم أكثر وأوفر عدداً منهم واثقين من نصر الله وتأييده لهم.

أما نحن اليوم أبناء العصور المتأخرة فقد تغيرت الحال بنا فلقد أدى ضعف التزام المسلمين بإسلامهم وعدم فقههم له وبعدهم عن الكتاب العزيز الذي هو مصدر نور القلوب وحياة النفوس أدى ذلك بهم إلى شعور بالنقص والفقر وجاء الغزو الفكري المسلط من أعداء المسلمين ليزيد الطين بلة حينما صار يصف المسلمين وما عندهم بالتخلف والجمود ويضفي على ما لديه من ثقافات وطرائق مدنية صفات التقدم والنضوج ويسوقها بأساليب مغرية خادعة مما جعل كثيراً من المسلمين يفتتن بما عند أولئك الكفار، ويتصور فيه الخير والنهوض ويسعى لتقليدهم واستنساخ ما تعج به أفكارهم ومجتمعاتهم ويتخلى عن ما يتناقض مع ما استقدمه منهم.

ولقد أدى هذا إلى فساد في حياة كثير من المسلمين حيث تاه هؤلاء وذابت شخصياتهم وأصبح فكرهم وسلوكهم متقلباً متغيراً كالسبورة التي يكتب فيها ثم يمحى ويكتب غيره وهكذا.

وتلاعبت بعقول هؤلاء الإمعات من المسلمين الصحافة والإعلام والدعايات ودور الأزياء وغيرها فأبعدت بها النجعة عن أن تستوي على صراط أو تثوب إلى رشد.

وسبب الوقوع في هذه الفتنة الطاغية التي ما زال بعض المنتسبين إلى الإسلام يسير في عمايتها حتى الآن هو أن الأمة المسلمة ضعف إمساكها بالحبل الذي به تعرف وجهتها وغايتها ومنهجها وهو القرآن الكريم.

والحق أن شخصيتنا ونهضتنا هي بحملنا القرآن وفقهنا لمراد الله فيه وتطبيقنا لتعاليمه، ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَـٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠].

إن التوسع في المعارف والفنون والآداب والإمكانيات المادية مهما بلغ شأونا فيها لن يرفع مقامنا ولن يحل مشكلاتنا ما دمنا عن كتاب ربنا معرضين ولأحكامه مخالفين.

إن غلبة المسلمين العسكرية وتفوقهم الحضاري لم يرتكز على فلسفات ومعارف لدى الصحابة الكرام وإنما هي راجعة إلى أنهم بنوا حركتهم وفكرهم على التعاليم التي جاء بها محمد صلى الله عليه سلم في القرآن والسنة.

فلنعد أيها المسلمون إلى حقيقتنا بصفتنا مسلمين وليكن موقفنا من الآخرين وما عند الآخرين قائماً على أن الحق هو ما قرره ديننا فما وافقه فهو حق وما خالفه فهو باطل وعلى أن تقليدنا لهم زراية بأنفسنا وخرم لإيماننا واقتراف لما نهانا الله عنه حينما قال سبحانه: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨].

ولنأخذ من موقف الترفع الذي يمارسه الصائم حينما يراد جره إلى ما يخدش صومه حينما يقول إني صائم معبراً بذلك عن رفضه أن يفعل ما يخل بصومه، لنأخذ منه درساً مضيئاً يكون سمتاً عاماً لحياة كل واحد منا أمام دواعي الانحراف التي تعتورنا ليل نهار والله هو الموفق والمعين.

* * * * *



الإخلاص

الحمد لله الواحد العليم الفتاح الكريم، وأشهد أن لا إله إلا الله الملك القدوس، السلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبار، المتكبر، سبحانه.

وأشهد أن محمداً سيدنا عبده ورسوله أنزل عليه الكتاب، وأحاطه بجيل فائق من الأصحاب صلى الله عليه وعلى آله الأكرمين وصحبه الميامين، وبعد:

إخوة الإيمان:

ونحن نتهادى شيئاً فشيئاً في فقه الصيام، من خلال النصوص الكريمة الواردة فيه، نقف اليوم مع بعض دلالات حديث نبوي شريف، في جليل قدر عبادة الصوم في الإسلام.

فقد روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: **(كل عمل ابن آدم يضاعف له، الحسنة بعشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف)**، قال الله تعالى: **(إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به، يدع شهوته وطعامه من أجلي، للصائم فرحتان، فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه، ولخلوف فم الصائم عند الله، أطيب من ريح المسك، والصيام جنة، وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابه أحد أو قاتله، فليقل إني امرؤ صائم)**[1].

إن المسلم الصائم حينما يعيش في رحاب هذا النور النبوي المشرق قارئاً له أو مستمعاً، يغمره فرح إيماني وسعادة، ويشعر قلبه بسعة رحمة الله على عباده

---

(١) رواه البخاري في «الصوم»، ومسلم في «الصيام».

المتقين، وتنفسح أمامه مساحات من الرجاء الكبير بموعود الله من الخير والكرم، الذي لا يحيط البشر بتقديره، إن هذا الحديث يحمل بشارات عظيمة للمؤمن الصائم، ولنتأمل:

* إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به.

* لصائم فرحتان.

* لخلوف فم الصائم أطيب من عند الله من ريح المسك

* الصوم جنة.

إن المولى الكريم سبحانه هو الذي خلقنا بعد أن لم نكن شيئاً مذكوراً، وهو الذي أمدنا بأسباب وجودنا، ثم إنه امتن علينا بالهداية، وأعطانا شرعة تقوم بها مصالحنا، إذا أخذنا بها والتزمنا منهجها، ثم إنه سبحانه فضلاً منه وكرماً جعل هذه العبادات والأعمال الصالحة سبباً لكسب الحسنات التي تقرب منه وتنيل رضوانه.

وإذا كان تبارك في علاه لا يكتب على العبد السيئة التي يعملها إلا سيئة مثلها، فإنه في المقابل وهو الكريم الوهاب قدّر للعبد يعمل الحسنة عشرة أضعافها إلى سبعمائة، ولكن فضل الله وعطاءه ورحمته لا تقف عند حدود الحسابات والإحصاء، وقد أخبر تعالى في الحديث أن الصيام لا يجري المجرى، وأنه ينفرد عن العبادات الأخرى التي يجري فيها التضعيف، لأنه فوق ذلك، «إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به».

لقد وقف علماء السنة كثيراً أمام هذا الحديث، متأملين قوله تعالى: (إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به) مع أن الأعمال العبادية كلها لله وهو

الـذي يجـزي فقـالوا أقـولاً كـثيرة ذكـر منهـا الإمـام ابـن حجـر في فـتح البـاري عشرة أقوال.

ومما قيـل في ذلك إن أعمـال الـبر الأخرى، كالـصلاة والزكـاة والحـج، أفعـال إيجابية ظاهرة يمكـن أن يداخلـها الريـاء ولـو يسيراً، أمـا الـصيام فإنـه عمـل سـلبي تركي، لأنه إمساك، فهو وإن كان عمل جوارح إلا أنه في حقيقته قلبي أكثر من غيره، لأن باستطاعة من لا يريد الصيام وهو في مجتمع محافظ أن يطعم ثم يـدعى أنه صائم، دون أن يتبين الناس حقيقة أمره، وإنما الـذي يراقبه المؤمن في صيامه هو الحي القيوم الذي لا تخفى عليه خافية ولا يغيب عنه فعل سبحانه، ولهذا قال سبحانه بعد هذا: يترك شهوته وطعامه من أجلي.

كمـا قيـل أيـضاً: إن الفـارق بـين الـصوم والعبـادات الأخـرى هـو أن تلـك العبـادات تقـوم بهـا بعـض حظـوظ للـنفس ثنـاءً علـى صـاحبها كمـا في الـصلاة، وجاهاً عند الناس كما في الزكاة، خلافاً للصوم الـذي لـيس فيه شـيء مـن هـذه الحظوظ، بل إنه فضلاً عن هذا يقتضي مرابطة نفسية، وحراسة للجوارح، أمام شهواتها طيلة أيام الصيام، ولهذا سمى الرسول ﷺ رمضان شهر الصبر[1] — وثواب الصبر فوق الحساب كما قال سبحانه: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزُّمر: ١٠].

إن المؤمن الصائم يعيش وهـو صـائم استحـضاراً متواصـلاً لاطـلاع الله عليـه وتطلعـاً حيـاً لقـرب الله ورضـوانه وهـذه الحـال تمثـل في الإسـلام أعلـى مقامـات

---

(١) جاء في مسند أحمد: «صوم شهر الصبر وثلاثة أيام من كل شهر صوم الدهر»، قال محققو المسند (١٣/ ٢٢): إسناده صحيح.

الدين، وهو مقام الإحسان الذي بينه الرسول ﷺ في حديث جبريل عليه السلام، بأنه عبادتك الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

وهذه المرتبة تمثل قمة الإخلاص الذي جعله الله شرطاً لقبول الأعمال ولصحة الدين ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزُّمر: ٢ – ٣].

هذا الإخلاص الذي رغم أهميته في التعبد وارتهان الأعمال به كما في قوله ﷺ: **(إنما الأعمال بالنيات)**[1] من السهل أن يثلم الشيطان حده بالشرك الأصغر الذي تخوف منه ﷺ على أمته حيث يتسرب إلى قلب العبد بخفاء قد لا يعيه أول أمره ثم يستفحل شيئاً فشيئاً حتى يفسد على العبد أعماله وينحرف به عن ربه.

إن رمضان والصيام مدرسة في خلق الإخلاص الذي يعيشه المسلم متواصلاً معه **(يدع طعامه وشرابه وشهوته من أجلي)**.

ومن هنا فإن المسلمين اليوم والفتن تحوطهم من كل جانب تحاول أن تسرق منهم إخلاصهم وتستبد بجهودهم حتى آل الأمر إلى أن أصبحت أعمال بعض المسلمين كالتبرعات المالية، وطلب العلم وتعليمه والوساطات، وتبوأ المواقع المؤثرة ونحو ذلك من الخدمات والأعمال الاجتماعية، تحكمها اعتبارات المصالح المتبادلة أو طلب الشهرة والوجاهة الاجتماعية، أو الحظوظ الدنيوية

---

(١) رواه البخاري في «بدء الوحي»، ومسلم في «الإمارة».

دون اعتبار لقصد وجه الله ورجاء رضوانه وادخار تلك الأعمال عنده أو أنها تقصد لكن مع شوائب كثيرة من تلك المقاصد الدنيوية القريبة، وقد قال سبحانه في الحديث القدسي: **(أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه)**[1].

إن كثيراً من الأمراض الاجتماعية المتفشية في مجتمعات المسلمين كالغش والرشوة وضعف الأمانة عند الموظف في وظيفته أو العامل مع سيده وافتقاد الثقة بين الناس، واتباع كثير من الخلق الهوى والشهوات، إن هذه الأمراض وأشباهها ثمار لضعف الإخلاص في حياة المسلمين.

ولن يرتفع شأنهم وتستقيم حياتهم ويكونون بموقع الرضى من ربهم إلا إذا عاد الإخلاص يحكم أمورهم ويحدد وجهة عباداتهم وأعمالهم.

والصيام كما نعيه من هذا الحديث وكما يعيشه المسلم يربي الصائم على خلق الإخلاص حيث يظل طيلة نهاره مراقباً الله وحده في عدم أكله وشربه وطعامه فهل لنا معشر المسلمين أن نستوعب هذا الخلق الكريم العظيم: الإخلاص لله في العمل، فننشره على سائر أعمالنا ونغلب الشيطان على حظه منها فنكون من عباد الله المخلِصين المخلَصين الذي ليس له عليهم سلطان ولا سبيل.

وختاماً ينبغي أن لا يغيب عن بالك أخي أن الشارع لم يغفل عن أن هذا الصيام رغم أنه أحرى العبادات بتحقيق الإخلاص، إلا أنه قد يعرض له ما يعرض للعبادات الأخرى، بحيث يصبح ممارسة روتينية، أي تقليداً يعتاده الإنسان كل عام أو يصومه مسايرة لمجتمعه ونحو ذلك، لهذا قال ﷺ مشترطاً

---

(١) رواه مسلم في «الزهد».

لاعتبار الصوم مقبولاً عند الله: **(من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه)**[1].

اللهم يا كريم يا رحيم، أرزقنا الإخلاص في عباداتنا وأعمالنا وأعذنا اللهم من الشرك والرياء والعجب والسمعة واجعل صيامنا مقبولاً لديك ذخراً لنا عندك، وزاداً لنا في حياتنا، إنك مجيب الدعاء، قريب الرجاء.

وصلى الله وسلم على محمد نبينا وعلى آله وصحبه.

* * * * *

(١) رواه البخاري في «الصوم»، ومسلم في «صلاة المسافرين».



التقوى

الحمد لله الكريم صاحب الفضل والإحسان، امتن على من شاء بهدايته إلى الإيمان وخذل من شاء بعد له فصار من أهل الكفر والطغيان، أحمده وأشكره.

وأشهد أن لا إله إلا الله، الواحد الأحد، لم يتخذ ولداً، ولم يكن له شريك في الملك، ولم يكن له ولي من الذل وهو الكبير المتعال.

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبد الله ورسوله بعثه إلى الناس كافة، وختم به النبوات، وفضله بالشفاعة الكبرى يوم الحساب، فصلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فتعالوا إخوة الإيمان وأنتم تجدون حلاوة الصوم في نفوسكم نتأمل في آية الصوم الكريمة علنا نتضوع بأريجها وتشرق نفوسنا بنورها.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣].

هذه هي الآية الثالثة والثمانون بعد المائة من سورة البقرة، وهي أول آيات الصيام التالية لها وقد أعلن المولى الكريم سبحانه بخطاب مباشر إلى عباده المؤمنين به حيث يبلغهم رسوله الموجود بينهم، وذلك في السنة الثانية من الهجرة، ودعوته ﷺ قد أوفت على أربعة عشر عاماً من بدئها – أعلن سبحانه – فرض الصيام عليهم وعلى من وراءهم مكاناً وزماناً إلى أن تقوم الساعة، شريعة قائمة خالدة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾، وبادر

الصحابة رضي الله عنهم مع رسول الله ﷺ يصومون رمضان ويأخذون أحكامه لأنهم كانوا على يقين أن كل تشريع ينزل عليهم يمثل عنصراً لتحقيق سعادتهم، ومقوماً في كمال حياتهم، أو ليسوا عليهم رضوان الله يؤمنون عميق الإيمان بقوله جل وعز: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾

[الأنفال: ٢٤].

وأخبر سبحانه عباده أن شريعة الصوم ليست نوعية مربوطة بظرف زماني أو مكاني أو أحوال خاصة تقف عندها كبعض التشريعات التي اختلفت بين الأمم والنبوات إنها شريعة ثابتة استمر تشريعها على الأمم السابقة حتى أمة محمد ﷺ وفي هذا لا شك دلالة على ارتباطها بجانب الثبات في الكيان الإنساني، دون الأوضاع المتغيرة، ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣].

ثم نفيض من هذا إلى ختام الآية ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ حيث تتعلق القلوب الواعية بهذا المقام العظيم «التقوى» الذي جعله الله غاية لصيام الصائمين ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣].

ولا ريب أن هناك حكماً كثيرة لعبادة الصوم، التي شرعها الله لعباده، يتطلبها الباحثون في أسرار الشريعة والمتذوقون لهذه العبادة، ولكني سأقتصر على التقوى حيث جاء بها الذكر الحكيم وأجلل بها من حكمة لو عرفنا حقيقتها وأبعادها.

فما هي هذه التقوى وما مقامها في دين الله وما موقعنا منها في حياتنا؟

إن التقوى، ملكة أو قوة، إذا وجدت عند شخص صبغت حياته بصبغة الله، صبغة الهدى والدين، وصارت تدفعه نحو الخير والطاعات، وتردعه عن الفواحش والمشتبهات، وتملأ نفسه بحب الله، والرغبة فيما عنده، ومشاعره باستحضار عظمة الله وجلاله واطلاعه وعقابه، ومن ثم فإن صاحب التقوى يعيش بين الناس وهو مع الله سبحانه، ويتحرك في حياته، ولكن وفق ميزان الشرع لا يحيد، ويمارس أعماله ولكن نياته الخاصة تسبقها نحو خالقه.

هذه هي التقوى التي جعلها الله وصيته إلى عباده أجمعين، السابقين واللاحقين كما قال سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا﴾ [النساء: ١٣١].

وهي أفضل زاد يتزوده الإنسان في حياته كما قال تبارك وتعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة: ١٩٧].

والواحد منا وهو في مطاوي أيام السنة، يغفل ويضعف ولكنه تمر به أوقات أو أحداث تنبهه فيعود إلى نفسه مؤنباً وفي التزام الشريعة راغباً ولكنه سرعان ما تهن عزيمته ويغفل عن ربه، لأن نفسه ضعيفة لا تصمد أمام مغريات الركود والتراجع، فتكل وتمل وإلى سالف عهدها المشين تنسل، وسبب ذلك فقدها ملكة التقوى التي تشدها نحو الخير، وتحررها من جواذب الشر ومن ثم يظل هذا الإنسان يسوف بالتوبة والاستقامة آملاً في أن تتجدد الأحوال.

ويأتي رمضان ليحقق للراغبين الصادقين، هذه الحكمة الجليلة: التقوى التي تحمي النفوس من الضعف والخور، ولهذا قال ﷺ في حديث التأمين الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه: (آمين)، بعد أن قال جبريل عليه السلام: (أرغم الله أنف عبد دخل رمضان فلم يغفر له)[1].

ولأهمية هذه المنزلة الكريمة عند الله، منزلة التقوى، فقد أخبرنا الله عنها في كتابه، في آيات كثيرة مرغباً فيها مبيناً عظيم أثرها.

فقد ذكر تعالى أن من علائمها أنها تحفظ صاحبها من التمادي في غواية الشيطان، وترده دوماً نحو ربه فما إن يقع في هفوة أو معصية، حتى تجيش في نفسه التقوى فيعرف خطأه ويثوب إلى ربه ورشده، قال سبحانه في سورة الأعراف: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١]، كما بين أنها ترتفع بصاحبها عن مستوى الشبهة إلى مقام المسلم اليقظ لنفسه المتعالي على الدنايا ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ [الأحزاب: ٣٢].

وفي آية كريمة يعدد سبحانه بعض الشعب الإيمانية للذين حازوا فضيلة التقوى حيث حازوا بسببها هذه التقوى يقول سبحانه في سورة آل عمران: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٥].

---

(١) قال الألباني في «صحيح الأدب المفرد» (٥٠٢): حسن صحيح.

وبهذه التقوى ينال العبد خيري الدنيا والآخرة، كيف لا وبها حظي بالمعية الخاصة بخالقه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨]. إن التقوى تضيء في حياة الإنسان نوراً يعرف به الحسن من السيء، بحيث لا تلتبس به الأهواء كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الأنفال: ٢٩].

بل إن أبواب الخير تفتح للعبد بسببها ويجد عوناً على كل ضائقة حيث قال سبحانه: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق: ٣].

ومثل ذلك قوله سبحانه: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: ٩٦].

وإذا كان هذا من ثمرات التقوى على العبد في الدنيا فإن ثمرتها الكبرى غداً يوم القيامة لأن العاقبة للتقوى كما أخبر بذلك سبحانه: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢-٦٣].

هذه أخي المسلم هي التقوى الجامعة لكل فضل ذكرها سبحانه كغاية للصيام الذي شرعه لعباده، وتحققها لك وارتفاع معدل تأثيرها في حياتك مرجعه إليك، فالله الله في صيامك، راع آدابه، واستجمع أطرافه، واحذر مفسداته عليك فكلما كان صيامك قويماً صحيحاً كان تحقيقه لآثاره ومنها التقوى أكمل وأعظم.

واعلم أن من العلماء من قال إن في قوله سبحانه: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ بعد فرض الصيام إشارة إلى طلب التقوى في الصيام نفسه بأن يتقي ما يبطله أو ينقضه من رياء أو سمعة أو غيبة أو أخذ للباطل ونحو ذلك.

أسأل الله أن يحفظنا جميعاً بحفظه وأن يكلأنا برعايته، وأن يتقبلنا في عباده المتقين، إنه ولي ذلك والقادر عليه وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

* * * * *



الدعاء

الحمد لله الذي أشرقت بنور وجهه الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة.

أحمده وأشكره وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ما من دابة في الأرض إلا عليه تعالى رزقها، ويعلم مستقرها ومستودعها، هو الذي خلقها وإليه مآلها.

وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله كان أتقى الناس لربه وأخشاهم له، غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ومع ذلك كان دائب التوبة والاستغفار.

عليه صلاة الله وسلامه وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

في غضون آيات الصيام الواردة في سورة البقرة جاء قوله سبحانه: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٦].

وقد ورد في سبب نزول هذه الآية أن أناساً – لعلهم من الأعراب – سألوا رسول الله ﷺ أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه، فسكت النبي ﷺ فأنزل الله عز وجل هذه الآية.

أما مناسبة مجيئها ضمن آيات الصيام، فهو قوة الارتباط بين حال الصائمين وذكر الله ودعائه فإن الصيام عبادة يستشعر فيها الإنسان قربه من ربه طوال وقته، والصيام إعداد لذكر الله والتقرب إليه بالطاعات والتضرع إليه بالدعاء.

ولهذا وردت أحاديث بشأن الدعاء مقترنة بحال الصوم فقد روى ابن ماجة عن عبد الله بن عمر عن النبي ﷺ: **(إن للصائم عند فطره دعوة لا ترد)**[1]، وروى أحمد والترمذي وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(ثلاثة لا ترد دعوتهم وذكر منهم الصائم حين يفطر)**[2].

وأحاديث أخرى ذكرت أنواعاً من الأدعية عند الإفطار وفي ليلة القدر ونحو ذلك، ولكن ذكر الله ودعاءه ليس مختصاً برمضان، إنهما يمثلان توحيد الإلهية، الذي خلق الله الخلق من أجله، وهو عبادته سبحانه بالقصد والطلب، فذكر الله هو جانب القصد، ودعاؤه سبحانه هو جانب الطلب.

ولهذا أمر الله عباده بالدعاء والتضرع إليه وسؤاله الحاجات والاستغاثة به من الكربات ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦]. وجعل سبحانه الإعراض عن دعائه استكباراً عن عبادته وتعالياً عليه ولهذا فإن عقاب هؤلاء المعرضين هو النار، يدخلونها صاغرين جزاء تكبرهم على خالقهم، ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

---

(١) رواه ابن ماجة في «الصيام»، قال محقق سنن ابن ماجة (١/ ٣٢١): إسناده في الزوائد صحيح.

(٢) رواه الترمذي في «صفة الجنة»، وأحمد والدارمي وابن حبان في «صحيحه»، قال محقق جامع الأصول (١١/ ١٣): له شواهد وطرق يقوى بها وإلا ففي سنده ضعف.

وبين ﷺ أن الدعاء هو العبادة فيما رواه أبو داود والترمذي وغيرهم: **(الدعاء هو العبادة)**[1] فالدعاء إذن هو صلتك بالله التي بها يكون مقامك عنده وقد قال سبحانه: ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾ [الفرقان: ٧٧]. دعاء المسألة ودعاء العبادة.

والمسلم حين تشف نفسه في بعض الأحوال ويتصل همه بالله إما في حالة اضطرار أو في حالة عبادة كالصيام والتهجد وأثناء السجود يجد للدعاء في تلك الحالات أمراً عجيباً في نفسه، وفي زيادة قربه من الله وفي شعوره بانزياح الهم الذي كان ينوء به، ويشعر أثناء ذلك الدعاء كيف يقوى رجاؤه شيئاً فشيئاً.

كما أن للدعاء أثراً في حياة الإنسان، فالذي امتن عليه خالقه بكثرة الدعاء والتضرع والاعتماد على الله يعيش ملحوظاً بعين الرعاية من الله موفق الحركة مسدد الخطا.

وينبغي أن تعي أخي أن دعاءك ربك صلة قوية بينك وبينه وأن هذه الصلة بركة عليك ولو لم تستجب دعوتك فيما دعوت به بالتحديد.

وللدعاء آداب تؤهله لتحقيق ثمرته، ولاستجابة الله له وهي كثيرة لكن جامعها حضور القلب وصحة توجهه لله أثناء الدعاء، فقد ورد أن الله لا يقبل دعاءً من قلب غافل ساه، والثناء على الله تعالى بما هو أهله، والصلاة على النبي ﷺ لما ورد في حديث صحيح: **(كل دعاء محجوب حتى يصلى على النبي ﷺ)**[2]، وأن لا يعتدي في دعائه بأن يدعو بقطيعة رحم أو إثم، وأن يتحرى

---

(١) رواه أبو داود في «الصلاة»، والترمذي في «التفسير»، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح، انظر: جامع الأصول (٩/٥١١).

(٢) سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني (٢٠٣٥)، قال عنه: إنه حسن بشواهده.

الحلال في طعامه وشرابه وثروته ومعاملاته فإن أكل الحرام والتعامل به من أكبر أسباب رد الدعاء، كما ورد في حديث الأشعث الأغبر الذي يُلح بالدعاء ولكنَّ الله لا يستجيب له لأن مطعمه حرام ومشربه حرام وغذي من حرام(١).

ويجدر بالمسلم حرصاً على طلب الكمال في دعائه أن يتحرى أوقات الإجابة، كآخر الليل وعند الإفطار من الصوم وفي أدبار الصلوات وأثناء السجود وآخر يوم الجمعة، وأثناء سفره في طاعة الله ونحو ذلك، كما يتحرى الأدعية الشرعية المأثورة حتى يسلم من الوقوع في الاعتداء، وأن يستحضر حسن ظنه بالله، مع مشاعر الخوف والرجاء، فقد وصف الله المصطفين من عباده بأنهم: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

وينبغي للمسلم أن يخفض صوته بالدعاء بقدر ما يتيسر له، لأنه أقرب للخشوع وأدل على الخضوع وأكثر توافقاً مع حالة القلب، فإن من الاعتداء الذي نهى الله عنه في الدعاء، رفع الصوت به، خصوصاً إذا أصبح نوعاً من الزعيق الذي يشبه حالة المجاذيب قال سبحانه: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥]. وقال عن زكريا: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا﴾ [مريم: ٣]، وقال ﷺ وقد رفع أصحابه أصواتهم بالتكبير: **(أيها الناس اربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصماً ولا غائباً، وإنما تدعون سميعاً بصيراً، إن الذي تدعون أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته)**(٢).

---

(١) الحديث رواه مسلم في كتاب «الزكاة»، والترمذي في «التفسير».

(٢) رواه البخاري في «المغازي»، وفي «الدعوات»، ومسلم في «الذكر والدعاء».

هذا هو شأن الدعاء في دين الله وإنه لشأن عظيم لمن كان في الخير راغباً وللمعالي طالباً ولا بد في هذا المقام أن نعترف إخوة الإيمان، بأن تعاملنا مع ربنا بالدعاء والطلب قد نزل عن المستوى الصحيح له شرعاً وتعبداً في جوانب كثيرة.

لقد أدى تعلق مسلمين كثر بالأسباب المادية، وركونهم إليها إلى ضعف التوكل على الله، والغفلة عن ماله من صفات القوة والفضل والعطاء، وما عنده من مدد لا يغيض وكانت النتيجة غير المحمودة هي ضعف صلتهم بالله، وقلة دعائهم له واللجوء إليه عند حدوث المشكلات، ولا يعني ما أقول أنه ينبغي أن نضحي بالأسباب وننقطع للدعاء منتظرين مفاجآت القدر بما ليس في الحسبان، بل إن هذا الأمر خطأ أيضاً، إن المنهج الإسلامي القويم هو أن يبذل المسلم ما استطاع من أسباب ويقارن ذلك التجاءُ إلى خالقه سبحانه داعياً متضرعاً، فإنه سبحانه هو الذي خلقه وخلق الأسباب معه، وهو الذي بيده مقاليد الأمور المحيطة به كلها، ومن صور النقص الجارية في حياة بعض المسلمين، أنهم يغفلون عن الله وينسونه وقت رخائهم فإذا ما حزبهم أمر أو كرب، أو حاقت بهم أزمة ذكروا ربهم، فأقبلوا عليه ليزيح عنهم هذه الكربة، وهذا نوع من الخداع الذي لا يليق بالمؤمن في تعامله مع الله ﷻ وقد قال ﷺ: **(تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة)**[1].

ومن ذلك أن الداعي يدعو رافعاً يديه مردداً ألفاظ الدعاء أو مؤمناً على دعاء غيره، وقلبه غارق في أودية بعيدة عن جو التعبد والدعاء.

---

(١) رواه أحمد في «مسنده»، قال عنه محقق جامع الأصول (٦٨٧/١١): حديث صحيح.

ومن أبشع صور الخلل في شأن الدعاء أن يقبل الإنسان على الله داعياً، وهو في الوقت نفسه مشعل الحرب مع الله، مرتكب لمساخطه، تعج حياته بالمظالم، وهذه الحالة السيئة توشك أن تنتهي بصاحبها إلى النفاق، فإن أهله يخادعون الله وتتناقض أقوالهم ومظاهرهم مع حقيقة أمورهم وقد روى عبد الله ابن الإمام أحمد بن حنبل رحمهم الله في كتاب الزهد أن بني إسرائيل أصابهم بلاء فخرجوا مخرجاً فأوحى الله إلى نبيهم أن أخبرهم أنكم تخرجون إلى الصعيد بأبدان نجسة، وترفعون إلى أكفا قد سفكتم بها الدماء وأكلتم المال الحرام، الآن اشتد عليكم غضبي ولن تزدادوا مني إلا بعداً، وقد مر معنا ذكر حديث الأشعث الأغبر وسبب رد دعائه.

وبما أن الدعاء عبادة والعبادة لا حق لا أحد بها سوى الله تعالى، لذا فإن صرف الدعاء لغير الله، يعني الشرك بالله، فمن دعا غير الله، نبيناً من الأنبياء، أو ملكاً من الملائكة أو صحابياً من الصحابة، أو ولياً من الأولياء، أو صاحب ضريح مقبور يشفي مريضه، أو يزيل عقم زوجه، أو يدخله الجنة، فقد وقع في الشرك الأكبر الذي حسم الله مصير أهله ﴿ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ [المائدة: ٧٢]، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٤٨].

فلتحذر أيها المسلم من أن تأخذك العاطفة، وتغويك شوائب الشرك الرائجة في بعض مجتمعات المسلمين، وتقع فيما لا يرضي خالقك، وتكون من الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً.

اللهم يا ودود يا ذا العرش المجيد نسألك إيماناً خالصاً ويقيناً صادقاً وعملاً صالحاً ودعاءً متقبلاً ، إنك أنت السميع المجيب.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

* * * * *



الجنة والنار

الحمد لله فاطر السماوات والأرض، جاعل الملائكة رسلاً، بعثهم إلى الناس، لئلا يكون لهم عليه حجة بعد الرسل وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له دعا عباده إلى دار السلام وبين لهم ما فيها من الإكرام والإنعام، وأبان لهم الطريق الموصل إليها ليهلك من هلك عن بينة ويحيي من حي عن بينة.

وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله بعثه ربه ليتلوا الكتاب وينادي للإيمان ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويحل الطيبات ويحرم الخبائث.

صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن للجنان في شهر رمضان نبأ عظيماً وتحفزاً لا يوجد في ما سواه من الشهور، حيث تفتتح أبوابها وتجمّل في كافة شئونها، روى أبو هريرة > عن رسول الله ﷺ قال: (**إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النيران**)[1].

وفي مسند الإمام أحمد عن أبي هريرة أيضاً أنه ﷺ ذكر ضمن الخصال الخمس التي أعطيها في رمضان ولم تعطها الأمم السابقة قال: (**ويزين الله كل يوم جنته ويقول يوشك عبادي الصالحون أن يلقوا عنهم المؤونة ويصيروا إليك**)[2].

---

(١) رواه البخاري في «الصوم»، ومسلم في «الصيام».

(٢) رواه أحمد في «المسند»، والبزار وله شاهد عند البيهقي لكن إسناده ضعيف كما قال محققو مسند أحمد (١٣/ ٢٩٧).

كما أخبر ﷺ فيما رواه البخاري عن سهل بن سعد أن أحد أبواب الجنة الثمانية قد خصصه الله للصائمين يدخلون معه دون سواهم، قال عليه الصلاة والسلام: **(في الجنة ثمانية أبواب منها باب يقال له الريان لا يدخله إلا الصائمون)**[1].

وحديث الرسول صلوات الله وسلامه عليه عن الجنة وتفتيح أبوابها وعن النار وتغليق أبوابها، ليس مجرد إخبار عن عالم الغيب، معزول عن واقع الناس في هذه الحياة، إن لهذه الأمور الغيبية أثراً في حياة المؤمنين، فرمضان هو شهر الأعمال الصالحة والطاعات الكثيرة التي هي مفاتيح الجنان، كما أخبر الرسول ﷺ أن لكل باب من أبواب الجنة عبادة خاصة يدخل معه المبرز فيها، فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الصيام.

ورمضان هو شهر الابتعاد عن المعاصي والآثام، وهي التي تورد الناس جهنم، فإذا كفوا عنها وانقلبوا إلى طاعات ربهم والتمسوا عفوه اعتقهم الله من النيران.

الجنة والنار، هما المقران الحقيقيان، اللذان سينتهي إليهما الناس في المستقبل، فريق في الجنة وفريق في السعير.

وما نحن في هذه الدنيا إلا كمسافرين مروا بمحطة للتزود، فمنهم من بادر لأخذ الزاد ومنهم من تكاسل حتى صاح بهم القائد بالرحيل، وكذا الأمر بالنسبة لنا أمام الجنة والنار، فإن مصير الإنسان لأي واحدة من الدارين، مرهون باستعداده في هذه الحياة الدنيا وقيامه بما يوصله إلى الجنة أو يوقعه في النار.

---

(١) رواه البخاري في «بدء الخلق».

وقد أخبر المولى سبحانه عن جنته وما فيها من نعيم وسعادة، مرغباً إياهم بها سبحانه: ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ۝ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا ۝ قَوَارِيرَا مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ۝ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ۝ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ۝ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ۝ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ [الإنسان: ١٤ — ٢٠].

وقال سبحانه: ﴿مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ [محمد: ١٥].

وروى ابن ماجة وابن حبان في صحيحه عن أسامة بن زيد رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**ألا هل من مشمر إلى الجنة فإن الجنة لا خطر لها، هي ورب الكعبة نور يتلألأ وريحانة تهتز وقصر مشيد ونهر مطرد، وثمرة نضيجة وزوجة حسناء جميلة، وحلل كثيرة، ومقام في أبد في دار سليمة، وفاكهة وخضرة، وحبرة ونعمة في حلة عالية بهية**»[1].

وبالمقابل فقد أخبر الله ورسوله عن النار وما فيها من الأهوال والنكال والزقوم والحميم والأغلال، والسلاسل والقطران والمقامع، وأخبرنا سبحانه عن تغيظها وزفيرها إذا رأت أهلها من بعيد، وعن شهيقها وهي تفور وتكاد تميز من الغيظ، كما أخبرنا عن حال أهلها فيها وهم يتقلبون بين أطباقها وتغشاهم

---

(١) رواه ابن ماجة في «الزهد»، ورواه ابن حبان في «صحيحه»، قال البوصيري في إسناده مقال، انظر: سنن ابن ماجة (٢/٤٥٥).

من كل جانب ويسحبون فيها على وجوههم مقرنين في الأغلال والأصفاد، في حال بئيس واصطراخ لا مجيب له كل هذا ترهيب من الله لعباده حتى يحذروا سلوك طريقها ويتقوا السبل التي تنتهي بهم إليها.

ولم يتركنا سبحانه تائهين، بل أرشدنا سبحانه إلى الطرائق التي تصلنا إلى الجنان برحمته كما نبهنا على المسالك المؤدية إلى عذابه ونيرانه، وعلى الأحابيل التي ينسجها الشيطان ليقودنا بها معه إلى الجحيم، قال سبحانه: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٥].

ومثل هذا من ذكر الأعمال الموصلة للجنة كثير في القرآن وفي السنة أيضاً ومن ذلك ما رواه مسلم عن عياض بن حمار أن النبي ﷺ قال: **(أهل الجنة ثلاثة، ذو سلطان مقسط متصدق موفق، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم، وعفيف متعفف ذو عيال)**[1].

كما جاءت النصوص الكثيرة التي تبين الأسباب التي توبق صاحبها ويستحق بها دخول النار خلوداً أبدياً أو تطهيراً إلى أمد، ومن الأسباب الموجبة للخلود في النار، الشرك بالله في الربوبية أو الإلهية، والكفر بالله، رفضاً للدين أو جحداً لشيء منه واستهزاء بتعاليمه أو الاعتقاد بأن هناك عقيدة أصح منه أو شريعة أصلح وأحكم منه وكذلك النفاق الذي يستبطن فيه الإنسان الكفر بالله والبغض لدينه، وإن كان يظهر التدين أمام الناس.

---

(١) رواه مسلم في «صفة الجنة».

أما الأسباب التي يستحق بها صاحبها دخول النار دون الخلود فيها، فهي كبائر الذنوب التي يفعلها المسلم ويموت عليها دون أن يسبق موته بتوبة نصوح منها كأكل الربا وأكل أموال الناس بالباطل وغش المسلمين، وقطيعة الرحم، وعقوق الوالدين، والغيبة.

لقد كانت الجنة والنار هاجساً حاضراً لدى المتقين، الذين غمر الإيمان بالغيب قلوبهم وعمر اليقين بالآخرة نفوسهم، وأنت اليوم إذا قرأت سيرهم رأيتهم وكأنهم كانوا يتراءون الجنة أمامهم تدعوهم لدخولها فتشرأب أعناقهم ويسرعون خطواتهم إليها في حال الجهاد والاستشهاد، وفي حال السلم بالتعبد والاجتهاد؛ كان عمير بن الحمام يأكل تمرات في يده قبيل بدء معركة بدر فلما سمع رسول الله ﷺ يبشر من قتل في سبيل الله بالجنة رمى التمرات من يده وقال: (إنها لحياة طويلة إن بقيت حتى آكل هذه التمرات وقاتل حتى قتل).

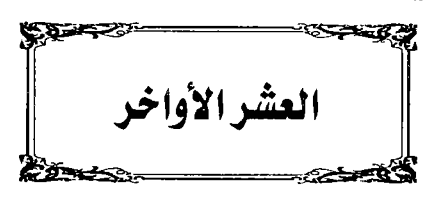
وكان ذكر الجنة والنار يهيج أشجانهم إذا قرأوه في كتاب ربهم أو تذاكروا فيما بينهم أو تأمله الواحد منهم بينه وبين نفسه، وكان ذلك يدفعهم إلى الخوف والوجل، والرجاء والعمل طمعاً في الجنة وتوقياً للنار ولكن هذه الصورة المشرقة لتلك القلوب الحية تراجعت في حياة كثير من المسلمين الآن حينما دخلت المادية في قلوب كثير منهم، فأنستهم آخرتهم، وأورثتهم قسوة في القلوب، لا تلين لترغيب أو ترهيب، يسمعون القوارع ويقرأون المواعظ ويمرون بالمثلات التي تهز الجبال ولكن كل ذلك يظل بعيداً عن شغاف تلك القلوب التي غشتها حواجب الدنيا، فأصبحت في أكنة عما تسمع وترى.

وهذه والله أمارة خلل في الإيمان ونقص في العلم، وبعد عن الله، وإنها لتوشك أن تحيق بمن استسلم لها فيبقى في سهوه وغفلته داوياً حتى يفجأه الموت ولات ساعة مندم.

كان صالح المري العابد المشهور في حلقة وعظه في المسجد، فقال لشاب أقرأ يا بني فقرأ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْأَزِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨]، قال صالح المري: «وكيف يكون لهم شفيع أو حميم والطالب لهم رب العالمين، إنك والله لو رأيت الظالمين وأهل المعاصي يساقون في السلاسل والأغلال إلى الجحيم، حفاة عراة مسودة وجوهم مزرقة عيونهم ذائبة أجسامهم، ينادون يا ويلاه ياثبوراه، والملائكة تسوقهم بمقامع النيران فمرة يجرون على وجوههم ويسحبون عليها متكئين ومرة يقادون إليها عنتاً مقرنين بين باك بعد انقطاع الدموع وصارخ طائر القلب مبهوت إنك والله لو رأيتهم لرأيت منظراً لا يقوم له بصرك، ولا يثبت له قلبك، ولا يستقر لفظاعة هوله قدمك، ثم قال: واسوء منقلباه وبكى وبكى الناس فقام شاب وقال أكل هذا في القيام يا أبا بشر، قال نعم يا ابن أخي وما هو أعظم من ذلك وساق صوراً أخرى لهول العذاب على الظالمين فصاح الفتى: إنا لله، واغفلتاه عن نفسي أيام الحياة واأسفا على تضييع عمري ثم بكى واستقبل القبلة ثم قال اللهم إني استقبلتك في يومي هذا بتوبة لا يخالطها رياء، اللهم فأقبلني وأقل عثرتي وارحمني ومن حضرني يا أرحم الراحمين، لك ألقيت معاقد الآثام من عنقي وإليك أنبت بجميع جوارحي، صادقاً بذلك قلبي والويل لي إن لم تقبلني».

أخي المسلم إن من الخير لك أن تكون من ثمار شهرك الكريم عليك وهو شهر تفتح وتزين به الجنان وتغلق النيران يقظة في قلبك تربطك بالآخرة، فتعمل للجنة وملء نفسك شوق إليها، وتحذر من شهوات النار وكلك خوف منها، وتتعالى مع هذه الحقائق الكبرى على ألوان ترهات الحياة الدنيا وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

* * * * *



العشر الأواخر

الحمد لله الذي جعل في السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً، وقمراً منيراً، الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، هو الذي أنشأ لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون، وهو الذي ذرأكم في الأرض وإليه تحشرون.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليله، خير من صلى وصام وأبان الحلال والحرام. صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، وبعد:

من نعمة الله على عباده أنه يتولاهم بنفحاته المتتابعة، وكرمه الغدق فهم مع مولاهم من خير إلى خير، ومن كثير إلى كثير، دخل رمضان ببركاته الغامرة في أيامه ولياليه وها هي العشر الأواخر من رمضان، بما فيها من فضل وكرم، أفضل عشر ليال في السنة كلها العشر التي تنطوي على ليلة القدر الفاضلة العظيمة.

لقد أبان الرسول ﷺ لأمته عن قدر هذه الليالي المقبلة بفعله الكريم، واجتهاده الذي يفرد به هذه الليالي عن ما قبلها من ليالي رمضان.

روى مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يجتهد في العشر الأواخر ما لا يجتهد في غيره، وجاء عنها في المسند قولها: (كان النبي ﷺ يخلط العشرين بصلاة ونوم فإذا كان العشر شمر وشد المئزر)[1].

(١) في مسند الإمام أحمد (٦/١٤٦).

وفيه أيضاً عنها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: (كان النبي ﷺ إذا دخل العشر شد مئزره وأحيا ليله وأيقظ أهله)(١)، وشد المئزر كناية عن اعتزال النساء في هذه الفترة من أجل التفرغ للعبادة التي كان يحيي فيها ليله من صلاة وذكر وقراءة قرآن وغيرها من صنوف الطاعة، وقد نبهت عائشة إلى فضل العشر أيضاً بأنه ﷺ كان يوقظ أهله من أجل أن يشاركوه في المتاجرة مع الله واغتنام تنزل الرحمات في هذه الليالي الفاضلة.

وإنه لمن الخير للمسلم أن يحيي هذه السنة ويحاول تطبيقها بأن يوقظ أهله جزءاً من الليالي، أو يحثهم على التفرغ للعبادة في آخر الليل، مثلاً، فيشترك وإياهم في مد الأيدي مستحضرين الكرم الإلهي عفواً وصحة ومغفرة وسعة رزق. إن إحياءه لهذه السنة في هذه العشر، فضلاً عما ينالانه من رضوان الله فلعلها تكون فاتحة خير لأيامهما المقبلة، يطبقانها في ما تيسر من ليالي السنة، ولقد رغب ﷺ المؤمنين بالتعاون بينهم على قيام الليل خصوصاً بين الزوجين، روى أبو داود عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: **(رحم الله رجلاً قام من الليل فصلى وأيقظ امرأته فإن أبت نضح في وجهها الماء، رحم الله امرأة قامت من الليل فصلت وأيقظت زوجها فإن أبى نضحت في وجهه الماء)**(٢).

وقد سن النبي ﷺ في هذه العشر الاعتكاف في المساجد، والمقصود بالاعتكاف لزوم المسجد تفرغاً لطاعة الله عَزَّ وَجَلَّ لا يخرج منه إلا لأمر لا بد له منه كالذهاب لدورات المياه والأكل إذا لم يتيسر له داخل المسجد، ولا يجوز

---

(١) رواه مسلم في «الاعتكاف».

(٢) رواه أبو داود في «الصلاة»، والنسائي في «قيام الليل»، قال محقق جامع الأصول (٦/٦٦): إسناده حسن.

للمعتكف مباشرة النساء بالجماع أو ما دونه لقوله تعالى: ﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِي ٱلْمَسَٰجِدِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٧].

وكان ﷺ يلتمس ليلة القدر في اعتكافه، ولهذا اعتكف العشر الأول من رمضان ثم العشر الأوسط ثم أخبر ﷺ أنها في العشر الأواخر فلزم بعد ذلك الاعتكاف في هذه العشر كما روى ذلك مسلم.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: (كان النبي ﷺ يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله، ثم اعتكف أزواجه من بعده)(١).

وغاية الاعتكاف هو التفرغ الكامل لمناجاة الله، والانقطاع إليه بالقلب والقالب، ولهذا قال ابن القيم رحمه الله في زاد المعاد، إن الله شرع لعباده الاعتكاف والذي مقصوده وروحه عكوف القلب على الله تعالى وجمعيته كلية والخلوة به والانقطاع عن الاشتغال بالخلق والاشتغال به وحده سبحانه، بحيث يصير ذكره وحبه والإقبال عليه في محل هموم القلب وخطراته، فيتسولي عليه بدلها، ويصير الهم كله به، والخطرات كلها بذكره، والتفكر في تحصيل مراضيه وما يقرب منه فيصير أنسه بالله بدلاً عن أنسه بالخلق، فيعده بذلك لأنسه يوم الوحشة في القبور، حين لا أنيس له ولا ما يفرح به سواه.

ولهذا فإنه لا يليق بالمعتكف أن يمارس من التصرفات ما يخل باعتكافه كأن يحيل معتكفة مثابة للزائرين لتناول المشروبات وأحاديث الدنيا التي ينصرف فيها القلب عن الله، بل ينبغي أن يشتغل بالذكر وقراءة القرآن والتفكر بأمور دينه،

---

(١) أخرجه البخاري عن عائشة في «الاعتكاف».

مع أنه لا بأس بالأحاديث المباحة مع الآخرين على ألا تستهلك كثيراً من وقت الاعتكاف الذي خصصه أساساً لمحض العبادة.

جاء في الصحيحين عن صفية أم المؤمنين رضي الله عنها قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم معتكفاً إذ أتيته أزوره ليلاً فحدثته ثم قمت لانقلب فقام النبي صلى الله عليه وسلم معي ليقلبني أي ليردني إلى بيتي.

وينبغي أن لا يكون اعتكافه سبباً لإزعاج الآخرين من إخوانه المسلمين، خاصة في المسجد الحرام، إما بالنوم في الممرات أو النوم في الصفوف المتقدمة بحيث إذا قاموا للتهجد الأخير كان هؤلاء النائمون أمامهم وبين صفوفهم.

أخي المسلم:

إنها لفرصة ثمينة هذه العشر الباقيات من شهرك الكريم، سيعقبها حتى تعود إليك عام كامل لا تدري ما الله مقدر لك فيه، فلعلك من أهل الآخرة، الذين لن يدركوها من قابل فلتحرص ما استطعت أن تكون فيها من المنافسين في الخيرات، الغانمين لأعلى الدرجات، فإن فضل الله واسع وعطاءه مدرار ولكنه يريد من عباده إقبالاً وصدقاً وإيماناً وتقوى ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

اللهم اجعلنا من عبادك الأخيار، واغفر لنا الذنوب والأوزار، ومن علينا بالعتق من النار، إنك أنت العزيز الغفار، وصلى اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

* * * * *



ليلة القدر

الحمد الله الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد تعالى وتقدس:

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ما أصاب الناس من حسنات فمنه تعالى وما أصابهم من سيئات فمن أنفسهم أرسل لهم رسولاً وكفى به شهيداً.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أخلص لله صلاته ونسكه ومحياه ومماته، التزم ملة أبيه إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

نحن الآن في العشر الأواخر الفاضلة من رمضان، نستقبل الربع الأخير من الشهر وهو الربع الذي ينطوي على ليلة القدر العظيمة، حسبما روى عبد الله بن عمر قال إن رجالاً من أصحاب النبي ﷺ أرو ليلة القدر في المنام في السبع الأواخر، فقال رسول الله ﷺ: **(أرى رؤياكم قد توطأت في السبع الأواخر فمن كان متحريها فليتحرها في السبع الأواخر)**[1]، وليلة القدر تمثل الذروة في الفضل والجلال في هذا الشهر الكريم، وفي العشر الأواخر منه، لما فيها من فضل ومقام عظيم وحسبها أن العمل فيها إذا تقبل يعادل عمل عمر بأكمله فيا لها من ليلة جليلة المقدار.

---

(١) رواه البخاري في «صلاة التراويح».

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴾ [القدر: ١ – ٥].

وقال سبحانه: ﴿ حمٓ ۝ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴾ [الدُخان: ١–٥].

والمقصود بالقدر الذي أضيفت إليه الليلة هو القضاء والحكم والتدبير يُفْصَل من اللوح المحفوظ لينزل إلى الملائكة الذين يقومون بتدبير شئون الخلق، والقدر أيضاً هو الشأن العظيم والمقام الرفيع.

وهي كذلك إذ هي الليلة التي أنزل الله القرآن فيها هدى ونوراً للناس، وهي خير من ثلاث وثمانين سنة وفيها تنزل أفواج الملائكة إلى الأرض ومعهم جبريل عليه السلام، وهي الليلة التي يفرق فيها كل أمر حكيم من أوامر الله تعالى، وهي سلام وأمن لطالبي السلام والساعين إليه لا غضب عليهم ولا انتقام، وهي ليلة مباركة يبارك الله فيها للعاملين فيضاعف الحسنات ويزيد في الثواب.

ومن فضائل هذه الليلة ما جاء في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **(من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه)**[1].

ولعل قول الرسول صلى الله عليه وسلم إيماناً واحتساباً مع أن الأصل فيمن قام متهجداً في الليل إنما باعثه الإيمان والاحتساب تنبيه على أن المسلم ينبغي أن يكون متحرياً تلك الليلة متفاعلاً مع كل ليلة تدخل تحت احتمال أنها هي فيقبل على الله

---

(١) رواه البخاري في «صلاة التراويح»، ومسلم في «صلاة المسافرين».

ويجتهد في عبادته، مؤمناً بما قدَّره سبحانه فيها من الأجر العظيم، ومحتسباً لهذا الأجر ولتلك المثوبة الكبيرة، التي لا تتحقق إلا في هذه الليلة.

إنها ليلة عظيمة يشترك فيها المؤمنون من الجن والإنس وملائكة السماء وينالون فيها من فيض الله وخيراته الربانية.

ولا يشذ عن المنافسة فيها ويحرم بركتها إلا الكافرون والشياطين والعصاة الغافلون فخذ لنفسك يا أخي سبيل الصالحين من عباد الله وملائكته المقربين، بالاستعداد لها والاجتهاد بالطاعة لله فيها، واحذر أن يعوقك عن الخير ما يعوق فتلحق بمن شذ عن هذه المسيرة الإيمانية الجليلة من الكافرين والشياطين.

ولقد كان من نعمة الله على عباده أن حصرها لهم في بضع ليال معدودة تكون في إحداها وهي العشر الأواخر من رمضان بل هي في الوتر منها، وقد أخفى سبحانه تحديد ليلتها بالذات ليكون حافزاً للعباد على الاجتهاد في أكثر من ليلة تلمسا لها، مما يكون علامة على صدق إيمانهم وحرصهم على طلب ما عند الله وسبباً في تحصيلهم من الأجور وما يدخرونه أمامهم عند الله.

وقد وردت أحاديث كثيرة بشأن هذه الليلة وخلاصة ما ذكره المحققون من العلماء أنها وتر من أوتار العشر الأواخر، وأنها تنتقل بمعنى أنها لا تختص بليلة معينة في جميع الأعوام فقد تكون في عام ليلة ثلاث وعشرين وأخرى ليلة سبع وعشرين وعامٍ ثالث في خمس وعشرين وهكذا.

ولقد كان ﷺ يعتكف في مسجده مجتهداً في العبادة سعياً وراء هذه الليلة، حتى قبل أن يعرف ﷺ أنها في العشر الأواخر حيث كان يعتكف العشر الوسطى ثم يخرج إذا أصبح على واحد وعشرين ثم صار يعتكف العشر

الأواخر روى البخاري عن أبي سعيد الخدري قال: (كان ﷺ يعتكف في العشر الأوسط من رمضان، فاعتكف عاماً حتى إذا كان ليلة إحدى وعشرين وهي التي يخرج في صبيحتها من اعتكافه قال: من كان اعتكف معي فليعتكف العشر الأواخر وقد أريت هذه الليلة ثم أنسيتها، وقد رأيتني أسجد في ماء وطين من صبيحتها، فالتمسوها في العشر الأواخر والتمسوها في كل وتر)(١).

أخي وفقك الله لما يحبه ويرضاه من أخسر الناس عملاً من يتصور أن ما يؤديه من فرائض واجبة بما يعتريها من نقص في معانيها ومبانيها، أنها كافية في أن تبوئه الدرجات العلى من النعيم، وأنه في غنى عن التزود من نوافل الطاعات التي تجلب رضا الله وحبه، وتستنزل رحمته وعفوه، من أغبن الناس صفقة من يبوء بذنونه الكبار ويتقلب في نعم الله وافر الصحة، ورغيد العيش، آمن الوطن ثم تفوته مثل هذه المواسم العظيمة، ويتجاوز هذه الأبواب المفتوحة من فضل الله وكرمه، وهو في لا مبالاته غير مكترث بها.

لترحم أخي نفسك أن تسلك مسالك هؤلاء من أصحاب القلوب الميتة، أيقظها من سباتها وشد آصرتها بحبل ربها، واجتهد أن تكون في هذه الليلة المباركة، ليلة القدر من المغفور لهم المعتقين من النار.

روي ابن ماجة والترمذي بإسناد صحيح عن عائشة أم المؤمنين < قالت، قلت يا رسول الله، أرأيت إن علمت أي ليلة ليلة القدر ما أقول فيها قال قولي: «اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني»(٢).

---

(١) رواه البخاري في «الاعتكاف».

(٢) رواه النسائي في «عمل اليوم والليلة»، والترمذي في «الدعوات»، وصححه الألباني في «صحيح ابن ماجه» للألباني (٣١١٩).

اللهم يا كريم يا رحيم إنا نبوء لك بنعمك علينا ونبوء بذنوبنا ونعترف بتقصيرنا ونطمع بكرمك وفضلك اللهم فاغفر ذنوبنا وتجاوز عن تقصيرنا وارحم ضعفنا وتول أمرنا ، إنك أنت السميع المجيب.

وصلى الله علي نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

* * * * *



ما بعد رمضان

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات أحمده وأشكره وأثني عليه واستغفره.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، قال لرسوله الكريم: نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم وأن عذابي هو العذاب الأليم، عذابه عدل ورحمته فضل تبارك وتعالى.

وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله بين للناس ما أنزل إليهم وأوضح لهم مناسكهم ودلهم على مسالك الخير وذادهم عن طريق الضلال.

اللهم صلى وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فقد ورد أن أحد علماء السلف رحمهم الله أتى على قوم مستغرقين في لهوهم ولعبهم وكان ذلك في آخر رمضان أو يوم العيد فقال معلقا على هذا المشهد: «إن الله ﷻ جعل شهر رمضان مضمارا لخلقه يستبقون فيه لطاعته فسبق قوم ففازوا وتخلف آخرون فخالفوا فوا عجباً للضاحك اللاعب في اليوم الذي فاز فيه السابقون وضاع فيه المبطلون أما والله لو كشف الغطاء لاشتغل المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته».

وقد صدق رحمه ولكنها الغفلة التي أصبحت المواسم والمناسبات الإيمانية بسببها تمر على كثير من الناس كطيف الأحلام ينمحي أثرها فورا ولو تعاملوا معها تعاملهم مع أمور دنياهم كانت حالهم غير تلك الحال.

تصور مجموعة من التجار قدَّموا على مناقصة في مشروع ما، أتراهم ينسون ما قدموه كأن لم يكن، أم يتابعونه ويتقصون كل يمت إليه بصلة ثم

إذا فتحت المطاريف ورسي المشروع على واحد أو اثنين أتراهم لا يكترثون بهذا أم أن الفائز يهتم بمواصلة المشروع والسعي لإنجازه والخاسر فيها يوفر نفسه على دراسة سبب خسارته ويتخذ الأسباب لتفادي أمره في المستقبل.

إن هذا هو ما عناه ذلك الإمام في علاقة المسلم بموسم المرابحة مع الله في رمضان وأنت أخي المسلم في لحظاتك هذه التي تستقبل فيها ما بعد رمضان مودعا الشهر إلى عام آخر لا تدري أتدركه أم يحول أجلك دونه أولى بك أن تنشغل بأمر نفسك في شهر مضى ربح فيه أناس وخسر آخرون انشعالك يسوقك قدما إلى الخير ويجعلك تستقبل ما بعد شهرك بنية ترضي الله وأعمال تزكو بها حياتك فإن كنت من الرابحين في رمضان فأنت بهذا تحافظ على ربحك وإن كنت دون ذلك فأنت تستدرك نفسك قبل الفوات إنك ستصبح على عيد الفطر من رمضان وجدير بك أن تعي سنة رسولك محمد ﷺ وهديه المتعلق بهذا فقد ورد أنه ﷺ كان يخرج صباح العيد من معتكفه إلى المصلى فيصلي بالناس ويخطبهم ويحثهم على الصدقة ومن سنته أن يأكل المسلم قبل صلاة العيد رطبا أو تمراً وتكون وترا وكان يؤكد على الناس في حضور صلاة العيد والمشاركة في سماع الخطبة والتأمين على الدعاء لمن لم يستطيع الصلاة كالحائض ولعل المتأمل في هذا العيد أنه وقد جاء تالياً لشهر الجد والعبادات والمنافسة في الطاعات، قد عمروه بالعبادات أيضاً، ففيه زكاة الفطر وصلاة العيد والتكبير وصلة الرحم وغيرها من العبادات المتلاحقة وهذا ما يوقع في حس المسلم أن وقته كله عبادة وأنه إذا كان العيد فيما تعارفت به الأمم المنقطعة عن ربها مجال فسوق ومجون

وخروج على المحرمات في الدين والفطرة السليمة، فإن المسلم في عيده بما يمارسه فيه من متعة وأنس وفرح وبهجة إنما يمارس جزءًا من دينه ولهذا جعل الله العيد جزءاً من الدين، وذلك حينما ألغى الرسول ﷺ أعياد الجاهلية التي كانت قائمة قبل الإسلام وقال للمسلمين: (**إن الله قد أبدلكم خيراً منها يوم الفطر ويوم الأضحى**)[1].

ولهذا شدد العلماء المسلمون في خطورة استحداث أعياد أخرى ذات صبغة دينية واعتبروها بدعاً في الدين مردودة حيث قال ﷺ: (**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**)[2].

أما بعد رمضان والعيد فإن من أهم البدهيات التي كأنها غائبة عن وعي بعض المسلمين أن عبادة الله غير محصورة في رمضان وأن المحافظة على الصلاة وقراءة القرآن والإنفاق في سبيل الله والإعراض عن اللغو وفاحش القول والفعل لا يقتصر قبولها عند الله على رمضان.

بلا ريب فإن شهر رمضان المبارك محطة للتزود بعظيم الأجور، وموسم خاص، للأعمال فيه فضل ليس لسواه ولكن المسلم متعبِّد لله في كل حياته قبل رمضان وبعده ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩].

وقد وجه الرسول ﷺ أصحابه إلى مواصلة الطاعات بعد رمضان حينما بين لأصحابه فضل اتباع الشهر بصيام ستة أيام من شهر شوال قال عليه الصلاة

---

(١) رواه أحمد في «المسند» وغيره، قال محققو المسند: إسناده صحيح على شرط الشيخين (٢٠/٢١٢).

(٢) رواه البخاري تعليقاً بصيغة الجزم في «البيوع»، ومسلم في «الأقضية».

والسلام فيما رواه مسلم: (من صام رمضان ثم اتبعه ستا من شوال كان كصيام الدهر)[1].

أما أولئك الذين تفيض بهم المساجد في رمضان وتزدحم بهم الطرق إلى مكة معتمرين وتلهج ألسنتهم بالقرآن، فإذا ما خرج الشهر الكريم «نكسوا على رؤوسهم» وأصبحوا قوماً آخرين فاتخذوا كتاب الله مهجوراً، وخيم عليهم الكسل في أداء صلواتهم إذا أدوها، وانتفى الورع الذي كان يرى عليهم في ذلك الشهر، فإنهم لم يفهموا دينهم فهما صحيحاً بل ينبغي لهم أن يراجعوا حقيقة إيمانهم بالله واليوم الآخر.

إن حال هؤلاء تشبه أمر تلك الطائفة الجاهلة بالإسلام والتي تقول: إن الإسلام مجرد شعائر تعبدية تؤدى في المسجد، أما ما وراء ذلك من جوانب حياة الإنسان فإن الإنسان له أن يتبع فيه عقله وهواه.

وهؤلاء وأولئك جميعاً من الذين اتخذوا القرآن عضين هداهم الله إلى الحق، وهم مصادمون بفعلهم وقولهم لمنهج الإسلام الشامل لكل شئون الحياة ولأمر الله، والله أعلم.

* * * * *

(١) أخرجه مسلم في «الصيام»، والترمذي في «الصوم»، وكذلك أبو داود.



المسائل الإيمانية المتعلقة بالحج

وتشتمل على ما يلي :

* الحج توجهاً وتوحيداً.
* الحج حكم وأحكام.
* يوم عرفة والزمن المضغوط.
* العمرة.



الحج توجهاً وتوحيداً

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

الحج الركن الخامس من أركان دين الإسلام، الذي يحتوي على شعائر عظيمة عند الله، والذي يمثل التفافاً قريباً نحو البيت المعظم، الذي تتجه إليه ملايين المسلمين، في صلواتهم وذبحهم ودفن موتاهم في سائر أقطار المعمورة.

حري بك أخي المسلم أن تتهيأ للعيش في رحابه، بنفس مفتوحة، ووعي مدرك شهيد، نرى في المقابلات الصحفية أن المقابل يسأل سؤالاً تقليدياً، ما هي أقرب البلاد إلى قلبه، والتي يكثر السفر إليها؟

ويجيب هؤلاء والشوق يحث ألسنتهم بذكر المدن والبلاد التي تهفوا إليها قلوبهم وتشد إليها كثيراً رحالهم.

وربما يكون السبب أن الشخص نشأ في تلك المدينة صغيراً أو درس فيها كبيراً، أو أن له ذكريات خاصة كانت الرباط بينه وبين هذا البلد.

ولقد كان العشاق قديماً يهيمون بديار معشوقيهم ويناجون مرابعهم، ويصل بهم الأمر أكثر من ذلك.

أقبل أرض الدار حبا لأهلها ❖ ومن لم يجد إلا الصعيد تيمما

وأنت أخي المؤمن صادق الإسلام وقد وجهت وجهك للذي فطر السماوات والأرض حنيفاً دون انحراف مع المشركين وبالتالي فقد صرفت حبك وولاءك لخالقك إليه اتجهت وله توجهت فلم تعد قانعاً بما دون الله ولن يستوعب حبك الغامر وتطلعك البعيد شيء من المحبوبات الفانية القريبة.

ولكن خالقك سبحانه الذي يعلم من فطرتك ما لا تعلمه من نفسك، يعلم جل وعلا أن هذه الفطرة البشرية بحاجة إلى شيء من الارتباط بالزمان والمكان، وهما العنصران الكونيان المحيطان بالإنسان، في شكل وقفات محدودة، يفرغ في إطارها عبوديته لله، بصورة أكثف من التفريغ الجاري في الزمان والمكان المطلقين.

لهذا شرع الله سبحانه لعباده مواسم محددة من الزمن، تختص بأنواع من العبادات تحظى بشرف المضاعفة للحسنات، كرمضان، والعشر الأواخر بالذات، وليلة القدر على الأخص ومثل عشر ذي الحجة ويوم عرفة ونحو ذلك.

كما شرع لهم سبحانه تحديد مواقع معينة تكون بيوتاً له سبحانه يجتمعون فيها للصلاة والذكر والعبادة واختار لهم بعلمه وحكمته سبحانه مواقع مكانية جعلها - كما يقول الندوي: أموراً ظاهرة محسوسة اختصت به ونسبت إليه وتجلت عليها رحمته بحيث إذا رؤيت ذكر الله وارتبطت بها وقائع وحوادث وأفعال وأحوال تذكر بأيام الله، وتوحيده وحسن بلاء أنبيائه، وسماها شعائر الله، التي جعل تعظيمها تعظيمه.

والتفريط فيها تفريطاً في جنبه وسمح للناس أن يقضوا بها حنينهم الكامن في نفوسهم، ويحققوا رغبتهم الفطرية، في الدنو والمشاهدة بل إنه سبحانه حث على ذلك ودعا إليه فقال جل وعلا: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢]. وقال أيضاً: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾ [الحج: ٣٠].

وهكذا رحمة منه بالعباد وعلما بطبيعة الخلق الإنساني، جعل هذه المعالم الكريمة مثابة للراغبين الآيبين، ومفرغ شحنات إيمان المؤمنين وعلائم صدقٍ على خضوع وعنو الصابرين المختبين.

طواف بالبيت، وتقبيل واستلام للحجر الأسود، واستلام للركن اليماني، والتزام لما بين الحجر والباب، وصلاة خلف المقام، وشرب من ماء زمزم، وسعي بين الصفا والمروة، واجتماع حاشد في نهار يوم محدد في أرض عرفات، ومبيت حاشد في ليلة محددة في أرض مزدلفة، واجتماع أطول في منى ورمي للجمار الثلاث.

كل هذه الأعمال الدقيقة المحددة، التي يمارسها المسلم الحاج إلى مكة مرتبطة بمواقع ومشاهد، يشعر الحاج وهو يطبق العمل المأمور به في أي موقع منها أنه يحقق الغاية التي طوى البيداء من بيته إليها، ويشعر إذا أنهى عمله أنه قد حقق ذاته، وأنه أضاف إلى قربه نحو ربه قرباً وإلى قوة نفسه قوة، وإلى استعلائه استعلاء.

وهنا أخي المسلم... أخي مزمع الحج بالذات...

ينبغي أن تعي أن حجك يختلف عن سفر العشاق إلى أوطانهم، أو مرابع معشوقيهم وأن حنينك إلى تلك المشاعر والمواقع المقدسة وأعمالك المتصلة بها، طوافاً وسعياً ووقوفاً ورمياً يختلف اختلافاً كلياً عن حنين المنقطعين عن الله وتتيمهم بتراث يسترجعونه، أو شعارات يمنحونها كل حبهم وولائهم، أو أضرحة وأوثان يجعلونها ملاذهم ومعاذهم، إنك أيها المسلم في حجك وعمرتك، في طوافك وسعيك، في وقوفك ورميك، إنما توحد الله خالقك،

وتتجه إليه وحده بكل أعمالك وأفعالك كيف وقد افتتحت حجك وعمرتك بإعلان هذه التوحيد الراسخ «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك».

فأنت لا تعبد الكعبة حين تطوف بها ولا الحجر الأسود حين تقبله، ولا الجمار حين ترميها، إنما تعبد الله، لأن قلبك متجه إليه وحده، ولأنك إنما تفعل هذه الأفعال، من خلال هذه المواقع، تنفيذاً لأمر الله.

إن الحج أيها المسلم حركة توحيد وإخلاص لله في كل مناسكه المتابعة ولعل مما يعينك على استحضار هذا التوحيد والارتباط الدائم بالله، تذكرك أنك في أعمالك هذه تسير على خطى إمام الحنيفية إبراهيم عليه الصلاة والسلام وابنه إسماعيل، تلك الخطى التي أظهر وأوقف عليها الأمة محمد ﷺ حينما كان يقول لأصحابه وهو يتقلب بين تلك المشاعر المعظمة: **(خذوا عني مناسككم)**[1].

كما نبههم صلوات الله وسلامه عليه إلى الصلة الروحية، التي ينبغي أن تكون حاضرة في وعيهم، وهم يقومون على تلك المشاعر بإمام الملة الحنيفية إبراهيم عليه السلام فقد روى عنه ﷺ أنه قال: **(قفوا على مشاعركم فإنكم على إرث من إرث أبيكم إبراهيم)**[2].

هذا هو الحج في سموه وكماله.

---

(١) أخرجه مسلم في «الحج»، وأبو داود في «المناسك».

(٢) أخرجه النسائي، والترمذي، وأبو داود، قال محقق جامع الأصول (٣/٢٣٦)، قال الترمذي: حديث حسن، وهو كما قال.

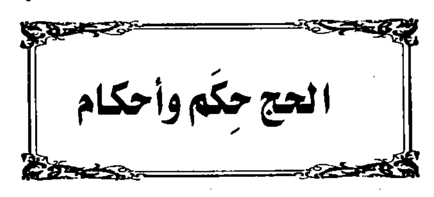
مبدؤه تجديد معالم معينة، تكون موئل حنين المسلم ونزوعه، ومن ثم سفره وقربه، منصرفاً بها عن كل منافس، من المعالم الأرضية محدودة الأصل، زائفة الغاية، وغايته صلة بالله، وارتباط به، وعبوديته خالصة له، يبدأ بها هذا الحج تلبية ويتمثل فيها أعمالاً وتنقلات بين المشاعر وينتهي بها في إحساس جديد حي يجده الحاج البار بحجه، إقبالاً على الله وتصحيحاً لمسار الحياة ولهذا قال ﷺ: «من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه»[1].

أسأل الله الكريم أن يرزقني وإياكم إيماناً صادقاً وعملاً صالحا وتوبة نصوحاً وفقهاً في الدين واستقامة على الحق إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

* * * * *

(١) رواه البخاري في «المحصر».



الحج حِكَم وأحكام

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن الحج إلى بيت الله الحرام الركن الخامس من أركان الإسلام تلك الشعيرة الإسلامية المميزة التي يتحقق فيها من خلال الجموع الوافدة من كل فج عميق، بلباسها الموحد البسيط ورؤوسها الحاسرة، وبألسنها المنطلقة بالهتاف الموحد «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك» يتحقق التوحيد المتمثل بكل معاني العبودية الخالصة لله وحده لا شريك له، وتتحقق الوحدة الإسلامية الجامعة، في مزج إيماني سامٍ، بين أناس مختلفي الأوطان والألوان واللغات والأجناس، لكنهم يتفقون في الوجهة والمبدأ الذي سما بهم فوق تلك الجوانب كلها.

الحج: عبادة إسلامية، فرضها المولى سبحانه في كتابه وأكمل بيان أحكامها رسوله ﷺ في فعله وقوله، ولهذا وجب على المسلم الذي وفقه الله لمشاركة المسلمين في أدائه، أن يعلم أن الحج ليس رحلة تنزه، يكيف حركته فيها كما يشاء، بل عبادة شرعت لحكم، وفق أحكام محددة، وطلب من المسلم أداؤها في هذه الدائرة، فقد قال سبحانه: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٦].

والإتمام يعني الإتيان بهما وفق المطلوب الشرعي، من أن يشوبهما محظور، وكرر عليه الصلاة والسلام قوله لأصحابه في حجته: (**خذوا عني**

مناسككم)[1]، والحج يمتاز بأنه كثير الأحكام، دقيق التفاصيل، متنوع الجزاءات، ولهذا كان لا بد للمسلم الحاج من الاهتمام بالتفقه في أحكامه، ومعرفة ما يلزمه وكيف يؤدي منسكه الأداء الصحيح، وقتاً ومكاناً وصورة ولا يغنيه في هذا الاعتماد على السير مع الناس، أو اقتفاء تجربة بعض العوام، في سنوات ماضية، مما قد تكون مشوبة بنقص أو فساد، فلا تبرأ به الذمة مع إمكان المعرفة والوفاء بالمطلوب الشرعي.

والناظر في أحوال الناس في مواسم الحج المتكررة، يرى وقوع البعض في أخطاء ومخالفات قد تنقص الحج أو تفسده، وقد تتكرر الأخطاء عند بعضهم سنوات طويلة دون أن يعوا منزلقهم، وما ذلك إلا لأنهم لم يكلفوا أنفسهم جهد التعرف على الصفة الشرعية التي تؤدى بها أعمال الحج.

ففي الأحكام مثلاً: شرعت مناسك متعددة، متنوعة في صورها، مختلفة في مكان أدائها متعاقبة في زمن فعلها، كالوقوف بعرفة، والمبيت بمزدلفة، ورمي الجمرات، وطواف الحج، وتجاوز وضعها الشرعي، في الصورة، أو التوقيت الزماني، والمكاني، تترتب عليه أحكام مختلفة بحسب هذا التجاوز.

هذا من جانب، ومن جانب آخر قد يشق أناس على أنفسهم، بالتزام أمر فيه سعة في الدين، فبعض الحجاج يلتزم ترتيباً واحداً لا يحيد عنه، حتى لو أوقع نفسه وأهله في الحرج والمشقة، وذلك في أعمال يوم العيد رمياً ونحراً وحلقاً وطوافاً، مع أن الله قد رفع الحرج عن المسلمين في ذلك حيث ورد عنه ﷺ أنه ما سئل في ذلك اليوم عن شيء قدم ولا أخر إلا قال: **(افعل ولا حرج)**[2].

---

(١) أخرجه مسلم في «الحج»، وأبو داود في «المناسك».

(٢) رواه البخاري في «الحج»، ومسلم في «الحج» أيضاً.

أما حِكَم الحج فمنها: العبودية الخالصة لله سبحانه، والإنعتاق من ربق التعبد لغير الله، وثناً أو طاغوتاً أو هوى وشهوة، ابتداء من هتاف التلبية، ومروراً بتلك المشاعر التي لا يؤدي أفعالها إلا لمجرد الامتثال لوجه الله، والإيمان بالغيب الذي يميز صدق إسلام المسلم من خلال تلك الأعمال التي قد لا تأنس بها النفوس العادية ولا تهتدي لمعانيها العقول كرمي الجمار والتردد المتكرر بين الصفا والمروة.

ومن حكم الحج تحقيق صورة وحدة الأمة بهذا التجمع العظيم، لهدف واحد، في مكان واحد وزمان واحد لأداء أعمال واحدة.

ولكن يسوء المسلم شعوره أن بعض المسلمين لا يعون لعدم تفقههم في الحج حِكَماً وأحكاماً هذه المقاصد العظيمة، مما تدل عليه تصرفات قد تخدش تلك العبودية، أو الوحدة المستهدفة للأمة.

ولعل سائلاً يستوضح الآن، عن ما يساعده على العلم بأحكام الحج، ليأخذ منها ما يغنيه، وأقول إجابة على ذلك، إن الأمر يختلف بحسب المستوى الفكري للحاج.

فهناك لمن يستطيع القراءة والفهم كتب ألفها العلماء المجتهدون لهذه الغاية ينبغي على مثل هذا الحاج اصطحابها وقراءتها كمثل كتاب «التحقيق والإيضاح لكثير من مسائل الحج والعمرة» للشيخ عبد العزيز بن باز، وكذلك «المنهج لمريد العمرة والحج» للشيخ محمد العثيمين وهي كتب صغيرة خفيفة الحمل سهلة العبارة.

وكذلك سؤال العلماء واستفتاؤهم، عن ما ينبغي فعله قبل الفعل، أو عنه بعد فعله إذا شك فيه، كما أمر المولى سبحانه بذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا

مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالاً نُوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل : ٤٣]، وينبغي التثبت من المسئول، بأن يكون عالماً، إذ ليس كل متزي بزي العلماء عالماً ومن المعتاد وللأسف في الحج، أن بعض الناس لا يتورع عن التصدر للإفتاء، في ما لا يعلم، بناء على ما اعتاد فعله، أو ما تصور أنه الحق، وهذا ما نهى عنه الحق سبحانه، وحذر فاعليه في قوله تبارك ﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴾ [النحل : ١١٦].

والدولة وفقها الله تقوم من ضمن ما تقوم به من خدمات عظيمة للحجاج، بتوجيه كثير من العلماء للقيام بهذه المهمة من خلال هيئة التوعية الإسلامية في الحج التي تنتشر مراكزها في المواقيت والمشاعر وأماكن التجمعات والهواتف المجانية للاستفتاء.

ومن وسائل المعرفة أيضاً، الأشرطة المسجلة التي تتضمن فتاوى كبار العلماء، في كثير من مسائل الحج وأحكامه، والتي توزعها هيئة التوعية الإسلامية في الحج، في مقرها وفي مراكزها في المشاعر المقدسة.

رزقنا الله فقها في دينه وفهماً لكتابه وعملاً بشرعه.

* * * * *

يوم عرفة والزمن المضغوط

الحمد لله الواحد الأحد، وصلى الله وسلم على صاحب الخلق العظيم، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

أيها المسلم الكريم في رحاب المشاعر المقدسة، أو في أي صقع من أصقاع المعمورة، أحيي مشاعرك الفياضة بالإيمان، وقلبك المتجه إلى إلهك وخالقك بالذكر والمناجاة...

فالسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

أخي المسلم، وأنت في كنف يوم عرفة بما يفيض به من جلال وعظمة، تعالَ أدِر معي لسانك، وألقِ للتأمل قلبك، في قول رسولك الحبيب عن هذا اليوم، الذي تشهده وتعيشه مسلماً، حاجاً معرِّفاً، أو صائماً ذاكراً، حيث يقول عليه صلوات الله وسلامه «الحج عرفة»[1]، وحيث يقول في حديث آخر: «ما رئي الشيطان يوماً هو فيه أصغر ولا أدحر ولا أحقر ولا أغيظ منه في يوم عرفة، وما ذاك إلا لما يرى من تنزل الرحمة وتجاوز الله عن الذنوب العظام»[2]، وقوله ﷺ فيما رواه جابر منوهاً بالحجاج في ذلك اليوم: (**إذا كان يوم عرفة فإن الله ينزل إلى السماء الدنيا فيباهي بهم الملائكة فيقول: انظروا عبادي، أتوني شعثاً غبراً ضاحين من كل فج عميق أشهدكم أني قد غفرت لهم، قال عليه الصلاة**

---

(١) أخرجه الترمذي في «الحج»، وأبو داود في «المناسك» وإسناده صحيح، جامع الأصول (٣/٢٤٢).

(٢) أخرجه مالك في «الموطأ» مرسلاً في الحج، ووصله الحاكم في «المستدرك»، انظر: جامع الأصول (٩/٢٦٣).

والسلام – فما من يوم أكثر عتيق من الناس من يوم عرفة)[1].

وقوله ﷺ عن فيض رحمة الله على غير الحجاج من صائمي هذا اليوم العظيم: «صيام يوم عرفة احتسب على الله أن يكفر السنة التي بعده والسنة التي قبله»[2].

لك الحمد يا ربنا على نعمك العظيمة، وآلائك السابغة الجليلة، فضل كثير، وخير غامر وفير، يجود به العلي الكبير، على عباده في هذا اليوم الأغر العظيم.

هل أتاك أيها الأخ نبأ النظرية التي ظهرت في هذا القرن، تقول بالنسبية الزمانية؛ تقول للناس إن معلوماتكم عن الزمن ناقصة لأنكم لا ترون فيه إلا ساعات ودقائق، محدودة ثابتة المقدار والحال، ولكن الحقيقة أن الزمن الكوني له صور أخرى تزيد أو تقل عن زماننا الأرضي المعروف.

دع هذا أخي الكريم، فهذه حسابات عادية تعلم ظاهراً من الحياة الدنيا، وتأمل في حساب الزمن في الإسلام وأنت تتعامل فيه مع الله المحيط بالزمان والمكان، إن له عند الله مقادير عظيمة وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة.

ولقد هيأ لك خالقك سبحانه محطات من هذا الزمن المكثف، الذي تعادل ساعاته الأشهر والسنين، رمضان، عشره الأواخر بالذات وعشر ذي الحجة وليلة القدر، ويوم عرفة...

---

(١) جاء في المسند في مواضع كثيرة وعند البزار والبيهقي، انظر: كلام محققي مسند أحمد فيه (١١/ ٦٦٠).

(٢) أخرجه الترمذي في «الصوم»، وإسناده صحيح كما قال محقق جامع الأصول (٣٢١/٦).

وإنك لتعلم وأنت المسلم القارئ لكتاب ربك أن ليلة القدر وحدها تعدل في فضلها وخيرها ألف شهر، ولهذا كانت سيدة الليالي، أما سيد الأيام وأعظمها فضلاً واحتواء للخير، فهو يوم عرفة، فاعرف لهذا اليوم مقامه وتدارك دقائقه وافتح يدك مستمطراً ما عند الله من فضل وكرم.

اجتهد في الخير ما استطعت ولا تحقرن من المعروف شيئاً وابتسم لمن حولك، وأحسن لمحتاج يمر أمامك، وانصح جاهلاً ترى خطأه، وطهر قلبك من الغل والحسد، وسوء الظن بإخوانك المسلمين، لأن الغل والشحناء بين المسلمين توشك أن تحجب أعمالك عن الارتفاع إلى الله.

اذكر الله ذكراً كثيراً سواء كنت حاجاً أو غير حاج، فهو مشروع لكما معاً وبه تلتقيان في توجه صادق نحو الله، وكثر من الأدعية التي تعظم بها ربك وتذلل بها نفسك، وأنت حاضر الوعي خاشع النفس، عاني الوجه، فقد روي عنه ﷺ أنه قال: **(خير الدعاء دعاء يوم عرفة، وأفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير)**[1]، ولقد كان ﷺ وهو القدوة وبه الأسوة رافعاً يديه بالدعاء مطيلاً مناجاة خالقه حتى روي أنه حينما كان واقفاً بعد العصر عند الصخرات يدعو سقط خطام ناقته فتناوله بيده ويده الأخرى على حالها، مرفوعة بالدعاء.

وينبغي لك أخي المسلم الحاج أن تستحضر وأنت بين هذه الجموع الحاشدة، تناجي ربك، وتبوء له بنعمته عليك، وبذنبك وتفريطك،

---

(١) أخرجه الترمذي في «الدعوات»، ومالك في «الموطأ»، وهو بروايات أخرى حسن عند محقق جامع الأصول (٤/ ٣٢٤).

أن تستحضر يوم مثولك بين يديه فرداً، ما يقتضيه هذا المثول من مسؤلية في نفسك وأهلك، يقول أحد العلماء: الحج في حقيقته سير نحو الله، فعامة البشر سيمثلون أمام ربهم بعد الموت، ولكن المؤمن يمثل بين يدي ربه قبل أن يأتيه الموت، فحضور الآخرين أمام الله، حضور المجبور، الذي لا حيلة له أما حضور المؤمن فباختياره، وهذا هو المنظر الذي يقدمه اجتماع الحجاج، من كل أنحاء العالم، في ميدان عرفات، ولعله لهذا قال رسول الله ﷺ: «الحج عرفة».

كما ينبغي أن تستحضر وحدة أمتك الإسلامية، وأخوتك لسائر إخوانك المسلمين، الذين أزال حاجز شعيرة الحج في يوم عرفة كل عوامل التفريق والتمايز الأرضية بينك وبينهم، وأنت الآن قائم بينهم، بلغاتهم المختلفة، وألوانهم المشكلة، وأجناسهم المتعددة ومجتمعاتهم المتنوعة، وأحوالهم المادية المتفاوتة، تشعر أنك واحد منهم، فتلبس لباسهم وتفعل أفعالهم، وتستهدف غايتهم، تعيش مثلهم، مشاعر الرغبة والرهبة، والخوف والرجاء، خاضعين جميعاً لربكم داعين مناجين.

إن شعورك أيها المؤمن – أيها الحاج – بهذا الرباط الأخوي المتين الذي يربطك بإخوانك المسلمين، ووعيك بقيمة الوحدة الجامعة لشمل المسلمين، جدير بأن يكون بداية علاج لحال المسلمين المتردي، وهوانهم الأليم، بين أمم الأرض اليوم حينما تفرقت الأمة الواحدة شيعاً وأحزاباً، وتقطعت مزقاً وأشلاء، وتحكمت المصالح الأنانية، بكثير منهم، فلم تتجاوز هممهم وأفكارهم ما تحت أرجلهم.

أيها الأخ المسلم الفاضل:

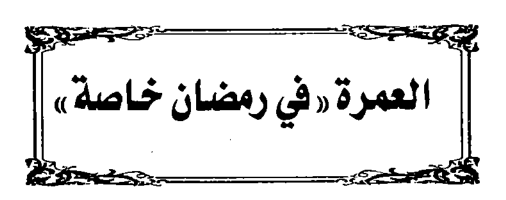
استثمر يومك هذا، بما تستطيع من توافر همة وإرادة عمل فهو منجم قد فتح الله لك كنوزه.

وأكثر من دعاء ربك لنفسك وأهلك ولأمتك الإسلامية فلعل نفحة جود تفيض على دعواتك الصادقة فتستجاب.

أسأل الله العظيم رب العرش الكريم، بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى، أن يغفر لنا ذنوبنا ويستر عيوبنا، ويرحم ضعفنا، ويحقق مطلوبنا، كما أسأله تعالى أن يرحم أمة محمد ﷺ في مشارق الأرض ومغاربها، وأن ينصر جهادها ويعلي رايتها ويرد شاردها ويخذل أعدائها، ويولي عليها خيارها ويؤلف بين قلوبها ويرحم مستضعفيها.

إنه ولي ذلك القادر عليه وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

* * * * *



العمرة «في رمضان خاصة»

الحمد لله الواحد الجليل، خلق كل شيء وهو على كل شيء وكيل، لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير، تمت كلمته تعالى صدقاً وعدلاً لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الحي القيوم، والذي لا تأخذه سنة ولا نوم، له ما في السماوات وما في الأرض، لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، وسع كرسيه السماوات والأرض، ولا يؤده حفظها وهو العلي العظيم.

وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله بعثه ربه وقد ظهر الفساد في البر والبحر، وأصبح الإنسان ضائعاً في الحياة فأصلحها بهدى ربه، وقوم اعوجاجها بالشريعة السمحة وترك الناس على محجة بيضاء لا يزيغ عنها إلا من آثر الهلاك لنفسه.

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن شهر رمضان العظيم في ميزان الله كالروضة الخصبة، تضفي على ما ينبت فيها من أزهار وأشجار نوراً وأريجاً تزكو به على أمثالها في غير تلك الروضة.

وهذا ما يحصل للعبادات في رمضان، كالصيام والقيام وقراءة القرآن والجود بالخير ونحوها فهي تتألق في رمضان ويتضاعف ثوابها.

والعمرة إلى بيت الله الحرام في هذا الشهر الكريم لها مقام جليل وموقع خاص ليس لها في غيره من الشهور.

فقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال لامرأة من الأنصار لم تتمكن من الحج معه: «إذا كان رمضان فاعتمري فيه فإن عمرة في رمضان تعدل حجة»[1]، وجاء في بعض الروايات: «عمرة في رمضان تعدل حجة معي»[2] أي مع رسول الله ﷺ والمراد والله أعلم أن هذه العمرة تعدل الحج في الثواب وفي ما لها من تعظيم لشعائر الله، وفي تأثيرها على الإنسان فإذا كان الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة، وإذا رجع من حج ولم يرفث ولم يفسق كيوم ولدته أمه نقياً من الذنوب، فإن الذي يؤدي العمرة في رمضان خالصة مقبولة يحظى من الفضل بمثل ذلك والله واسع عليم.

ولقد وعى الفطناء من عباد الله هذا المكسب الرابح اليسير فكثر المعتمرون في هذا الشهر الفاضل وازدحم البيت العتيق بالراغبين المنافسين الذي يرجون تجارة لن تبور ليوفيهم الله أجورهم ويزيدهم من فضله، والله جل وعلا يرزق من يشاء بغير حساب.

والحق أيها الأخوة أن للعمرة في رمضان طعماً خاصاً، يجده من يصبوا إليه من المعتمرين، حيث يجتمع شرف الزمان والمكان، والعبادة الخالصة القائمة على الامتثال المجرد والشعور بالانخلاع من عوائق الدنيا أمام الله، وتحت بيته الذي جعله مثابة للناس وأمناً وأمر بتطهيره للطائفين والعاكفين والركع السجود.

---

(١) رواه البخاري في «الحج»، وكذلك مسلم.

(٢) أخرجه البخاري تعليقاً في «الحج»، ووصله أحمد وابن ماجه، انظر: جامع الأصول (٩/٤٦٣).

ولهذا فكثيراً ما تحدث لهذا الموقف آثار حميدة على حياة الإنسان، حينما يدخل العبد بيت مولاه تاركاً خلفه الأولاد والأموال والأوطان طارحاً نفسه بين يدي خالقه فيمتلئ قلبه بشعور محتدم من الحب العميق لربه ومن الرهبة منه والرجاء العريض لفضله، ومن تجرد القلب من غشاوة الدنيا وتلألؤه بنور الله وكأن لسان حاله يقول:

فليتك تحلو والحياة مريرة ❖ وليتك ترضى والأنام غضاب

وليت الذي بيني وبينك عامر ❖ وبيني وبين العالمين خراب

إذا نلت منك الود فالكل هين ❖ وكل الذي فوق التراب تراب

كم من مسرف على نفسه كانت مثل هذه العمرة وتلك الوقفة عاملا أدار مؤشر حياته نحو الله والتزام دينه، وكم من غارق في بحر الآثام سادر في غيه ساقته عناية الله فجاء إلى البيت معتمراً فما خرج منه إلا بوجه جديد ووعي جديد عاد به إلى الله بعد طول شرود.

ولهذا ينبغي للمسلم الذي يسر الله له مثل هذا الفضل واعتزم زيارة البيت والعمرة في هذا الشهر أن يعد نفسه ويهيئها في قدومها على الله حتى يبدأ في شعائر العمرة وهو يعلم أنه مقبل على الله منفك عما سواه يعي هذا وهو يبدأ تلبيته عند الميقات «لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك إنه الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك لبيك حقاً حقاً تعبداً ورقاً».

يعيه وهو يدخل الحرم ويرى البيت العتيق، وحين طوافه بالبيت والصلاة تحته والسعي بين الصفا والمروة، وحلق رأسه أو تقصيره، وهي أعمال يسيرة ووقت تنفيذها قصير محدود، ولكنها عظيمة الأثر لمن عقلها وكان له قلب حاضر واع.

ولأن هذه العمرة تؤثر في حياة الإنسان الموفق للخير ما لا تؤثره وسائل التربية الأخرى في أشهر بل في سنين لذا فإن من الخير والنصيحة أن ينبه المسلم أخاه أو قريبه أو من له صلة به على أهميتها وأثرها ويسهل له أمر أدائها علها تكون فاتحة خير في حياته وفي صلته بربه.

وينبغي أن نعلم أن العمرة التي يحصل بها الأجر هي الإحرام بها من ميقاتها والطواف والسعي والحلق والتقصير وبذا تكون قد تمت للمسلم عمرته، أما ما يتصوره بعض الناس وخاصة النساء من أن من لم يمكث في الحرم أياماً مصلياً معتكفاً فقد انتقصت عمرته فإنه تصور خاطئ.

مع العلم أن التعبد في رحاب البيت الحرام نعمة كبرى وخير عظيم فقد ثبت أن الصلاة في المسجد الحرام تضاعف أضعافاً كثيرة على الصلاة في غيره من المساجد وروى أحمد في مسنده والبيهقي وغيرهما بإسناد حسن عند النووي أنه ﷺ قال: **(صلاة في مسجدي هذا – أي الحرم النبوي – أفضل من ألف صلاة فيما سوه فيما سواه إلا المسجد الحرام، وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة صلاة في مسجدي)**[1].

كما أن الاعتكاف وقراءة القرآن والاستماع إلى دروس العلم في المسجد الحرام، أعظم أجراً منها في غيرها من المساجد.

ومما لا غنى عن الانتباه له من قبل الذين امتن الله عليهم بقضاء أيامٍ من رمضان في رحاب البيت العتيق.

---

(١) انظر: شرح النووي لمسلم (١٦٤/٩).

أهمية رعاية الآداب في الرحاب المطهرة، التي جعل الله لها حرمةً خاصة، ليست لسائر الأمكنة، سواء في التعامل مع إخوانه المسلمين، أو في المحافظة على نظافة المسجد، من أن يلوثه بشيء من بقايا المأكولات أو القاذورات أو في حفظ النظر والسمع عن التعرض لمحارم الله، فقد قال سبحانه: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج: ٢٥].

كذلك فإن بعض محبي الخير قد يندمجون في العبادة والصلوات والقراءة داخل الحرم ويهملون أولادهم خاصة البنات المراهقات في الشقق في العمائر المكتظة بمن هب ودب من الناس، وفي الأسواق بين ذئاب جائعة، عليهن منها خطر عريض.

ينبغي للمسلم أن يراعي المصلحة الشرعية في تصرفاته، فإن رعايته لأهله وأولاده وصيانتهم من الوقوع فيما لا يرضي الله خير له من أن ينقطع للتعبد مضيعاً من وراءه تاركاً إياهم.

وينبغي أن تعلم المسلمة أن مضاعفة الأجر الواردة في الحديث للصلاة في المسجد الحرام ليست خاصة بالمسجد المحيط بالكعبة، بل صلاتها في شقتها أو مقرها ما دامت في دائرة الحرم مضاعفة إن شاء الله حسب قول الكثير من أهل العلم.

أسأل الله الرحيم أن لا يردنا خائبين، ولا من رحمته آيسين، ولا من عطاياه محرومين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحابته.

* * * * *

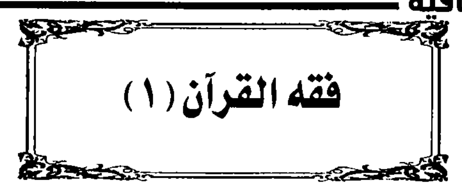


المسائل الثقافية

وتشتمل على ما يلي :

* فقه القرآن (١).
* فقه القرآن (٢).
* المرجع السواء.
* قضية المصطلح في ثقافتنا.
* الأمثال المضروبة.
* العلم في خواطر العلماء.
* ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين.
* الذرائعية.
* الوجودية (١).
* الوجودية (٢).
* الصحوة الإسلامية.





فقه القرآن (١)

الحمد لله خلق الإنسان، وعلمه البيان، وأنزل عليه الهدى والفرقان، أحمده وهو للحمد أهل، وأشكره على ما يولي من عطاء وفضل.

وأشهد أن لا إله إلى الله وحده لا شريك له، تبارك اسمه وتعالى جده، ولا إله غيره، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبد الله ورسوله نبي الإسلام، ورسول السلام، والهادي إلى رضوان الملك العلام.

عليه صلوات الله وسلامه ورحمته وبركاته، وعلى إخوانه النبيين وآله وصحبه أجمعين، وبعد:

القرآن الكريم مائدة الله في الأرض، وحبله المتين، كتاب الهداية والنور والشفاء والحياة الحقيقية للإنسان.

حقيقة إسلام وإيمان الإنسان، بل حقيقة إنسانيته تتجلى من خلال علاقته بهذا القرآن العظيم، وتعامله معه، فهل من مدكر؟

ماذا ستُراني أقول لك يا عبد الله، بشأن القرآن المجيد، وبشأن علاقتك به في ظل حياة تمور بها الأفكار والأحداث موراً.

إن كتاب الله بين يديك، تقرأ فيه صفاته، وتعرف من آياته قيمته وقيمه، واعياً أنه خطاب بارئك إليك، يحمل العلم الحق والحجة البالغة، والحكمة وفصل الخطاب، وإني لأقول لك بعاطفة حب إيماني يربطني بك أينما كنت، لتعلم أخي المسلم علم يقين لا ريب فيه أنه لن يجد امرؤ سعادة نفسه، ولن تهنأ أسرة بعلاقاتها أو تجد طعم حياتها ولن تنهض الأمة من عثراتها أو يكتب لها

شهود حضاري ما لم تعد للقرآن الكريم وتعتصم بحبله المتين وتوجه بهديه حياتها أهدافاً وحركة وما لم تبدد بنوره ظلمات هذه الحياة في جوانبها المختلفة في القلوب والعبادات والأعمال وإنه والله لأمر مؤسف لهذه الأمة أن مصدر عزتها ونهوضها بين يديها ثم تتركه وتذهب تتسول على موائد موبوءة بالأمراض لتطعم منها غذاءً لفكرها أو أسلوباً لمعيشتها.

إن التاريخ يعيد نفسه جرياً على سنن بني إسرائيل الذين عزفوا عن دين الحق الذي أمرهم به موسى وتعلقت نفوسهم بالضلال الذي رأوه لدى غيرهم، فيما أخبر به عنهم الحق سبحانه: ﴿وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٨].

إن الإنسان يبحث دائباً عن المنهج الذي يتحقق به وجوده على أكمل وجوهه ويتنسم به روائح السعادة وهو لهذا يجهد عقله ويتلمس في التاريخ البشري ليقيم حياته على ما يصل إليه فكره فإذا تبين له خطؤه وضلاله بحث عن بديل لذلك ويظل كذلك بعيداً عن المسلك السليم والسبب هو أن الإنسان بعقله المحدود عاجز عن معرفة الحقائق الكبرى التي يقوم عليها الوجود ولا مناص له إذا أراد سعادة نفسه وكمال وجوده من أن يستمد منهجه ويترسم غايته من الذي خلق الكون والذي يعلم حقائق الوجود كلها الذي لا تخفى عليه خافية سبحانه وذلك في كلامه الذي أنزله على عبده ورسوله محمد ﷺ، القرآن العظيم كما قال سبحانه: ﴿قُلۡ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ [الفرقان: ٦].

ولقد وعي المسلمون الأولون ذلك أيما وعي فأقبلوا على القرآن يغذون به أرواحهم ويسددون به أفكارهم ويقومون به عوج حياتهم، حتى أصبحت حياتهم صورة عملية للقرآن، بحسب استعداد البشر وطاقتهم، ولهذا لما سئلت عائشة ﵂ عن خلق رسول الله ﷺ قالت: «كان خلقه القرآن»[1] ولم يقتصر ذلك على شخصياتهم الفردية بل إن حضارتهم الزاهرة كان القرآن الكريم محورها الذي تدور عليه في معارفها وقيمها وغايتها.

ولقد نظم الإسلام علاقة المسلمين بكتاب ربهم فبين لهم مقامه العظيم في حياة المسلم وخطورة التخلي عنه وهجره، جاء في البخاري عن سمرة بن جندب ﵁ أن النبي ﷺ كان يسأل أصحابه بعد بعض الصلوات عن ما رأوه في المنام، وأنه ﷺ أخبرهم يوماً أنه أتاه رجلان - في المنام - وذكر حديثاً فيه أنهما مرا به على رجل مضطجع وآخر قائم عليه بصخرة وإذا هو يهوي بالصخرة لرأسه فتثلغ رأسه فيتدهده الحجر ها هنا فيتبع الحجر فيأخذه فلا يرجع إلى الرجل إلا وقد عاد رأسه كما كان ثم يعود لفعله وذكر في آخر الحديث أن هذا الذي يثلغ رأسه بالحجر «الرجل يأخذ القرآن فيرفضه وينام عن الصلاة المكتوبة»[2].

وروى ابن عباس ﵁ قال قال: رسول الله ﷺ: **(إن الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب)**[3].

---

(١) رواه مسلم في «صلاة المسافرين».

(٢) رواه البخاري في «التعبير»، ومسلم في «الرؤيا».

(٣) رواه الترمذي في «ثواب القرآن»، وقال الترمذي: حسن صحيح، وصححه الحاكم، انظر: جامع الأصول (٥٠٨/٨).

وبين ﷺ فضل حامل القرآن وقارئه على سائر أصناف الناس من حوله في تشبيه بليغ فقد قال ﷺ: «مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة ريحها طيب وطعمها طيب ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن مثل التمرة لا ريح لها وطعمها طيب، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن مثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر»[1].

ووجه المولى تعالى في كتابه وفي سنة رسوله ﷺ عباده إلى قراءة القرآن والعيش في رحابه وتدبر آياته التي سهلها سبحانه ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: ١٧]، وأمر بالإنصات لسماعه إذا تلي وجعل سبحانه تلاوته عبادة الثواب للقارئ فيها بكل حرف حسنة مضاعفة إلى عشر حسنات فسبعمائة إلى ما شاء الله. ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٤]، كما شرع آداباً يتعامل بها المسلم مع كتاب الله حفظاً لمقامه وفتحاً لباب استفادة المسلم منه.

وإن من أولى ما ينبغي التأكيد عليه بشأن القرآن في حياتنا، ما يتعلق بفلذات الأكباد من الناشئة الصغار، الذين يترعرعون في ظل أوضاع فكرية وإعلامية تعج بالغث والسمين مما يجعل فطرتهم الصافية معرضة للتلوث والفساد.

وعليه فإن من أهم وأحزم ما ينبغي أن يعمل له المهتمون بالتعليم وأولياء أمور الأطفال أن يجعلوا القرآن هو فاتحة الزاد الثقافي الذي ينطقونه في حياتهم ليكون أساس فكرهم ومعيار نظرهم بعد ذلك ويتحقق ذلك بأن يسْلك هؤلاء الأطفال في مدارس القرآن أو حلقات تعليمه في المساجد قبل دخولهم الدراسة الابتدائية وأثناءها لقراءة القرآن وحفظه.

---

(١) رواه الترمذي في (الأدب)، قال محقق جامع الأصول (٨/٥٠٧): وإسناده صحيح.

ومن نعمة الله على خلقه أن هذا القرآن واضح مفصل ميسر للقراءة والذكر حتى للناشئة الصغار خصوصاً إذا وفقوا بمن يبسط لهم المعاني من أساتذتهم.

هذه القراءة والحفظ وتبسيط المعاني التي تباشر عقولهم الغضة ونفوسهم الطرية كفيلة بإذن الله أن تحفظ لفطرهم صفاءها وأن تبني في قلوبهم تصوراً قرآنياً عن الوجود والكون والحياة والإنسان، مكيناً يجعلهم يطرحون ما يتلقونه بعد ذلك من تصورات بشرية زائغة إطراح الخرافات والأساطير فضلاً عما تكسبهم إياه صحبة القرآن من سمت كريم يفتقده أحياناً الرجال البالغون.

إن القرآن الكريم هو النور المضيء والهدى القويم والشفاء لما في الصدور وإن من المؤسف أن يغلب المسلم على قرآنه سيلُ الكتابات البشرية والملهيات التافهة التي تنهب وقته الثمين فتمضيْ عليه الليالي والأسابيع دون أن يتصل بالقرآن الكريم.

ولعلك تقول أخي المسلم: قيمة القرآن في ذاته لا يمترى فيها مسلم يؤمن بأنه وحي منزل من الحكيم الخبير لكن المشكلة فينا نحن.

كأنك تقول: إنني أقرأ القرآن وأنا أعي أنه كلام الله المنزل ولكنني لا أشعر بانفعال وتأثر يسوقني إلى رقي في حياتي.

فما السبب بل ما الطريق الذي أستطيع به أن يكون للقرآن أثر في حياتي ونور يتلألأ في حنايا صدري وضوء يزيل بقع الظلام المخيم على نفسي ومن حولي.

عساك تجد حديثاً بهذا الشأن في الحديث التالي...

* * * * *



فقه القرآن (٢)

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ۝ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ۝ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا﴾ [الكهف: ١ – ٣].

نحمد ونشكره على آلائه ونعمه وعلى قضائه وقدره.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الكبير المتعال، ذو الجمال والجلال والكمال، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، اختصه ربه بأعلى مناقب التكريم، وآتاه السبع المثاني والقرآن العظيم، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله والصحابة الكرام أجمعين.

لما يزل حديثنا متواصلاً عن القرآن، وكأني بك أخي المسلم وأنت قريب من كتاب ربك، تفتح صفحاته، وتقرأ فيه، وترفعه في إجلال على الرف – كأني بك – تتلهف لمعرفة الطريق الذي يجعل ارتباطك بالقرآن، ارتباط الأرض المجدبة القابلة بالغيث الغدق والذي يجعل إشراق قلبك بالصلة به، كإشراق المصباح إذا اتصل بالتيار الكهربي، ولعلك تقرأ سيرة الرعيل الأول وانفعالهم بالقرآن، وتأثرهم بآياته وأحكامه، تأثراً صاغ به شخصياتهم صياغة جديدة كريمة، وأنشأهم خلقاً جديداً، وجعلهم يعيشون الحقائق التي جاء بها القرآن، كأنهم يعاينونها ويعانونها، يقرؤون أسماء الله وصفاته، فيستحضرون الهيبة والجلال، والأمن والسلام، والرقابة المحيطة، فيسيطر ذلك على حركاتهم وتصرفاتهم، ويقرؤون ذكر اليوم الآخر، فكأنهم يعيشون أحواله وأهواله،

وجنته وناره، فيستولى عليهم شعور بمسؤولية ذلك اليوم، يدفعهم إلى الاستعداد والتزود.

كأني بك تشتعل شوقاً إلى التحلي بحالة ذلك الطراز الكريم، وتعرف السبيل الذي يحيل قراءتك الروتينية للقرآن الكريم إلى علمٍ يغذو عقلك، وإيمان يملأ قلبك، وإرادةٍ تنبعث في جوارحك ونور ينير روحك، ولقد ذكر العلماء العاملون، وسائل تحقيق ما تصبوا إليه مستلهمين ذلك من القرآن نفسه ومستفيدين من تجاربهم العملية.

وها أنا ذا أذكر لك شيئاً مما ذكروا علك تنتفع به وتستفيد.

ينبغي مقدما أن تقبل على القرآن بقلبك ورغبتك، قبل أن تقبل على المصحف بوجهك، فإن من النقص الذي نعاني منه أننا نقرأ القرآن، وقلوبنا مشغولة بغيره، مقبلة على دنياها البعيدة عن جوه، مما يُفقدنا أثره في النفوس.

اختبر قلبك وأنت تتجه إلى كتاب الله للقراءة، هل هو مقبل على الله، مستشرف لرضوانه، وهل هواك ينزع بك نحو الله، أوأنه جار مع الدنيا في أوديتها.

إن انشغال القلب بالأهواء الدنيوية، سواء كانت مباحة كالمال والبنين إذا انغمر العبد في حبها، أو كانت محرمة كالشهوات الحسية، أو كانت رذائل خلقية، كالغرور والإعجاب بالنفس والحقد والحسد ونحوها.

كل هذه الأهواء الجامحة، تمثل حجباً على القلب، تمنع أو تُضعف انتفاعه بالقرآن، وتمثل أكنة تحول بين نوره وذلك القلب المصاب بها.

فلتحاولْ أيها المسلم جاهداً تطهير قلبك من الأدران، كي يهتز بالقرآن، ويربو ويزدهر بكل فضيلة، واحذر أن تكون ممن ذكرهم الله في قوله سبحانه:

﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ۝ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِمْ نُفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٥ — ٤٦].

ينبغي أن تستحضر وأنت تستفتح قراءتك بالاستعاذة «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم» مستجيباً لأمر الله، أنك تستهدف التخلص من كل أحابيل الشيطان، لائذاً بكنف خالقك... كما لا بد لك من أن تستشعر قيمة القرآن الفريدة وخواصه التي يتميز بها، ومن ذلك أن تقرأه على أنه خطاب الله إليك أنت أيها القارئ فلتستحضر عظمة مخاطبك به، وجلاله، وهيمنته، وبره، ورحمته، واطلاعه عليك، وأنت تقرأ ما يعلمّك وما يريد منك أن تفعله.

إن استشعارك لهذا المعنى العظيم، يجعل لآيات القرآن في نفسك ثقلاً خاصاً مؤثراً، وقد بين سبحانه أنه ثقيل في قوله: ﴿إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [المزمل: ٥]. فإذا وعيت هذا وتحققت به، لم تصبح قراءتك له كقراءتك لكلام غيره من البشر، بل إن كلام البشر، كثيراً ما تكون قيمته وتفاعل الإنسان معه بحسب مكانة كاتبه أو مرسله، إذا كان خطاباً، فكيف إذا كان المخاطب هو الله سبحانه، وإذا كان المقروء هو كلامه وأمره، ولهذا نجد أن القرآن الكريم يؤكد هذا المعنى في نفوس المؤمنين كثيراً ﴿ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا﴾ [الطّلاق: ٥]. ﴿لَّـٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٦٦]، ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَـٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١٧٤]. وينبغي أن تقرأ القرآن على أنه الهداية التي ترسم طريق السعادة، وتحدد معالم الحق، الذي ليس بعده إلا

الباطــــــل ، ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء : ٩].

إن القرآن الكريم ، يتضمن عناصر الكمال في الفنون المختلفة ، في أسلوبه ونظمه ، وفي معارفه وعلومه ، وفي طراوته وحلاوته ، ولكن القرآن مع هذا كله ، روح تقوم بها حياة القلوب ، ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ﴾ [الشورى : ٥٢]، وقال سبحانه في سورة غافر : ﴿ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴾ [غافر : ١٥]. فإذا قرأت كتاب الله فابحث عن هذه الروح ، وأحيي بها كيانك ظاهراً وباطناً فإن هذه الروح القرآنية إذا اتصلت بالقلب أحيته ، فانبعثت الحياة في كيانك كله ولهذا وصف الله القرآن بالحيـــاة ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام : ١٢٢]. وقـال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ [الأنفال : ٢٤].

والقرآن نور يبدد الظلام وشفاء لما في الصدور ، ورحمة إلهية ، فتأمل هذه المعاني وأمثالها في هذا الكتاب المجيد ، واقرأه باحثاً عنها ، متطلعاً إليها لتغشاك.

واعلم أيها القارئ الكريم ، أن من أكبر عوامل استفادتك من القرآن الكريم في قراءته وفقهه ، أن ترتبط بالواسطة الذي نقل إليك القرآن من ربه وبالمحيط الذي تنزلت فيه آياته.

فإن الله ﷻ أنزل القرآن الكريم ، خلال ثلاث وعشرين سنة على النبي ﷺ حيث كان يوجه بها عليه الصلاة والسلام الحياة الإنسانية ، وهي تترقى شيئاً فشيئاً ، وتتمثل بأخلاق القرآن وقيمه.

وقد سجل القرآن قصة ذلك التحول في الحياة، الذي قاده الرسول ﷺ، محارباً من المشركين الرافضين لدعوته، ومتبوعاً من قبل فئة قليلة، تكاثرت مع الأيام وقامت دولة الإسلام في المدينة، وتواصل تقويم القرآن للحياة في وجه تحديات متعددة، المنافقون واليهود والمشركون حتى أتم الله أمره ونصر عبده وأكمل بهذا القرآن دينه.

إن معايشتك للرسول ﷺ وأصحابه وهم يتحركون بالقرآن، والقرآن يوجه خطواتهم، مفيد لك كثيراً، في قيامك بحق هذا الكتاب، قياماً ترضى به ربك وتسعد به حياتك.

ويساعدك في هذا أن تتملى سير الصالحين في صلتهم بهذا القرآن، وتأثرهم به وأن تجالس الأخيار من أهل القرآن، الذين هم أهل الله وخاصته.

ولتعلمْ بعد هذا أن غاية القرآن هي أن يؤهل الإنسان للدار الآخرة، ليحظى فيها برضوان الله، وأن كل ما فيه من ترغيب وترهيب، وعبادات وتشريع، إنما ينتهي بالإنسان إلى هذه الغاية، فاعرف غاية القرآن، واجعلها هدفك من صحبته وقراءته.

إننا نعيش في عصر تغلغلت فيه المادية في نفوس كثير من الناس، فأنستهم الآخرة، وأورثت قلوبهم قسوة شديدة، جعلتها لا تتأثر بالقرآن كثيراً، فلا بد لك أخي من مجاهدة وبذل، تكافح بها الغفلة وترقق قلبك بالقرآن، حتى يخبت به لله، فإن فعلت وأنت صادق النية، فإنك غالب بإذن الله، ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

إن معايشة العبد للقرآن الكريم كلام الله العظيم، نعمة عظمى، ترفع العمر وتباركه وتزكيه، كما يقول صاحب تفسير الظلال: «ولكنها لتحقق هذه

التزكية لا بد أن يقبل هذا العبد على القرآن، إقبالاً صادقاً، مُسْلّماً نفسه لمنزله، فاتحاً قلبه لأنواره، جاداً في حمل أحكامه، وتصديق أخباره، فإنه قول فصل ليس بالهزل»[1].

أسأل الله خالق الإنسان ومنزل القرآن أن يجعل القرآن غياث قلوبنا، وأساس علمنا، ومنهج عملنا، وأن يرزقنا تلاوته، وفهم آياته، وفقه أحكامه، وأن يجعله قائدنا إلى رضوانه، إنه ولي ذلك والقادر عليه وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

* * * * *

(١) في التعامل الإيماني مع القرآن كلام نفيس للبهي الخولي رحمه الله في كتابه «تذكرة الدعاة».



المرجع السواء

الحمد لله والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

نحن معشر الإخوة المسلمين نعيش في عصر يوصف بأنه عصر تفجر المعلومات عصر الثقافة المتنوعة المتجددة، عصر ارتباط الواقع بالفكر في عصر نجد فيه الثقافة قد تغلغلت في كل ميادين الحياة الاجتماعية والفردية ولم تعد الارتجالية في العمل والعفوية في معالجة الأشياء هي السائدة كما كان ذلك قبل عقود من السنين.

والثقافة من حيث هي فكر متفاعل مع الواقع تنزع غالباً إلى مصدرين يمتح منهما المجتمع معارفه ويبني على أساسهما ثقافته.

المصدر الاول: موروث الأمة السابق الذي خلّفه الأجداد؛ علماً وحضارة وتاريخاً.

والمصدر الثاني: الحضارات المعاصرة ذات التأثير الفكري التي لا تقف عند حدود ذاتها بل تمتد إلى الأمم الأخرى؛ إما بالغزو الثقافي من أرباب تلك الحضارة، أو بالاستمداد من الأمم المستجدية.

والمسلمون – اليوم – تفيض ساحاتهم بصور ثقافية كثيرة ينحاز كل إلى الصورة التي تستهويه سواء كانت ذات منزع تراثي أو عصري أو خليط منها.

وكلٌّ يبرز الجوانب الإيجابية في الثقافة التي يحملها وينقض ما سواها مبدياً ما استطاع من نواقصها.

والثقافة بما هي صنعة بشرية واجتهادات إنسانية قابلة لأن تحمل الحق والصواب وأن تقع في الخطأ والضلال.

وإذا كان غير المسلمين ممن لم تشرق أنوار الوحي في نفوسهم لا محيد لهم لكشف أخطاء ثقافتهم إلا بالتجارب وتقادم الزمن فإن المسلمين قد منحهم الله الفرقان المميز بين الحق والضلال والنور الكاشف لدروب الإنسان فكرية وحركية.

هذا الفرقان يتمثل في الوحي الإلهي في القرآن الكريم وسنة الرسول المطهرة فهما الحاكمان والمصدران وإليهما يجب أن يرد المسلمون كل حمولتهم الثقافية أياً كان مصدرها ومجالها، هذا هو مقتضى الإيمان الصادق بالله وبدينه ونبيه قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

فالرد إلى الله ﷻ يعني التحاكم إلى كتابه المنزل والرد إلى الرسول ﷺ يعني الاحتجاج بسنته والحكم على القضايا الثقافية من خلالها.

فالقرآن والسنة يمثلان المرجع السواء الذي ينبغي أن يتنادى المسلمون قبل سواهم للعود إليه والتوحد به والانطلاق منه وتوحيد الثقافات المتباينة التي تفرق بسببها الناس من خلال هذا المرجع، بل وترشيد هذه الثقافات بركونها إليه.

إن الأمة المسلمة بحاجة إلى ثقافة ترشد بها حركتها وتقوم عليها مجالات حياتها السياسية والاجتماعية والتعليمية، وكلما زاد تعقيد الحياة زاد الإلحاح

على وجود ثقافة أخصب وأشمل لتيسر حياة الناس وتكسبها معناها الإنساني.

هذه الثقافة المطلوبة يجب أن ترتكز لدينا نحن المسلمين على الأصول المتقررة في هذين المصدرين القرآن الكريم والسنة المشرفة في المبادئ العقدية والأحكام الشرعية.

وبعد هذا فللناس مجتمعاً وأفراداً أن يستثمروا كل صالح في التراث الإنساني سواء كان اجتهادات الأجداد لبناء حضارتهم في تراثنا الإسلامي أو من إبداعات الفكر الإنساني السليمة، أو من ثمار التجارب البشرية لتحقق لهم ثقافة مؤصلة الأسس حية في عصرها قادرة على تسديد واقع الحياة الإنسانية.

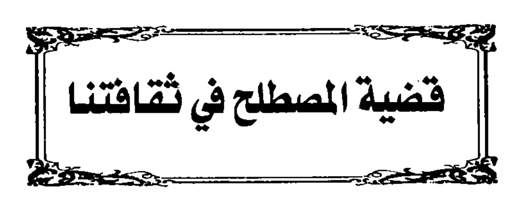
ولكن لأن الفكر البشري المحدود قد تلتبس عليه الأمور فيظن صحيحاً ما ليس بصحيح ويتصور حقاً ما ليس كذلك لهذا كانت ضرورة الرجوع المتواصل إلى تعاليم القرآن والسنة لوزن كل جديد بها.

إن في الحياة الإسلامية وخاصة في الساحة الفكرية انحرافاً ثقافياً يزل بأصحابه عن الصراط وهم يتصورن ما هم عليه سداداً ورشداً فإذا دعوا إليه حسبوا أنهم يحسنون صنعاً بأنفسهم ولأمتهم إن التشكيك في قواعد الدين وتجاوزها، وتهوين الأخلاق التي أكبرها الشرع وتسويغ المحرمات الرائجة في بلاد الكفر والتطاول على نصوص الكتاب والسنة بإهمالها أو تحريفها أو القول فيها بغير علم ونحو ذلك من الصور الخطيرة في ميزان الدين والتي توشك أن تحرق دين مقترفها وتذهب إيمانه مع أن كثيراً من مقارفيها لا يعون عظيم خطرها بسبب أن كثيراً منهم لم تترسخ لديهم معالم الإيمان وأصول الدين...

لهذا لا ملجأ لهؤلاء حماية لدينهم وتصحيحاً لثقافهم وتبوءاً لمقعد الصدق في خدمة أمتهم إلا أن يعودوا إلى المرجع السواء تفقهاً وتدبراً وتعلماً لتشرق شمس الحق والحقائق في حنايا نفوسهم وصفحات ثقافتهم.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

* * * * *



قضية المصطلح في ثقافتنا

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله محمد وعلى آله وصحبه، وبعد:

فهل تصفحت أخي القارئ كتاباً جديداً من أوله إلى آخره، ثم بحثت عن رصيدك الفكري بعد قراءته لتجد أنك لم تزدد شيئاً، وأنك معه كسائر في بيداء لم تزده خطواته سوى إمعان في التيه.

وهل حضرت ندوة فكرية، يتبارى فرسانها في حماس من أجل إثراء موضوعها بما في أوعيتهم، ثم لم ترجع منها بطائل، بل ربما لم تتبين ملامح العذراء التي يشتجرون عليها، أقصد موضوع الندوة.

هل قرأت مقالة أدبية أو فكرية في صحيفة ثم قرأت نقداً حاداً لها قد يوصف بأنه صراع بين جيلين أو ثقافتين أو مدرستين، ولكنك لم تجد أساساً لهذا الصراع بين الاثنين، هل فعلت ذلك وانتهيت إلى شيء من هذه النتائج.

قد يكون العيب فيك، قصوراً أو تقصيراً، وهذا يعنيك ولا يعنيني..

الذي يعنيني أن يكون الخلل في الفكر المقدَّم لك ولغيرك وأن يكون خللاً أساسياً يحجب الفكر عنك، ويحصرك في معاناة لا ترتقي منها إلى الأفضل كمريض أمام طبيب أطرش، وجود لا يفيد، والخلل الذي أقصده هنا، هو فوضى الاصطلاح التي تسود فكرنا العربي اليوم، والتي بسببها يشتكي المفكرون من عدم تفاعل المجتمع بقطاعه الكبير مع فكرهم بل حتى بقطاعه الخاص أقصد قطاع المثقفين، لأن التفاعل في الغالب يتقوقع في فكرنا العربي، داخل كل مدرسة من مدارسه، مفصولاً بأسوار عن المدارس الأخرى.

ومن أكبر أسباب ذلك، عدم تحدد المصطلحات، حيث يحمل اللفظ الواحد اصطلاحات متعددة قد تصل إلى حد التناقض، ولهذا تجد أحياناً أن تناقضاً بين مفكرين حول مسألة معينة سواء كانت من مسائل التراث أو قضايا الفكر المعاصر – أن هذا التناقض – لا حقيقة له، لأن كلا منهما يقصد وجهاً مختلفاً عن الوجه الذي يرمي إليه مقابله وإنما وقع الخلاف بينهما نتيجة عدم الفرز الاصطلاحي لكل وجه عن الآخر.

والحقيقة أن فوضى الاصطلاح التي تسود الفكر العربي، نتاجُ لواقع الفكر بصفة عامة، حيث بهتت شخصيته الأصلية، والتي كانت ترتكز على اللغة العربية في الاشتقاق، وعلى الشريعة الإسلامية وما نشأ في ظلالها من تقاليد وثقافة في الاصطلاح الشرعي والعرفي، وحيث تولى ريادة هذا الفكر أجيال من أبناء المسلمين، نهلوا من لغات وثقافات، غير لغتهم وثقافتهم، وصارت تلك الثقافات بما تحمل من مضامين فكرية هي المعين الذي يملأون به أوعية المصطلحات، في لغتهم وبيئتهم.

ولأن تلك الثقافات التي أخذوا منها متنوعة كان التنوع فيما نقلوه وكان الانحراف وللأسف بالفكر الإسلامي عن طريق مشكلة الاصطلاح وتغريبه.

لأن المصطلحات تمثل في حقيقتها ركائز ثقافية ومعالم فكرية للحضارة التي نشأت فيها.

ولهذا يرى الدكتور محمد عمارة بحق وهو يتحدث عن أثر المعاجم الاصطلاحية الغربية على المسلم، يرى – أن عاقلاً من العقلاء، لا ينكر أن القاموس في أي علم من العلوم قد غدا في واقعنا الفكري أداة شديدة الفعل

والتأثير، في تلوين الفكر والمذهب والرؤية، فأنت حينما تمد يدك إلى القاموس لتعرف مضمون مصطلح من المصطلحات، إنما تزرع في عقلك ووجدانك، بذرة فكرية، تنمو فتلون مساحة من عقلك ووجدانك، بالصبغة الحضارية، التي حكمت مضامين مصطلحات هذا القاموس.

وينبه في تأمل واقعي إلى ضرورة إدراك دور القواميس الغربية في تلوين العقل المسلم، بلون الحضارة الغربية وإسهامها في تغريب هذا العقل، خاصة في ميدان الدراسات الإنسانية.

إن تحديد المصطلحات في فكرنا العربي والإسلامي ضرورة من ضرورات الارتقاء الحضاري الذي نشترك في استهدافه جميعاً.

وضوح المصطلحات يعطي الفكر متانة ومصداقية ذاتية، ويسهم في تغلغل هذا الفكر في سائر قطاعات الأمة، ويساعد كثيراً في تقريب وجهات النظر، وتلافي كثير من الصراع بين ذوي الفكر وما ينتج عنه من تباعد وتفرق، أما إذا لم تكن العبارات واقعة على أنصبة صحيحة محددة، فإن المثقفين سيظلون يخوضون معارك لا تقع على أرضية واحدة، ويصطرعون على مشكلات وحلول متفقة الأسماء مختلفة الخصائص والسمات.

إن قضية المصطلح، في فكرنا الإسلامي، ذات خطورة قد لا توجد في أي فكر آخر، وسبب الخطورة أنها ترتبط بالدين، دين الإسلام، والذي يتمثل في تعاليم ذات لغة معينة واصطلاحات محددة.

والعلاقة بالدين كما تتمثل في العمل والسلوك تتمثل كذلك في الأفكار والمفاهيم، التي تكون إيماناً والتزاماً، إذا اتسقت مع الدين، وكفرا أو فسوقاً إذا انحرفت عنه وناقضته.

وفي غيبة وعي المصطلح ووضوح الدلالة في دائرة الفكر عند المسلمين تكون المأساة حينما يقدم شخص بعض الأفكار فيبادر آخر إلى الحكم بالضلال والكفر عليها وسبب الوقوع في هذا غيبة التحديد الحاسم، لمدلول الأفكار المطروحة.

فالأول: قد يكون بعيداً عن العلم الشرعي، ومن ثم لا يعي إلا الدلالات التي يتلقفها من الفكر المعاصر، ولا صلة لها بالمفهومات الرائجة في دائرة العلوم الشرعية.

والثاني: حاكم أفكار صاحبه إلى تلك المناهج الشرعية دون تصور لمرتكز الأول في تعبيره.

ولهذا ينبغي أن يعي الكتاب في البيئة الإسلامية بالذات سواء ممن تلقى علمه في جامعات الوطن، أو في خارجه، حدود المصطلحات الشرعية ليجري فكرهم في نطاقها وليتقوا إساءة الظن بهم من حيث لم يقصدوا إساءة للدين ولا إفساداً للمسلمين.

لقد نهى المولى ﷻ أصحاب رسول الله ﷺ عن استخدام مصطلح ﴿رَاعِنَا﴾ وأمرهم باستعمال مصطلح ﴿ٱنظُرْنَا﴾ رغم صحة الدلالة اللغوية للفظة على مرادها السليم، ولكن ذلك اتقاء للضلال الذي وضعه اليهود على لفظة راعنا.

يقول سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقُولُوا۟ رَٰعِنَا وَقُولُوا۟ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُوا۟ ۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٠٤].

ولقد وعى المسلمون خطورة هذه القضية «قضية المصطلح» فقد بين الشافعي رحمه الله أن سبباً كبيراً من أسباب الاضطراب الفكري الذي وقع فيه المتكلمون إنما

جاء نتيجة البلبلة في مجال المفاهيم الاصطلاحية، نتيجة الفكر الوافد على المسلمين في العصر العباسي، ولقد تنبه بعض العلماء والمفكرين أخيراً إلى خطورة هذه القضية، فكتبوا في ذلك كما أن بعض الجامعات والمؤسسات العلمية صارت تؤكد على المشتغلين فيها، في المجال العلمي، أن يفردوا صفحات من رسائلهم، وبحوثهم، لتحديد المصطلحات المستخدمة في هذه الدراسات.

ولكن ذلك كله لن يغني عن جهد مركز جماعي، يتمثل في مجمع ثقافي، تحصر مهمته في تحديد المصطلحات الرائجة بخاصة في ثقافتنا الآن تحديداً واضحاً مبنياً على أساس اللغة العربية والحقائق الشرعية في الإسلام بحكم أن هذين العنصرين هما عماد الثقافة الإسلامية.

ولا بد لهذا المجمع من ردءٍ حركي يطبع معاجمه ويشيعها بقوة في الجامعات ودور النشر ووسائل الإعلام حتى تتحدد بها معالم فكر عربي إسلامي أصيل يعي قسماته الكتاب وهم يكتبون في ظلاله ويكون مريئاً يهضمه فكر سائر الناس والله الموفق للصواب.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

* * * * *



الأمثال المضروبة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه، وبعد:

فإن للأمثال السائرة تأثيراً في الثقافة المعاشة في حياة الناس حيث يتمثل بها هؤلاء الناس إيماناً بصدقها الذي توارثه السابقون، وهي شائعة لدى سائر الأمم سواء منها المتحضرة أو البدائية.

والمثل – أصلاً – قول سائر يشبه به حال واقعة بالحال التي وضع المثل لها أساساً من حيث المعنى فمن السائغ لك أن تقول لكل من فرط في مصلحة من وظيفة أو سلعة كانت متيسرة له ثم جاء يطلبها بعد الفوات «الصيف ضيعتِ اللبن» كما يسيغ لك إذا سعمت محدثاً موثوقاً أو اطلعت على مجلة متزنة أو فتحت مذياعك على إذاعة موثوقة المصادر أن تقول للجميع «عند جهينة الخبر اليقين».

قد يكون المثل قيل أول مرة في حادثة معينة ثم عمم بعد ذلك كما في المثالين السابقين وقد يكون قاعدة عامة تستند إلى تجارب عديدة كما في المثل «فرق تسد» أو تستند إلى مبدأ معين فلسفة كان أو ديناً كما في كثير من الأمثلة التي وردت في القرآن والسنة النبوية – كقوله سبحانه: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ وكقوله ﷺ: **(البر حسن الخلق)**[1]، وقوله ﷺ: **(دع ما يريبك إلى ما لا يريبك)**[2]، ويمتاز المثل غالباً كما قال «النظّام» بأربعة عناصر مهمة هي: إيجاز

(١) رواه مسلم في «البر والصلة»، والترمذي في «الزهد».

(٢) رواه الترمذي في «صفة القيامة»، والنسائي، وأحمد، قال محقق جامع الأصول (٦/٤٤٤): إسناده صحيح.

اللفظ وإصابة المعنى وحسن التشبيه وجودة الكناية فهو بهذه الأربعة نهاية البلاغة.

ولأن العرب كانت أمة بلاغة وبيان فقد اشتهرت بكثرة الأمثال المنبثقة من تجاربهم الحياتية وملاحظاتهم الحدسية التي اشتهروا بها ولهذا تأتي أحياناً مرتبطة بالبيئة كالأمثال التشبيهية من كرم حاتم وحلم الأحنف ونحوهم وفي أوضاعهم البيئية كما في قولهم أهدأ من قطاة، وأظما من رمل.

ولكن الأمثال ليست محصورة في العرب فللأمم الأخرى أمثالها النابعة من تجاربها في حياتها.

ولأن الأصل في المثل أنه وصف مطلق وحكمة أحكمتها التجارب فقد كثر التبادل بين الأمم للأمثال ونشهد هذا في الكتب التي تؤلف الآن ناقلة أمثال بعض الأمم الغربية أو الشرقية إلى اللغة العربية، وفي المجلات التي تجعل للأمثال المترجمة نصيباً.

عند هذه النقطة يرد تساؤل هو:

نقل هذه الأمثال من الأمم الأخرى إلى ساحة الثقافة الإسلامية ألا يحتاج شيئاً من التحفظ أو على الأصح درجة من الوعي تحكم حركة هذا النقل؟

الجواب كما أتصوره هو بلى.

والسبب هو أن الأمثال رغم عمومية بعضها مرتبطة بالبيئة التي ولدت فيها وتشكلت في جوها.

حينما بعث الرسول ﷺ كانت توجد في حياة العرب كثير من الأمثال التي لا تستقيم مع الهدي الذي جاء به ولا تجري على سمته فأسقط بعضها وعدل مضامين بعضها الآخر وقوم الحس الإسلامي منها كثيراً.

كان الولاء المطلق للقبيلة يمثل منهجاً تبلور في مثل صاغه أحد شعراء العرب:

وهل أنا إلا من غزية إن غوت ❖ غويت وإن ترشد غزية أرشد

فأبطله الإسلام حينما حرم حمية الجاهلية وطلب من المسلم أن يأخذ بمسلك الرشد سواء أخذ به من حوله أم لم يأخذوا، في مثل قوله ﷺ: **(لا يكن أحدكم إمعة يقول: أنا مع الناس إن أحسنوا أحسنت وإن أساؤوا أسأت ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساؤوا أن لا تظلموا)**.

وكانت العرب تقول: «تضرع إلى الطبيب قبل أن تمرض» فجاء البديل الإسلامي أسمى وأعلى في قوله ﷺ: **(تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة)**.

وكانت العرب تقول: **(انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً)** بالمفهوم العنصري الذي يؤيده في ظلمه فأبقى الرسول ﷺ نص المثل وأقام مضمونه وفق منهج الإسلام فجعل النصر هو إزالة الظلم عن الأخ أو منه.

كان من أمثال العرب قولهم: «القتل أنفى للقتل» ويقصدون به قتل القاتل أو قتل بديل يكافئ المقتول عن طريق محاكمة قبلية وهذا قليل أو عن طريق الثأر بحركة اعتداء مضادة فقال سبحانه: «ولكم في القصاص حياة» والقصاص أخذ الحق للمقتول عمداً بقتل قاتله عن طريق السلطة المسلمة بما يحسم الأمر تماماً.

ولقد كان للحس الإسلامي الذي ثقف به الرسول ﷺ شخصيات الصحابة رضي الله عنهم ثم تهذبت به نفوس من بعدهم من أجيال الأمة كان له دوره في تقويم الأمثال وفق منطق الشرع وسمت الإسلام لذا ماتت أمثال كانت مشهورة عند العرب فلم تعد تتناول في الخطاب الإسلامي وإن بقيت تراثاً في كتب الأمثال.

ومما يذكر هنا أن لبيد الشاعر حينما أنشد قصيدته اللامية ووصل إلى البيت المشهور وهو:

ألا كل شيء ما خلا الله باطل ❖ وكل نعيم لا محالة زائل

قال له صحابي كان حاضراً صدقت في الأولى وكذبت في الثانية فإن نعيم الجنة لا يزول.

والأمثال المترجمة التي تترجم إلى العربية في هذا العصر رغم أن كثيراً منها تجربي عام لا يخص أمة دون أخرى إلا أن منها ما يتنافر مع الإسلام وتعاليمه.

فمثل «لا يولد طفل إلا بخطيئة» قائم على تصور ديني مخالف للإسلام.

والمثل الإنجليزي الذي يقول: «إذا لم تستطع المرأة دفع المغتصب فلتستمتع بالزنا» غير مقبول في الإسلام أيضاً.

ومثله المثل الشائع «أنا وبعدي الطوفان» فالمسلم يحب لأخيه ما يحب لنفسه ويؤثر دينه على حظوظه الدنيوية.

بل إ ن هناك من الأمثال الضارة ما هو وليد بيئات المسلمين أنفسهم إبان ضعفهم وانحراف جوانب من حياتهم والتي تستخدم أحياناً حجة للكسل أو نفياً لنقد الذات كقولهم: «السكون خير ما يكون»، و«ضع رأسك في الخرج» أي دع غيرك يفكر لك ويسير بك ومثل ذلك الاستشهاد بقول الشاعر: وعلي أن أسعى وليس علي إدراك النجاح. لتبرير الفشل في تحقيق الأهداف ولتوقي أن يكون القصور من بلوغ الهدف راجعاً إلى منهجه وحركته. والله الموفق.

* * * * *



العلم في خواطر العلماء

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فقد جرى العرف في الوسط الفكري المعاصر على أن قيمة المؤلفات ترتكز أول ما ترتكز على مدى التزامها بالمنهجية العلمية وطرائق البحث شكلاً ومضموناً.

وكتب الباحثون كثيراً في تحديد مناهج البحث وقواعده، التي ينبغي على الباحث أن يسلكها، ليجمع ويفحص، ويحلل ويركب من خلالها كما ألفوا في طرائق البحث العملية.

فهل هذه المسالك يا ترى ضربة لازب لكل باحث وكاتب وهل العلم موقوف على هذه القنوات، لا يتحقق إلا من خلالها.

أقول هذا وفي ذهني ميدان المعرفة الرحيب الذي لا ينطوي في مجالات العلوم المادية التطبيقية بل الذي لا يشكل هذا المجال سوى جزء ضئيل منه حيث يتسع المجال للعلوم النظرية الأخرى؛ خاصة الثقافة الإسلامية. أثير هذا التساؤل، وأنا أعاود الإطلاع على كتاب ليس بالجديد فقد طبع منذ عشرين عاماً، ولكني أجد لذة في قراءته، وأشعر باكتساب فائدة منه، وهو كتاب «هكذا علمتني الحياة» من تأليف العالم السوري، الدكتور مصطفى السباعي رحمه الله.

الكتاب كما يذكر مؤلفه، عبارة عن خطرات فكرية، سجلها وهو في المستشفى حبيس مرض صاحبه بضع سنين في نوع من العزلة عن الأهل والأولاد، والكتب والتدريس والتأليف؛ لأن الجهد الفكري قد كان من أسباب مرضه.

ويشير المؤلف إلى أن هذه الخواطر، التي نثرها غير مرتبة ولا مبوبة، هي خلاصة تجاربه في الحياة، في واقعها العملي الحي لم ينقل شيئاً منها من كتاب أو يعتمد فيه آراء الآخرين، كتبها ليستفيد منها الناشئة الجدد، لان من حق الجيل الجديد أن يطلع على تجارب من سبقه وأن يستفيدَ من خبرته.

ورغم ما واجهه في حياته وما أصابه من أمراض فإنه لم يطبع خواطرَه بتشاؤم في النظرة أو ضغائن في التقويم؛ بالعكس إنه يقول في مقدمته ولست أقول كما قال أبو الطيب المتنبي.

ومن عرف الأيام معرفتي بها ❖ وبالناس روى رمحه غير راحم

فلا هو مرحوم إذا ظفروا به ❖ ولا في الردى الجاري عليهم بآثم

لكني أقول إن من جرب تجربتي في الحياة وعرف الناس معرفتي بهم يرى نفسه أكرم من أن يحمل حقداً أو عداوة شخصية يجري وراءها متقطع الأنفاس، فالدنيا هينة بلذائذها وما تحمل من عوامل الحقد والحسد والكراهية، والأشخاص زائلون، ولن يبقى إلا ما ابتغى به وجه الله، أو قصد فيه نفع الناس، وسيجزي الله كلا على ما قدم من عمل. ا.هـ.

والذي أراه والله أعلم بالصواب، أن في هذا المسلك من التأليف، زاداً علمياً وأنه ينتج حكماً قد لا يجود بها العقل، الذي تحكمه قواعد منهجيه ويُوجَّه للكتابة في مواضيع محددة ذات تسلسل معين ولقد سلك الأقدمون هذا السبيل، كما في رسالة المسترشدين للحارث المحاسبي، وصيد الخاطر لابن الجوزي، والفوائد لابن القيم، ونحو ذلك.

هذا وإن كان لكل مسلك من مسالك البحث قيمة لا تتوفر في غيره، والكتاب الذي أتحدث عنه كُتب على هذا المنهج، الذي يقدم فيه العقل

عصارته، من عمر عاشه صاحبه وفكرٍ حوى كثيراً من المعارف، على سجيته.

وحتى أمتعك أخي بهذا اللون من الإنتاج الفكري فإليك لقطات قصيرة من هذا الكتاب.

يقول عن العقل: «لا ينمو العقل إلا بثلاث، إدامة التفكير، ومطالعة كتب المفكرين، واليقظة لتجارب الحياة»، وعن العلم: «لا يصلح العلم إلا بثلاث، تعهد ما تحفظ، وتعلم ما تجهل، ونشر ما تعلم».

وعن بلوغ الغاية يقول: «لا يتحقق النجاح إلا بثلاث: تحديد الهدف بدقة، واحتمال المشاق والمكاره، والاستهانة بالعوائق والأخطار إلى حد معقول». وعن القراءة: «كل مؤلّف تقرأ له يترك في تفكيرك مسارب وأخاديد، فلا تقرأ إلا لمن تعرفُه بعمق التفكير، وحرارة القلم، واستقامة الضمير»، وعن التجارب: «التجارب تنمي المواهب، وتمحو المعايب، وتزيد البصير بصراً، وتلين قلب القاسي، ومن زادته التجارب عمى على عماه، وسؤاً على سوئه فهو من الحمقى المختومين والعياذ بالله»، وعن السيادة: «لا تستعجل الرئاسة، فإنك إن كنت أهلاً لها تقدمت بك مؤهلاتك، وإن كنت غير أهل لها كان من الخير لك أن لا ينكشف نقصانك»، وفي التحذير من الشيطان: «احذر الشيطان على عقيدتك، من أن يفسدها بالآراء، واحذره على عبادتك من أن يفسدها بالرياء، واحذره على علمك، من أن يفسده بالأهواء، واحذره على عملك من أن يفسده بالادعاء، واحذره على عبوديتك من أن يفسدها بالكبرياء، واحذره على خلقك من أن يفسده بالغرور، واحذره على استقامتك من أن يفسدها بالحرص والطمع».

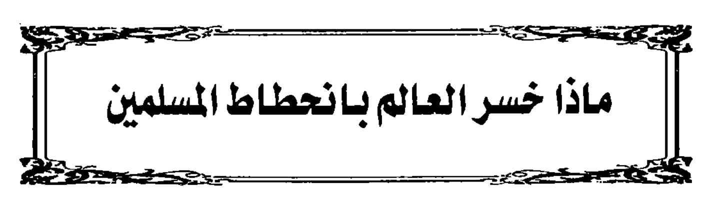
وفي تحديد أقدار الناس بمقدار نفعهم: «خذ من أمتنا مائة مصور، وأعطها طياراً واحداً، وخذ منها ألف مغن، وأعطها مخترعاً واحداً، وخذ منها كل العابثين واللاهين، وأعطها مجداً واحداً».

وفي النصيحة للمهتمين بأنفسهم: «إذا كنت تحب السرور في الحياة، فاعتن بصحتك، وإذا كنت تحب السعادة في الحياة، فاعتن بخلقك، وإذا كنت تحب الخلود، فاعتن بعقلك، وإذا كنت تحب ذلك كله فاعتن بدينك».

إليك أخي المستمع ختاماً هذه المناجاة من ذلك الثاوي على سريره يقول: «تباركت ياذا العظمة والعلم، والحكمة والجلال، كيف لا نعبدك، وقد سجدت لك الأرض والسماوات، وكيف لا نحبك؟ وقد توالت علينا من عطائك الرحمات، وكيف لا نخشاك؟ وعذابك في لمح البصر يجعل الديار خراباً، وكيف لا نرجوك؟ ورحمتك تحيي الأرض بعد أن كانت مواتاً، وتجعل الماء الأجاج عذباً فراتاً، وكيف لا نثني عليك وأنت الذي بددت بنورك سحب الظلام والأوهام، فأهدنا بفضلك صراطك المستقيم، واجعلنا مع الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين».

وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

* * * * *



ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين

الحمد لله والصلاة والسلام على عبده ورسوله محمد، وعلى آله وصحبه، وبعد:

فلقد فاضت الساحة الفكرية اليوم، بما يُكتَبُ ويُنشَر، وما فتئت المطابع تخرج كل آن سيولاً من المطبوعات والمؤلفات ولا ريب أن الزبد في نتاج هذه المطابع كثير، من رسائل وكتب لا تحمل علماً ولا تحقق هدفاً، ولا تعتمد منهجاً، ولا تعالج حدثاً حياً، مما يجعل إضاعة الوقت في قراءتها، والمال في شرائها، عبثاً على فاعله.

ولكن رغم هذا الزبد، فإن هناك درراً فكرية، تحتفظ بلمعانها وقيمتها، ويكون لها أثر في ميدان الفكر وحركة الحياة، واعتباراً لدى صيارفة الفكر وناقديه، فتبقى حيةً نافعةً، رغم مضي الزمن وتقدم الحياة، وكثرة ما يخرج بعدها من مكتوب.

ومن تلك الكتب الحية القيمة في مجال الثقافة والفكر اليوم – في ما أرى – كتاب «**ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين**» مؤلف هذا الكتاب هو الشيخ الفاضل أبو الحسن على الحسني الندوي من علماء الهند المعاصرين، ومن الدعاة العاملين، وهو المسؤول عن ندوة العلماء بلكهانؤ في الهند، له تآليف كثيرة ما بين رسالة وكتاب منها، السيرة النبوية، ورجال الفكر والدعوة في الإسلام، وإذا هبت ريح الإيمان وغيرها توفي رحمه الله في عام عشرين بعد الأربعمائة وألف للهجرة.

أما هذا الكتاب المتوسط في حجمه، فقد ألفه قبل خمسين سنة تقريباً، وطبع خلال هذه المدة أكثر من عشرين طبعة وترجم إلى بعض اللغات الأخرى، ألفه أبو الحسن علاجاً لمشكلة يعيشها أكثر المسلمين وهي سيرهم في المؤخرة وراء العالم الغربي، يميلون إلى ما مال إليه، ويقبلون حكمه فيما حكم، ويرتضون ما أقر من قيم وموازين، حتى فقد هؤلاء ثقتهم بأنفسهم، ودينهم، ومعاييرهم الخاصة، وقيمهم العالية.

ومنهج الكتاب كما يلخصه مقدمه في طبعته الثانية، منهج تاريخي تحليلي، يبدأ فيرسم صورة صغيرة سريعة للعالم، قبل أن تشرق عليه أنوار الإسلام الأولى، عند الهنود والصينيين وفارس والروم، صورة المجتمع وصورة الضمير، في هذا العالم، سواء لدى الجماعات التي تظللها الديانات السماوية الأصل، كاليهودية والنصرانية، أو التي تظللها الديانات الوثنية كالهندوكية والبوذية والزرادشتية، ونحوها ويحدد خصائص هذا العالم الذي تسطير عليه الجاهلية، ويتعفن ضميره، وتأسن روحه، وتضطرب مقاييسه، ويسوده الظلم والعبودية للبشر وما دون البشر، وتجتاحه موجة الترف الفاجر، والحرمان التعيس، وتغشاه غاشية الكفر والضلال والظلام، مع وجود تلك الديانات السماوية الأصل، لأنه أدركها التحريف، وسرى فيها الضعف، وفقدت هيمنتها على النفوس، وأصبحت جامدة لا حياة فيها ولا روح.

بعد ذلك يعرض في الباب الثاني دور الإسلام في حياة البشرية، وفي تخليص أرواحهم من الوهم والخرافة والعبودية والرق لغير الله، ومن الفساد والتعفن، والقذارة والانحلال، وأثره في تخليص المجتمع الإنساني، من الظلم والطغيان، والتفكك والانهيار، وعملُه في بناء العالم، على أسس من العفة والنظافة،

والإيجابية والبناء، والعبودية لله وحده، والمعرفة واليقين، والثقة والإيمان، والعدالة والكرامة، وإعطاء كل ذي حق حقه، وذلك حينما كانت للإسلام القيادة في حياة البشر، وكان يعمل إذ كان يعمل به، ثم جاءت الفترة التي فقد فيها الإسلام الزمام، بسبب انحطاط المسلمين، وتخليهم عن قيادة البشرية بمنهج الله، وعن الشهادة التي كلفوا بها على هذا العالم.

ويتناول أبو الحسن في هذا الكتاب، أسباب انحطاط المسلمين الروحية والمادية ويصف ما حل بالمسلمين أنفسهم، عندما تخلوا عن مبادئ دينهم، ونكصوا عن تبعاتهم وما نزل بالعالم كله من بلاء نتيجة فقدانه لهذه القيادة الرائدة ويرسم خط الانحدار الرهيب الذي ارتكست فيه الإنسانية في العصر الحديث، في ذات الوقت الذي انفتحت فيه لها آفاق من العلم باهرة.

وهنا يشعر القارئ المسلم متجاوباً مع سطور الكتاب بمدى حاجة البشرية الملحة إلى تغيير القيادة الإنسانية وردها إلى الهدي الذي انبثق ليخرج الناس من الظلمات إلى النور ومن الجاهلية إلى الإيمان والمعرفة ويشعر بمدى الخسارة التي حلت بالبشرية كلها لا بالمسلمين وحدهم نتيجة فقدان هذه القيادة.

وهنا يقوم في نفس المسلم ندم على ما فرط واعتزاز بعظيم ما وهبه الله واستشرافٌ إلى تلك القيادة التي ضيعها ويختم الكتاب بذكر رسالة العالم الإسلامي التي ينبغي أن يؤديها في هذه الفترة الحرجة من عمر البشرية وهي الدعوة إلى الله ورسوله واليوم الآخر، لإخراج الناس من الظلمات إلى النور، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام.

ويركز المؤلف على الحديث عن العالم العربي، مؤكداً أهميته لزعامة العالم الإسلامي، في حمل هذه الرسالة في الكون وليس ذلك لموقعه الجغرافي وذهبه

الأسود وتراثه المدني القديم وحسب كما ينظر الماديون ولكن هذه الأهمية تتمثل قبل ذلك في كون العالم العربي مهدَ الإسلام، ومشرق نوره ومعقل الإنسانية ولأن سيدنا محمداً العربي ﷺ، هو روح هذا العالم العربي وأساسه وعنوان مجده فالإسلام كما يقول أبو الحسن: هو قوميه العالم العربي ومحمد ﷺ هو روحه وإمامه والإيمان هو قوته التي حارب بها فانتصر فيما مضى وهو سلاحه اليوم، كما كان بالأمس به يقهر أعداءه ويحفظ كيانه ويؤدي رسالته.

وأخيراً فهذا الكتاب، «ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين» من كتب الثقافة الإسلامية الحية، تشع فيه روح المؤلف الإيمانية، ويطبعه الفهم العميق لكليات الإسلام، في محيطها الشامل، ولقد حوى خيراً كثيراً، تفقده كثير من المؤلفات، ومن الحري بكل شاب مسلم، يعنيه أمر دينه وأمته، أن يطلع عليه.

أسأل الله التوفيق والهداية، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

* * * * *



الذرائعية

الحمد لله والصلاة والسلام على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه، وبعد:

ففي ظل طغيان المادية والأنانية، على كثير من الناس، صاروا يلهثون وراء المصالح القريبة، والمنافع العاجلة، حتى ضعفت لديهم رعاية الحق والأخلاق، بل صار الحق ما حقق لهم عرضاً قريباً، وكسباً رابحاً بلا نظر لحل أو حرمة.

هذه الحالة ليست نزعة تطرأ في آحاد من الناس في بعض الأحوال، إنها مذهب جارف، يأخذ به فلاسفة وتتبناه دول وأمم.

إنه مذهب «الذرائعية»، أو ما يترجم عن لفظة «البراجماتزم» بالنفعية العملية. أساس هذا المذهب دعوة حادة إلى ربط العلوم الإنسانية والفلسفية والدينية بالواقع العملي في حياة الناس أسوةً بالعلوم التطبيقية، التي ارتبطت بالتجارب الحية، فأصبحت فاعلة، ونافعة للإنسان.

ولكن الأمر لم يبق منضبطاً في دائرة القيم الإنسانية بل إن السلوك والعمل صار يتحكم في العلم وحقائقه فصارت قيمة الحقائق بثمرتها العملية.

وعليه فإذا لم يظهر لحقيقة من الحقائق دينية أو فلسفية ثمرة إيجابية في حياة الإنسان فإن ذلك دليل على فسادها فهي كالفروض في العلم التجريبي، تجري عليها التطبيقات ليُحكم من خلالها عليها بالصلاحية فتجعل قوانين علمية أو بالفساد ومن ثم الإلغاء.

ولهذا يقول «وليم جيمس» أحد رواد هذا المذهب «القضية صادقة إذا كانت تعطينا أكبر كم من الرضا بما في ذلك إرضاء الذوق، والحقيقة ليست

مطابقة تصوراتنا للأشياء ولكنها التصور الذي يؤدي بنا إلى تحقيق غرض نافع لنا».

وعليه فليس هناك حقائق ثابتة مادامت تابعة للمصالح والرغبات التي هي بدورها متغيرة متقلبة مما يقتضي تغيير تلك الحقائق أي قيام حقائق بديلة قد تكون مناقضة لها وبهذا المنظار ينظر هؤلاء ومن أخذ باتجاههم من رجال المال والسياسة وغيرهم إلى الدين والقيم الخلقية.

فالدين حق مقدس ما دام له أثر في دفع الناس إلى العمل أو للتضحية في سبيل الوطن وفي الانضباط السلوكي، وهو باطل مرفوض إذا رأينا أنه يعوق مصالحنا، والأخلاق حق إذا كان لها فائدة ظاهرة في حياة صاحبها وإلا فباطلة، وجدير بالذكر أن هذا النفع الذي ترد إليه أصول الدين والقيم والفكر هو نفع دنيوي لا يتجاوز هذه الحياة بحكم الإطار الذي يجري فيه تفكير أولئك.

ولعلك أخي القارئ، قد قرأت الكتاب الرائج، «دع القلق وابدأ الحياة» لمؤلفه ديل كارنيجي، حيث يدعو دعوة حارة إلى الإيمان والتسليم بالقضاء والقدر والترفع عن إيذاء الناس، ومحاسبة النفس، على تقصيرها عن القيام بالواجبات.

ولكن ذلك كله ليس إيماناً بصحتها عند الله واستجابة لمراده وطلباً لرضوانه بل ذلك مجرد وسيلة لطرد القلق، الذي تنشأ عنه أمراض نفسية وعضوية، كقرحة المعدة والصداع والشلل ونحوها.

ومذهب الذرائع هو الذي يحكم كثيراً من العلاقات وتقوم على أساسه الصداقات والولاءات، وترسم من خلاله السياسات، والمشاريع في كثير من دول العالم ولدى شعوب كثيرة.

في عالمنا العربي والإسلامي يروج له دعاة كثر من المنادين بأن العالم الآن تحكمه المصالح لا الأديان والمنافع المتبادلة لا الأيديولوجيات ومن ثم فينبغي أن يتخفف المسلمون من دينهم لحساب المصالح العملية فإن الأيديولوجيا لا تطعم خبزاً كما يقول بعضهم.

هذه لملمة ضاغطة لمذهب الذرائع النفعي القائم اليوم، لا بد أن ندير عليه نظرتنا الإسلامية لنرى موقعه من ديننا.

إن هدي القرآن الكريم في المسائل التي عالجها هذا المذهب واضح مشرق، فقبل نقد الذرائعيين للفلسفات التجريدية البعيدة عن الواقع الحي لحياة الناس، قرر القرآن أن قيمة العلم لدى الإنسان، هو تمثله في واقع حياته، وذم الله سبحانه الذين يعرفون الحق ويكتمونه كما مقت الذين يعرفونه ويلوكونه بألسنتهم دون التفاعل معه في سلوكهم.

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٤٦]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾ [الصف: ٢ - ٣].

ولهذا تقرر عند علماء الإسلام - بل عند كل مسلم يعي دينه - أن كل علم لا عمل تحته مذموم شرعاً كما يقول الشاطبي رحمه الله.

أما المسألة الخطيرة في هذا المذهب القائمة على الانشطار الذي هو سمة الفكر الأوربي في معالجة قضايا الوجود والحياة وهي: إما المصلحة وإما المبدأ أي أن هنالك قطبين الأخذ بأحدها يقتضي التضحية بالآخر، بقيمته الاعتبارية أو بالأخذ به أو بشيء منه بحيث يكون اهتمامك بالمصلحة أو المنفعة العملية إهداراً لقيمة المبدأ أو الدين واهتمامك بالدين والقيم الخلقية يعني تفريطاً بمصالحك.

والأمر غير ذلك تماماً في الإسلام، فهما مرتبطان دائماً مصلحتك في التزام دين الله والتزام الدين تحقيق يقيني للمصلحة.

مصدر الأمرين واحد، هو الله ﷻ، وقد قدر سبحانه ارتباط مصالح عباده بالتزامهم بدينه وشرعه إجمالاً بالإيمان وتفصيلاً بالشعائر والشرائع، هذا ما تقرره الآيات وما يشهد به تاريخ المسلمين الطويل تأمل معي أخي المستمع هذه الآيات:

﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧]، ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: ٩٦]، ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا۟ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾ [الطّلاق: ٢ – ٣].

وعن التشريعات العبادية والاجتماعية ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

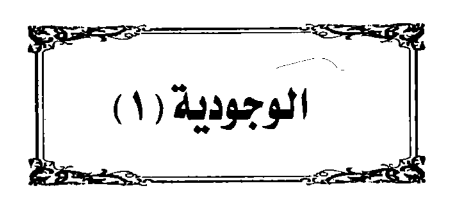
وبالمقابل فالتخلي عن الإيمان والتفريط بهدي الله ضرر على الإنسان في حياته الدنيا وفي عاقبته مهما تصور أن المصلحة في ذلك يقرر ذلك العليم بحقائق الأمور ومستقبل الأحداث ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه: ١٢٤].

ولا ريب – أخي القارئ – أن هناك اختلافاً كبيراً في الأساس الذي أقام عليه الذرائعيون الغربيون منهجهم في المنفعة عن ما رسمه الإسلام بشأن الإيمان به والعمل بأحكامه وارتباط ذلك بالمصلحة وهو اختلاف قد يشعرك بمبرر لأولئك الذرائعيين الغربيين، فالعقائد والقيم عند الغرب التي هوّنوا قيمتها لحساب المصلحة، عقائد وقيم وضعتها عقول البشر الناقصة فهي غير مضمون إفضاؤها إلى مصالح الإنسان، بل ولا اليقين بحق وصدق، فأي مبرر يستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير، فيضحي بما يراه مصلحة أمامه لتلك الظنون.

أما في الإسلام فإن العقيدة والقيم الخلقية حقائقُ لا مراء فيها لدى المؤمن لأنها صادرة عن علم الله الكامل المطلق ثم إنه مضمون إفضاؤها إلى المصالح الإنسانية بحكم ما قرره سبحانه بشأنها ولهذا فإن المؤمن الصادق يتمثل أمر الله وإن بدا له بظاهر الرأي القريب أن لا مصلحة له لأن يقينه بموعود الله أعظم لديه من ظنه القاصر ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢١٦]. وفرق آخر مهم وهو أن ميدان المنافع لدى الذرائعيين محدد وقريب لا يتجاوز هذه الحياة الدنيا فقد يفاضل بين منافع مقدما أشملها أو أكبرها أو أدومها لكن داخل نطاق هذه الحياة الدنيا، أما في الإسلام فإن للمنافع المرتجاة أفقاً أوسع وحياةً أعظم وأكبر هي الحياة الأخرى، التي يتطلع فيها المؤمن إلى رضوان الله وجنانه والنجاة من عذابه ولهذا فقد يضحي المؤمن بمصالح لا يضحى بها لدى الذرائعيين من أجل مصلحة أعظم وأكبر. أجل قد يضحي

بروحه ابتغاء رضوان الله ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩ - ١٧٠]. وهذا أوج يقصر عنه الذرائعيون.

* * * * *



الوجودية (١)

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله محمد وعلى آله وصحبه، وبعد:

هناك مذاهب وتيارات تظهر في الناس، وينتشر تأثيرها في حياتهم وأخلاقهم، ونظرتهم للأشياء دون أن يدركوا فلسفتها أو يعوا حقيقتها.

ولعل مذهب الوجودية – من أبرز ما يمثل هذه الظاهرة في واقع الحياة سواء في أوروبا أو ما وراء ها لدى من تأثروا بها.

فلسفة الوجودية، أو فلسفات الوجود كما يؤكد بعض دارسيها ممن يرونها مذاهب متعددة هي نبت أوربي نشأ في الغرب، وتطور من خلال ظروفه في أعصره الأخيرة.

والحديث سيقتصر على جناح من جناحي الوجودية، وهو جناح الوجودية المؤمنة التي لها قيمتها الفلسفية بل هي أسبق من الجناح الآخر المتمثل في الوجودية العبثية الملحدة التي انتشرت في أوربا فيما بعد الحرب العالمية الثانية وأصابت لوثتها العالم الإسلامي.

أما الوجودية المؤمنة فهي التي أسسها الفيلسوف الدنمركي «سورين كير كجارد» حيث تابعه عليها فلاسفة آخرون.

وملخصها أن الإنسان وحدة مستقلة محتاجة إلى مذهب يحقق لها وجودها المتكامل، وقد وجد أن الفلسفات العقلية، وأن الفن عاجز عن تحقيق ذلك، وأن الذي يحقق وجود الإنسان الصحيح أي إنسانيته هو المذهب الذي يربط الإنسان بالله، ويحقق له صلة مستمرة بخالقه يعيش من خلالها في كنفه ويستمد

من قوته وتوفيقه ورضاه كماله الإنساني وسداد حركته في هذه الحياة ولكنه لم يكن أمام هذا الفيلسوف مذهب يتصدى لهذه المهمة الجليلة سوى دينه «المسيحية الكنسية» التي عرفها وترقى فيها حتى أصبح قسيساً ولكن هذه المعرفة كشفت له أن هذه الديانة قد شوهت وأفسدت بفعل رجالها المرائين المنافقين — كما يقول — الذين فعلوا فيها فعل الأولاد الأشقياء بالمهر الصغير حيث يفسدون تكيفه للتدريب، فلا يصبح فرساً مدرباً ناجحاً بل مشوهاً يجمح براكبه ولا يستفيد منه مالكه، ولهذا ثار على الكنيسة ورجالها، ولكن أين المفر.

لقد عاد إلى مسيحيته ورأى أن تحقيق الإنسان لوجوده يكون من خلالها لأنها الوحيدة — كما يتصور — التي تضع علاقة شخصية بين الفرد والله.

فيجب اعتناقها، حتى ولو بدت كما يقول كيركجارد معارضة للعقل وللعالم والزمان، فارتمى هو وأتباع مذهبه في أحضانها رغم أن بعض عقائدها بقيت مصدر تذمر هؤلاء وتضايقهم حتى قال أحدهم وهو «بسكال»: إن القول بالخطيئة ضرب من الجنون، بل إن كير كجارد نفسه يعتبر حادثة الصلب بتصورها النصراني مفزعة محزنة لدرجة الخنق.

وينبغي أن نعلم أن من أكبر بواعث هذه الفلسفة هو تلك الفلسفة التجريدية المعقدة التي نادى بها الفيلسوف الألماني هيجل الذي يتصور الكون قائماً على وجود فكري بحت أو ما يسميه بالمطلق وهو الوجود الحقيقي وكل شيء آخر غيره من أفراد بل ودول وحضارات لا وجود له إلا بالنسبة إلى ذلك المطلق ومن هنا يلغى الوجود الفردي للإنسان إلا من بصيص خيال فكري يرتبط فيه بذلك المطلق هذه الفلسفة الخيالية التي تتجاوز خيالية مذهب وحدة الوجود أثارت «كير كجارد» فرفضها لأنه كفرد إنما يهمه وجوده هو بالدرجة الأولى ولأنه

كمؤمن يشعر أن حياته وفكره مشدودان إلى الله حيث يستكمل وجوده الحقيقي من خلال صلته بالله، وصلته بالله صلة إيمانية عاطفية لا فكرية مجردة كما هي عند هيجل بالنسبة للمطلق.

أما بالنسبة للقلق الذي يحدث للإنسان فيشعر معه بتفاهته وأنه لا شيء أو أن مصيره مظلم فإنه لدى أتباع الوجودية المؤمنة نتيجة لبعد الإنسان عن الله لا يلبث أن يضمحل وينفتح باب الأمل حينما يعاود الإنسان الاتصال بالله.

هذه هي الوجودية المؤمنة في نموذجيتها المثلى وإن كانت قد ذابت شيئاً فشيئاً من حيث ثقتها في تحقيق الدين للإنسان وجوده حتى انتهت بالإلحاد والكفر بالدين وبالله والنظر إلى الإنسان كوجود أوحد في هذا الكون دون خالق ودون حكمة خلق.

والوجودية المؤمنة كما رأينا تمثل تشبث الإنسان ببقايا إنسانية بين دين محرف ومذاهب ملحدة تعصف بكل قيمة للإنسان.

ولنتصور بعد هذا أن زعيم هذه الفلسفة سورين كير كجارد اطلع في إحدى حالات تجرده على الإسلام دين الحق من خلال كتابه العظيم القرآن الكريم ترى ماذا سيكون موقفه وهو يجد مطالبه الفطرية ونزوعاته الإنسانية كاملة مشرقة أمامه.

حيث يقرر القرآن أن الإنسان خلق كريماً سليم الفطرة خلق خلقاً متفرداً بيدي المولى ﷻ ونفخ فيه نفخة خاصة من روحه الكريمة ثم أسجد ملائكته تكريماً وتشريفاً ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَـٰجِدِينَ﴾ [الحجر: ٢٩]. ثم كرمه بأن جعله خليفة في الأرض وسخر له ما في السماوات والأرض ﴿وَإِذْ

قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٣٠]، ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الجاثية: ١٣]، أما صلة الإنسان بالله فإنها تمثل قمة السمو للإنسان إنها صلة العبودية الاختيارية التي يناجي بها العبد ربه قصداً وطلباً دون وسائل كهنوتية تمثل حجباً بين العبد وخالقه ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر: ٦٠].

ومع وضوح منطلقها وهدفها فهي صلة واضحة المنهج لأن الذي حدده هو خالق الإنسان العليم بحاجته.

وهي صلة مستغرقة لكيان الإنسان كله في جوانبه العقلية تفكراً وتدبراً والبدنية عملاً ونشاطاً والروحية توكلاً. وفي حركته الفردية والجماعية.

وآيات القرآن كثيرة متظاهرة في هذه الجوانب.

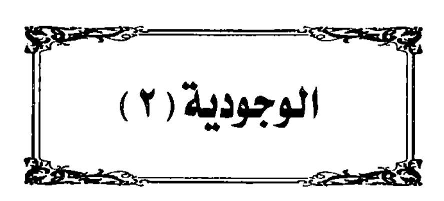
أما حالة القلق التي تعرض للمؤمن – في الإسلام – نتيجة تقصيره ومعصيته فإنها نعمة وخير لصاحبها يشعر بذلك وهو يعانيها لأنها أمارة على إيمانه، ورادع له عن التمادي في بعده عن الدين، وزاد يسمو به عند خالقه أليست هي الندم على التفريط المؤدي للتوبة التي تمثل توهجاً في صلة العبد بربه يفرح بتوبة عبده ويتقبلها منه ويفيض عليه بسببها فيوض الرحمة والغفران ﴿ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الأنعام: ٥٤].

وأخيراً فإن كير كجارد لو اطلع على الإسلام سيجد ديناً معصوماً وحيه طرية آياته لم يستطع البشر أن يتلاعبوا به، ولم تتحكم فيه أهواء المنافقين والفاسدين ومن ثم فلن يعاني مأساته التي واجهها مع الكنيسة ورجالها.

ولئن كان قد مضى كيركجارد زعيم الوجودية المؤمنة واتباع له كثيرون دون اتصال بالإسلام وبالقرآن فهلاَّ يرد هذا المورد العذب من رهقهم التيه وهاموا من العطش ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾ [النساء: ١٧٤-١٧٥].

فاللهم لك الحمد على نعمة الإسلام ونور القرآن وهدي نبينا محمد ﷺ.

* * * * *



الوجودية (٢)

الحمد لله والصلاة والسلام على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه، وبعد:

فقد سبق الحديث عن الوجودية المؤمنة التي انتهت إلى التشكك في الدين وقدرته على تحقيق القيمة الوجودية للإنسان من خلال الدين المتمثل أمام فلاسفتها وهو الدين النصراني الكنسي، وأفضى بها ذلك إلى الإلحاد والذي تمثل في أبشع صوره عند فيلسوفها جان بول سارتر.

وبغض النظر عن يهودية سارتر وما يرتبط بفلسفته من شبهات بسبب ذلك مع أنه ليس الفيلسوف الوجودي الوحيد فهناك من أتباعها الكثير سواه.

بغض النظر عن هذا فإن هذه الفلسفة ترى أن الإنسان الفرد — قد بلغت غربته في هذا العصر مداها حيث سحقت ذاتيته أمام رجال الدين وتحت النظم العسكرية، والمذاهب الاشتراكية التي قامت تنكر فردانية الإنسان وتعتبره ترساً في آلة لا قيمة لحركته المستقلة.

فقامت هذه الفلسفة متجاوزة أي شي يحيط بالإنسان سوى وجوده المجرد المطلق من كل قيد المتحرر من كل ضابط، منكرة وجود ماهية يتميز بها الإنسان عن الوجود ومن هنا كانت الحرية المطلقة هي الدعوة العريضة التي ترفعها الوجودية وتتمثل الحرية التي يتحقق بها وجود الفرد بإطلاق العنان لرغباته وشهواته يفعل ما يشاء ولا يبالي بقيم ولا عرف ولا دين.

وإذا كانت إنسانية الإنسان بما فيها من فطرة وقيم تمثل أساس ماهية الإنسان فإنه لا اعتبار لها عند الوجوديين لأن النظر محصور بالوجود فقط فكأن لسان حالهم يقول إن الإنسان كالحمار وسائر الحيوان تماماً ينبغي أن يضاهيها في أفعالها حتى الجماع أمام الناس والسير عارياً حيث يشترك معها في الوجود، فإن قيل لكن الإنسان يتميز عنها بإنسانيته قالوا قد أنكرنا هذه الإنسانية ولقد قالها أحد الوجوديين العرب صراحة حيث قال: «نحن كالحشرات تماماً سوى أننا وضعنا لأنفسنا هالة سميناها الإنسانية خنقنا بها حريتنا».

ولأنها هبطت بالإنسان عن مقامه المتميز فقد انحصر نظرها من الإنسان في مظاهره الشريرة القذرة الهابطة شذوذاً وفسقاً وميوعة وجبناً مما أدى إلى التشاؤم والقلق والشك في الخير والحق الذي أصبح سمة هذه الفلسفة، والإنسان رغم امتلاكه أمر نفسه عند هؤلاء الوجوديين إلا أنه تحيط به المخاوف ويتهدده المستقبل.

فهو كما يقول هدجر: «قد قذف به إلى هذا العالم رغماً عنه وهجر فيه دون سند يعتمد عليه أو هدف يسعى له أو قوة عليا تسدد خطاه» وهو يواجه الموت الذي يمثل هاجساً مخيفاً لأنه عدم يقطع كل بارقة أمل لديه ثم إنه ليس منفرداً في برية إن الآخرين يحوطون به ولا بد من أن يكون له موقف تجاههم يراعي وضعهم وهذا تقييد لشيء من حريته أي خرم في كمال وجوده ولهذا قالوا: الآخر الجحيم.

ولأن الإنسان يولد في مجتمع له نظمه وأعرافه ولابد أن يخضع له خاصة في الأمور الاجتماعية فإن ذلك يعني خيالية الحرية المطلقة لديهم إذ يعترفون بهذا الخضوع.

هذه هي الوجودية، تتمثل عملياً في الانفلات من الأديان والشرائع والقيم الخلقية وإسقاط مبدأ الإيمان بالله أصلاً والاندفاع مع الأهواء والشهوات الحيوانية بغير حساب وقد انتقلت إلى العالم الإسلامي حيث ترجمت كتب سارتر وغيره من الوجوديين، وروجت لها بعض وسائل الإعلام وكان أثرها الأكبر من خلال الأعمال الأدبية رواية وقصة وشعراً مترجماً أكثر من أثرها بصفتها فلسفة فكرية، ولهذا كان أغلب المتأثرين بها من ذوي الاتجاهات الأدبية ممن فقدوا التنشئة الدينية في صغرهم فلما قرأوها في فترة شبابهم ومراهقتهم صادفت منهم قالباً خالياً فتمكنت عدا عن هذا فإن من المعروف أن هناك طائفة متصوفة يشبه منهجها المنهج الوجودي من حيث الإغراق في الكسل والعزلة واللامبالاة والنفرة من الآخرين بل تطلب عداوتهم وحقدهم بالمجاهرة بالموبقات والسرقة حتى يحقد عليه الناس وهي طائفة الملامتية.

وإذا أفضنا من هذه الظلمات إلى نور القرآن لنهدي به الحيارى في تلك المسألة فإن أول ما يبدهنا في قضية الوجود الإنساني أن هذا الإنسان ليس فلتة غير مقصودة الوجود، وليس وجوده في هذه الحياة عبثاً لا غاية له إن للإنسان رباً خالقاً حكيماً عليماً حدد له غاية وجوده قبل أن يخلق ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]، ثم خلقه ليقوم بهذه المهمة ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا﴾ [فاطر: ٣٩]، ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [يونس: ١٤]، ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ

غَيْرُهُۥ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ [هود: ٦١].

ولأن هذه الغاية الجليلة: العبودية الاختيارية والتي أناطها الله بالإنسان وفضله بها على المخلوقات المحيطة به جماداً ونباتاً وحيواناً تحتاج تأهيلاً خاصاً فقد أمد الباري جل وعلا الإنسان بذلك بما يهيئه للقيام بهذه الأمانة.

أمده بفطرة إنسانية خصبة قابلة للارتقاء بالإنسان علماً وأخلاقاً ونفخ فيه من روحه نفخة خاصة انفرد بها من بين سائر المخلوقات المحيطة به يستطيع بها التسامي بإنسانيته إلى أوج ملائكي رفيع.

وخلق له وسائل المعرفة والعلم وأعظمها القلب الذي يعقل الأشياء ويتبصر بها وأمده بالقدرة اللغوية التي يستطيع من خلالها بناء حضارته الإنسانية، تأملوا معي هذه الآيات ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الرُّوم: ٣٠].

﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ [ص: ٧٢].

﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨].

﴿عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ﴾ [الرَّحمن: ٢ — ٤].

كل تلك الجوانب قد أودعها الإنسان في أصل خلقته وهي تمثل أساس ماهيته ولكنه سبحانه لم يكله إلى تلك القوى في وجه الحياة بمغرياتها ومفسداتها بل أمده بمنهج قويم تتمثل فيه المسالك الإنسانية التي يحقق من خلال سلوكها وجوده الحقيقي على أكمل وجوهه فقد بعث رسله بالشرائع

التي تحدد للإنسان منهج أخلاقه وتصرفاته، وآخرها وخاتمها شريعته التي جاء بها محمد ﷺ في القرآن والسنة مبينة المسلك القويم لحركة الإنسان وعلاقاته بربه وبمن حوله من ناس وموجودات بما يحقق له وجوده المثالي كاملاً محرراً إياه من استعباد الآخرين – الذي لم تستطع الوجودية رغم طنطنتها بالحرية تحريره منهم حينما اعترفت بضرورة الانضواء تحت التنظيمات الاجتماعية والخضوع لضغوط المجتمعات التي يعيش فيها الوجودي –. كما أنها تحفظ الإنسان آمناً من فوضى حرية الآخرين التي لا تقوم إلا على حسابه وحساب من حوله.

ثم إن هذه الشريعة تفتح باب الأمل والتفاؤل تجاه المستقبل حيث أن ملتزمها يعلم أنه قريب من الله محوط بعنايته تنتظره بعد الموت سعادة أبدية وفلاح عظيم خلافاً للمستقبل المظلم المتمثل بالعدم الذي ينتظر الإنسان كل لحظة لتقضي على فترة لذته القصيرة الموقوتة حسب التصور الوجودي الملحد مما يجعله بين يدي هذه اللذة قلقاً مضرباً غير مستقر.

يقول سبحانه: ﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾ [الأنعام: ١٠٤].

ويقول جل وعلا: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٩].

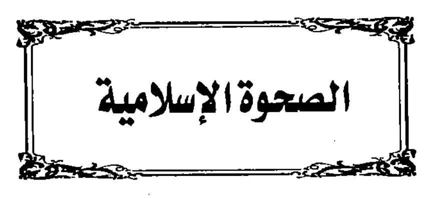
ويقول في سورة الإسراء أيضاً: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: ٨٢]. ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ

نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٥ - ١٦].

ويقول سبحانه مبيناً المستقبل المشرق الآمن الذي تهفو إليه نفوس المؤمنين: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ [فصّلت: ٣٠ - ٣٢].

فهل بعد هذا يقال إن الإنسان لا ماهية له وإنه ألقي به في هذا العالم مهجوراً دون معين يمده بتوجيه سديد وأنه يعيش حالة قلق منتظر وقوعه في العدم القادم، نعوذ بالله من الخذلان.

* * * * *



الصحوة الإسلامية

الحمد لله الحليم العليم، وعد الذين آمنوا وعملوا الصالحات مغفرة وأجراً عظيماً.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له أنزل على خلقه الكتاب المبين، يهدي به من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم.

وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله بلغ ما أنزل إليه من ربه وحكم بين العباد بما أنزل الله عليه وذاد الأمة عن شفا النار ما استطاع ﷺ، وبعد:

فهناك فرصة عظيمة تعيشها الأمة المسلمة اليوم لا إخال أن إنساناً يغفل عنها ولا يستفيد من جوها فيما ينفعه في دينه إلا وهو محروم من التوفيق والعياذ بالله.

هذه الفرصة هي حالة الإقبال على الله ﷻ والإنابة إليه بعد شرود في أودية الشيطان وبعد أزمات عانت منها هذه الأمة في مختلف جوانب حياتها لعب فيها كيد الأعداء وتسويل الشياطين وطفرة الحياة المادية دوراً كبيراً في إبعادها من خالقها وسقوطها إلا من رحم الله فيما لا يرضى الله فأهمل كثير من المسلمين شعائر دينهم واستهزأوا بدعاته وحجبت أبصارهم غشاوة كثيفة من المادة وهانوا أنفسهم على أعدائهم.

ثم أذن الله بهذه العودة المباركة التي قرت بها أعين أولياء الله، وفَزِع منها أعداء الله وأعداء دينه والمسلمين من الكافرين والمنافقين، الذين قال المولى عنهم: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا ۗ إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [آل عمران: ١٢٠].

هذه العودة المباركةالتي اشتهرت باسم الصحوة الإسلامية والتي تمثلت في أوبة إلى الله وإلى دينه وفي تحرر من العبودية للشهوات الفانية أكبر براهينه أفواج الشباب الذي لم يجاوز سني الفتوة والصبوة ومع ذلك ومع ما يحيط به من ألوان الفتن والتثبيط إلا أنه وجه نفسه وجهة الجد التي بها يتقرب من ربه، ويخدم أمته، جهاداً في سبيل الله بالنفس والمال، وعكوفاً على حلقات العلم الشرعي ودأبا متواصلاً في الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأخذاً للكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح على أنه المنطلق والأساس الذي يصوغ المسلم به شخصيته ويجعله ميزان حركته وطرحاً لما يخالفه من أعراف وتقاليد ومبتدعات وتطوعاً في أعمال البر بالأموال والجهود والأوقات ومتابعة لأوضاع أمته تحرقاً لمآسيها وتطلعاً لنهوضها.

وهي بفضل الله صحوة شاملة عمت رجال الفكر والعامة والمستويات الشعبية وكثيراً من المؤسسات الرسمية في أنحاء العالم الإسلامي وغير الإسلامي أيضاً.

وهي شاملة أيضاً من حيث إنها أخذ بالإسلام في مسائل الإيمان والعبادات وشئون الحياة الأخرى.

والمسلم الآن بحمد الله يعيش هذه الصحوة في حياته اليومية في دروس العلم ومحاضرات الثقافة الإسلامية والكتب والأشرطة الإسلامية وعلاقات الناس وأنشطة الطلاب وغير ذلك وهي نعمة من الله تَعَالَىٰ له فيها المن والفضل دون سواه ليس لأحد سواه من على مولاه سواء كان ممن اهتدى في ظلها أو من الدعاة الذين كانوا سبباً فيها ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الحجرات: ١٧].

وبعد هذا كله يأتي حديث الحب لك أيها المسلم من حيث موقعك من هذه الصحوة هل أنت ممن يرتفع بنفسه في سلمها مسابقاً في مرضاة الله، وهل أنت ممن ينظر إلى من دونه فينتشلهم ليصعدوا معه في مرقاه أو أنك وأعيذك بالله كالتمثال الذي يتحرك الناس حوله ذاهبين آيبين وهو جامد لا وعي ولا حراك فتبصر في حالك ولا تكن من المتلكئين عن الخير المحيط بهم فكم هي ندامة كبرى تلك التي أصابت أولئك الذين تخلفوا عن موكب دعوة الرسول ﷺ حينما بعثه الله فلم يؤمنوا إلا بعد أن سبقهم السابقون وانحسر شبابهم.

أما أنت أيها العائد إلى الله وأنت تفتح صفحتك الجديدة وتطوي صفحتك القديمة لعلك كنت في ماضيك من الغارقين في شهواتهم البعيدين عن الشرع وأهله، أو أنك ممن نشأ بعيداً عن الدين، ودرس علوماً غير شرعية أو ممن يقرأ صحفاً غير إسلامية، فأنت مثقف ولكنها ثقافة غير إسلامية، أو أنه كانت تحيط بك شلة فاسدة تصنع بينك وبين الحق سوراً يحول بينك وبين معرفته أو أنك سواء كنت شاباً أو فتاة نشأت في بيت يغري بالفساد ويسهل ممارسته ويضايق من يحاول الخروج عنه؛ أيا كنت أيها العائد من هذه الصور أو أمثالها، فإنك ستعود بعاطفتك الإيمانية، وقد تغير من هيئتك وبعض عباداتك ولكن تبقى أمور مهمة ربما لا تعرف كيف تغيرها ولا المنهج السليم تجاهها، ولا بد لك حتى تحفظ هذه العودة من الانتكاس ومن الوقوع في الأخطاء الشرعية من أن تتخذ سبلاً تعينك على نفسك وأمرك.

وعلى رأس هذه الأسباب أن تقبل على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ قارئاً متدبراً وأن تأخذ من العلم الشرعي في عقيدتك وعباداتك وشئون معاملاتك في

أحوالك الأسرية والاجتماعية ما تستقيم به حياتك على منهج الله، وكذلك استصحاب الصالحين، والبعد عن مواطن الفساد التي كنت ترتع فيها قبل ذلك.

ولا بد أن تعلم أن الإخلاص وحده لا يكفي بل لا بد معه من استقامة على ما جاء به الرسول ﷺ وأن الله قد أمرك أن تدخل في الإسلام بجميع جوانب حياتك ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [البقرة: ٢٠٨].

إنه لعجب حال بعض الإخوة المهتدين تراه استقام في صلاته وتهجده وحجه وعمرته وكثير من عباداته ثم تراه مع زوجه ووالديه ونحوهم يمارس عقوقه وظلمه السابق أو تراه في معاملاته كحال ما قبل اهتدائه في عدم التورع عن المحرمات.

هذا شأن الإخوة العائدين إلى ربهم وهناك طائفة أخرى من الناس لما تزل أعنتهم في يدي الشياطين يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون يقارفون بعض المحرمات، وإذا رأوا أنوار الصحوة أو سمعوا صوت الدعوة ولوا مدبرين، يعيشون أغلب أوقاتهم غافلين سامدين وقد تعرض لبعضهم أحياناً فترات صحوٍ تستيقظ بها نفس الواحد منهم ويود التوبة إلى الله وتلومه نفسه على ما هو فيه ولكنه يشعر بصعوبة ترك الباطل وبثقل التحول إلى الالتزام بالدين وقد يظن أنه ستصيبه وحشة وسيفقد متعة الحياة ونحو ذلك من تسويلات الشيطان الرجيم. والذي ينبغي أن يعلمه هؤلاء أن السعادة وأن متعة القلب الصحيحة بعيدة كل البعد عن معصية الله مفارقة للإعراض عن هديه وللمعرضين عن دينه، ولا تغرنكم قهقهاتهم العالية في مجالسهم ولا أغانيهم الصاخبة في

سياراتهم ولا اللامبالاة التي يظهرونها في حركاتهم فإنها لا تعبر عن سعادة تغمر قلوبهم، إنها والذي نفسي بيده تخفي وراءها فراغاً قاتلاً وتصوراً مظلماً وفكراً متحيراً، وهروباً لا يدري صاحبه إلى أين يتجه فيه، وصدق الذي يعلم من خلق في قوله: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى﴾ [طه: ١٢٤ - ١٢٦].

فليعلم هؤلاء أن فسقهم وفجورهم هو سبب شقائهم وبؤسهم وأن سعادتهم في تقربهم إلى ربهم وفي اللجوء إلى وجهه، وفي تجاوب الفطرة المستكنة في نفوسهم مع شرعه وآياته.

وهناك بعض أولياء الأمور من آباء وإخوان ونحوهم قضوا شطراً كبيراً من حياتهم إما في أودية الضلال بعيداً عن الدين وشعائره، أوفي حياة تقليدية لا مبالية بالالتزام بالدين، وإن كانوا قد يجاملون في أداء بعض شعائره، هؤلاء يسيئون إلى أولادهم - وخاصة الناشئة الصغار منهم - حينما يحجبون عنهم أنوار الصحوة بحكم أنهم هم بعيدون عنها، فلا يجلبون لبيوتهم ما ينفع أولادهم في دينهم ولا يربطهم بمن يفيدهم، بل قد يتضايق بعضهم من أمارات الصلاح والتدين إذا رآها على أولاده أو بناته، خشية أن ينكشف تقصيره إزاءهم، وقد يشوه لدى أبنائه أو إخوته أهل الخير حتى ينفرهم منهم فليخش هؤلاء ربهم وليعلموا أنهم بفعلهم هذا سيحملون أمام الله أوزار أولئك الناشئة الذين صدوهم عن سبيل الله، ولم يفتحوا لهم أبواب النور والهداية.

لكن ذلك لا يعني أن يقذفوا بأولادهم في أحضان لا يعرفون عنها شيئاً، إن مرحلة الشباب خطيرة، وكما أن التسيب مرض وبيل، فإن مساراً مقابلاً له قد يقع فيه بعض المتدينين وهو الغلو أو التشدد الذي يصبح به الشاب مصدر إزعاجٍ وإرهاقٍ لبيته وعائلته وربما للدعوة الإسلامية، وقد يتطور إلى نظرة نفور واتهام للمجتمع بالتقصير والعزوف عن الدين، بل ربما يصل إلى التكفير والعياذ بالله.

لهذا فإن من المطلوب ضرورة تبني منهج عملي لرعاية هذه الصحوة ومتابعة تطوراتها؛ وقاية لها من الانزلاق فيما يعوقها عن أهدافها في ظهور الأمة وصلاح أمرها.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

* * * * *



المسائل الاجتماعية

وتشتمل على ما يلي :

* الزكاة.
* الجود.
* السرف.
* الرجولة.
* الموقف.
* الحب بين تصورين.
* الجمال.
* نعمة الصوت.
* المرأة.
* الجماع.
* الرحم.
* المستضعفون والعمال.
* مجالسة الأخيار.
* مجالس العلم والعلماء.
* الانتهازية والنفاق.



الزكاة

الحمد لله القوي العزيز، مالك الملك يعز من يشاء ويذل من يشاء، بيده الخير وهو على كل شيء قدير يعلم ما تخفى صدور العباد وما تبديه، ويعلم ما في السماوات وما في الأرض والله على كل شيء قدير.

أحمده وأشكره وأتوب إليه واستغفره.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهد لنفسه بتوحيد الإلهية وشهد بذلك الملائكة وأولوا العلم، فسبحانه وبحمده وتبارك اسمه وتعالى جده ولا إله غيره ولا معبود بحق سواه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أسلم وجهه لله، ودعا إليه على بصيرة وذاد الأمة عن النار ما استطاع، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، وبعد:

فهل تأملت أيها الإنسان في وضعك في هذا الوجود، أمام الخالق الجليل، أنت المربوب وهو الرب، وأنت المملوك وهو المالك، وأنت المرزوق وهو الرازق، إنه الرب الخالق البارئ الكريم، وأنت العبد الفقير الذليل، خلع بفضله عليك لباس الوجود ثم أمدك بخيرات الأرض تنتفع بها وأمدك بالقدرة على كسبها وصيانتها، بما أعطاك من عقل وهمة للعمل، وما أنزل عليك من تشريع يحفظها لك، ولهذا فإنك أيها الإنسان إنما أنت مستخلف ولست صاحب الملك الأصلي، فصاحبه هو الذي خلق وأعطى وحفظ ولهذا قال سبحانه عن الأموال والرياش: ﴿ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسۡتَخۡلَفِينَ فِيهِۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَأَنفَقُواْ لَهُمۡ أَجۡرٞ كَبِيرٞ﴾ [الحديد: ٧].

وقال في آية أخرى: ﴿وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ۚ وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَـٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ٣٣].

ولكنه سبحانه منا منه وفضلاً على الإنسان منحه تملك ما أعطاه أي أخبره أنه يعتبر مالكاً لماله الذي كسبه بالطرق الشرعية يتصرف فيه دون غيره ومن ثم نسبه له ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَـٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٨٨]، ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٦٢].

ويزيد فضل الله على الإنسان حينما يجعل هذا المال وسيلة إلى رضوان الله إذا باعه لله الذي أعطاه إياه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم﴾ [التوبة: ١١١].

وأنذر سبحانه عباده الذين يبخلون على الله بمالهم بالخطر الشديد ﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥].

واقتضت حكمته سبحانه أن يشرع لهذا الإنفاق نظاماً محدداً مفروضاً على المملوكات سوى نوافل الصدقات المفتوحة.

لهذا فرض تعالى الزكاة في صنوف الأموال، وجعلها ركناً من أركان الإسلام التي لا يقوم إلا بها، كما في حديث بني الإسلام على خمس، على أن يوحد الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصيام رمضان والحج[1].

---

(١) في مثل حديث جبريل الذي رواه البخاري في «الإيمان»، وكذلك مسلم.

وجعلها قرينة عمود الدين، الصلاة في آيات كثيرة ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٣]. وبين خطورة تركها والبخل الذي يمنع صاحب الأموال من إخراجها أو يؤدي بهم إلى بخسها واختيار ما يكره لنفسه في إخراجها.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۗ وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ﴾ [التوبة: ٣٤].

وأخبر ﷺ في صحيح مسلم أن أموال الإنسان تصفح له يوم القيامة صفائح من نار فيكوى بين الخلائق قبل انتهاء الحساب إذا كان لا يؤدي زكاتها[1].

وبين سبحانه كيف انتهى البخل بالمال والشح عن إخراج الزكاة بصاحبه إلى النفاق والعياذ بالله ﴿وَمِنۡهُم مَّنۡ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنۡ ءَاتَىٰنَا مِن فَضۡلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝٧٥ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضۡلِهِۦ بَخِلُواْ بِهِۦ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ ۝٧٦ فَأَعۡقَبَهُمۡ نِفَاقٗا فِي قُلُوبِهِمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ يَلۡقَوۡنَهُۥ بِمَآ أَخۡلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ﴾ [التوبة: ٧٥ — ٧٧].

ولقد حدد رسول الله ﷺ أنواع الأموال التي تجب فيها الزكاة، وهي أربعة أصناف: الزروع والثمار، وبهيمة الأنعام السائمة إبلاً وبقراً وغنماً، والنقد ذهباً وفضة أو ما يقوم مقامها، وأموال التجارة بأنواعها المتعددة كما حدد ﷺ نصاب كل نوع منها، الذي إذا بلغه المال وجبت فيه الزكاة وتصاعد مقدارها

---

(١) رواه مسلم في «الزكاة»، والنسائي كذلك، والترمذي في «التفسير».

بتصاعده، كما حدد زمن وجوبها كبلوغ عام على تمام النصاب في الأنعام والنقد وعروض التجارة وموسم الحصاد للزروع والثمار.

كما حدد المولى سبحانه الجهات التي ينبغي أن تصرف فيها الزكاة في قوله سبحانه في سورة التوبة: ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٦٠].

فينبغي على المسلم الذي يملك ما يقع فيه الزكاة أن لا يغلق حب المال على إيمانه، فيتهرب منها كما يتهرب الأثرياء من المكوس التي تفرضها الحكومات على شعوبها، أو يتصرف بها على غير وجهها الشرعي، إن في إخراجها وحسابها وفي تصريفها أو اختيار مستحقيها.

بعض الناس – مثلاً – يكون لديهم عروض تجارة من الدواجن أو من الأنعام التي تعد للبيع والشراء والتكسب بها، فلا يخرجون زكاتها بحجة أنها ليست سائمة، وهذا خطأ لأن الزكاة واجبة فيها هنا ولو لم تكن سائمة لا لكونها إبلاً أو غنماً وإنما لكونها عروض تجارة.

كما يخطئ آخرون في وجه تصريفها إما بتوزيعها على معارفهم رجالاً ونساء دون نظر للصفة الشرعية في هذه الزكاة هل تنطبق عليهم أولا وغالباً ما يكون هؤلاء أو تلك النساء اعتدن هذا المورد كل عام وهن فوق مستوى الفقر والمسكنة.

ومثل هؤلاء المعارف صرفها على الذين يتصنعون الفقر ويتسولون على الأبواب وفي المساجد وكثير منهم كما كشف ذلك مراراً من غير مستحقي الزكاة.

كما أن المسلم ينبغي أن يراعي الأولوية في الحاجة، فكلما كان الإنسان أشد عوزاً وفقراً كان أولى من غيره بالزكاة ولو كان من المستحقين لها.

لقد كان بعض الأثرياء يشعر أنه أمام مشكلة في تصريف زكاة أمواله، ولكن هذه المشكلة لم تعد قائمة الآن مع وجود الهيئات وجمعيات البر الموثوقة بمعرفتها لذوي الحاجة من المسلمين، وبتوصيل هذه الزكاة إليهم، فإذا كانت الهيئة أو الجمعية تحمل تزكيات من كبار العلماء الموثوقين في تقواهم فإنه من الخير للمسلم أن يوجه زكاته أو جزءاً منها إلى هذه الهيئات لتقع في محلها وتسهم في إغاثة من لا غوث لهم من المسلمين المشردين الجائعين، إلا إخوانهم المؤمنين بعد الله تعالى.

وينبغي للمسلم أن يعي أن هذه الزكاة التي تَعبَّده الله بها ليست من نوع الضرائب والجمارك وسائر الجبايات الاقتصادية التي تمارسها المجتمعات البشرية لأهداف مادية بحتة.

أجل إن الزكاة عبادة يتقرب بها المؤمن إلى الله، وحكمتها الأساسية هي تزكية النفس من الشح والحرص وتخليص القلب من عبادة المال والقسوة التي يتعامل بها الماديون مع من دونهم من الفقراء والضعفاء والزكاة كذلك وسيلة إحلال البركة في المال، ليصير نامياً نافعاً لأهله، رافعاً لمقامهم حينما يرضى الله عنهم.

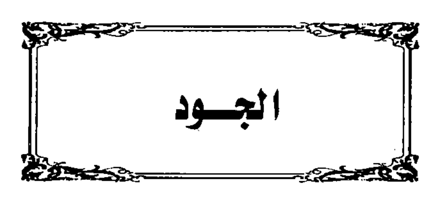
ولهذا قال سبحانه مخاطباً رسوله محمداً ﷺ: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١٠٣].

وقال ﷺ: (ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً)[1].

طهر الله قلوبنا من الانصراف عنه إلى غيره وألزمنا القناعة بما أعطانا إنه سميع مجيب وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

* * * * *

(١) رواه مسلم في «البر»، وكذلك الترمذي، والموطأ في «الصدقة».



الجـود

لله الجواد الكريم صاحب اليد الملأى في الليل والنهار.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له أوجدنا من العدم، وأسبغ علينا وافر النعم، ودرأ عنا أهوال النقم، امتن علينا بالإسلام وفضلنا به على كثير من الأنام ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل: ١٨].

وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله خاتم الأنبياء وسيد الأولياء أخرج الله به الناس من الظلمات والنور كان بالمؤمنين رؤوفاً رحيماً يعز عليه ما يعنتهم ويدأب عليهم دأب الأم على وليدها فصلى الله وسلم عليه، وجزاه الله خير ما جزى نبياً عن أمته، وبعد:

فلأن دين الإسلام دين رحمة للإنسانية في كل مجالاتها فقد أمر الله عباده المؤمنين بأن يتعاهدوا من حولهم من المعوزين والمصابين وأن يُطعموا الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً.

ومدح سبحانه منهم ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٤].

وقال ﷺ فيما رواه الإمام مسلم: **(من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة والله في عون العبد ما دام العون في عون أخيه)**[1].

(١) رواه مسلم في «الذكر والدعاء»، وأحمد في «المسند»، وأبو داود، وابن ماجة.

وكان ﷺ يستنهض همم الناس للبذل والعطاء، ويجمع ما يجودون به كي يعطيه مستحقيه، وكان يرغبهم ويرهبهم قال مرة للنساء ﷺ: **(تصدقن فإني رأيتكن أكثر أهل النار)**[1].

وجاء مرة رجل فقال يا رسول الله أي الصدقة أعظم أجرا فقال: «أن تصدق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل الغنى ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقد كان لفلان كذا»[2].

والأمة الإسلامية اليوم في مختلف مجتمعاتها تعاني أنواعاً من اللأواء وتغير الأحوال وسوء الأوضاع، حروباً مروعة مدمرة ومجاعات وجفافاً ينتهي بالناس إلى الأمراض فالهلاك، وفيضانات تقضي على الحرث والمساكن وسبل العيش فضلاً عن الفقر والتخلف نسمع عن هذه الأحوال ونرى صورها المنقولة عبر وسائل الإعلام أو نراها رأي العين.

إنها والله لمناظر لأولئك المساكين من أمة محمد ﷺ تقض مضاجع المؤمن وتثير رهبته من الله أن يبقى مكتوف اليد وهو قادر على أن يمدها بقليل أو كثير فيبقى منطوياً على ذاته لا تتجاوز همته رفاهية نفسه وولده غير مكترث بإخوانه المسلمين الذين يتضورون من أصناف البلوى الواقعة عليهم، وهم ينتظرون مساعدته.

لقد رأى ﷺ أناساً من الفقراء الذين ظهر أثره عليهم واضحاً فشق ذلك عليه وأثر فيه فجمع أصحابه وخطبهم حتى جمعوا لهؤلاء ما كفاهم.

---

(١) أخرجه البخاري في «الزكاة»، ومسلم في «صلاة العيدين».

(٢) أخرجه البخاري في «الوصايا»، ومسلم في «الزكاة».

روى مسلم عن جرير قال: «كنا في صدر النهار عند رسول الله ﷺ فجاء قوم عراة.. «أي مشقوقو الملابس» عامتهم من مضر فتمعر وجه رسول الله لما رأى بهم من الفاقة فدخل ثم خرج فأمر بلالاً فأذن وأقام فصلى ثم خطب فقال: «يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام، إن الله كان عليكم رقيباً، أيها الناس اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغدٍ»، ثم قال: ليتصدق رجل من ديناره من درهمه من ثوبه من صاع بره من صاع تمره حتى قال ولو بشق تمرة قال فجاء رجل من الأنصار بصرة كادت كفه تعجز عنها بل قال لقد عجزت ثم تتابع الناس حتى رأيت كومين من طعام وثياب، حتى رأيت وجه رسول الله ﷺ يتهلل كأنه مُذهبة، فقال رسول الله ﷺ: **(من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من غير أن ينقص من أوزارهم شيء)**[1].

إن مما يحز في النفس يا إخوة الإيمان أن نجد الكفار من النصارى وغيرهم يسبقون المسلمين على مد العون والمساعدة إلى أهل ملتهم من الكافرين بل إلى إخواننا المسلمين المنكوبين بحرب أو مجاعة ونحوها كل ذلك خدمة لأغراضهم واستغلالاً للوضع النفسي الذي يكون عليه هؤلاء المحتاجون فيفسدون عليهم دينهم ويزينون لهم الكفر والضلال.

لقد أخبرنا الرسول ﷺ أن من السنن الإلهية أنه إذا تحكم الشح في أمة وتشبث أثرياؤها بالدنيا وقطعوا قنوات الخير عن الآخرين من المحتاجين فإنه

(١) أخرجه مسلم في «الزكاة».

إيذان بالهلاك قال ﷺ: **(اتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم)**[1].

فلتنتبه يا عبد الله لحال نفسك حتى لا يخدعك الشيطان فيصور لك نفسك أنك المصلي الصائم قارئ القرآن وأنك قد بلغت الكمال بينما الدنيا تتحكم فيك وأطماعها تستهويك فتجمع ولا تنفق وتستأثر لنفسك ولا تؤثر غيرك وتعيش سادراً في وهمك حتى إذا ما أطبق عليك الموت وانكشفت الحقيقة حاولت الاستدراك وقلت أعطوا وتصدقوا كما جاء في الحديث، ولكن هيهات.

﴿ وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ۝ وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا ۚ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [المنافقون: ١٠ - ١١].

إن من نعمة الله عليك أيها المسلم في أي مكان أن هيأ لك من يعينك على نفسك ويسهل لك إيصال برك وإحسانك إلى مستحقيه عن طريق الهيئات الموثوقة التي تعرف أحوال المسلمين وتدرس أوضاعهم لتضع ما يردها من أجواد المسلمين في مواضعها الصحيحة فلا تكن نظرتك قاصرة محدودة فتتصور أن مستحقي الصدقة هم هؤلاء المتسولون الذين قد يكون أكثرهم بعكس ما يظهر من حالهم.

إن هناك ملايين من المحتاجين البؤساء من الأرامل التي لا عائل لها ومن الأيتام الذين فقدوا آباءهم ولا نصير لهم ومن المشردين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم لأنهم قالوا ربنا الله ومن الجوعى الذين يبست أرضهم وهلكت مواشيهم.

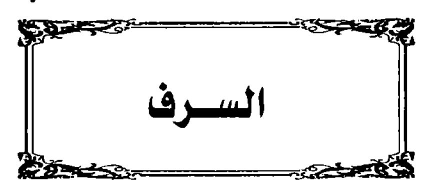
---

(١) أخرجه مسلم في «البر والصلة».

فلتتذكروا أيها الصائمون وأنتم أمام موائد طعامكم بأصنافها المتعددة وفنونها الشهية إخوانكم هؤلاء وليقارن المسلم حاله وهو يسرف في موضات التأثيث البيتي وفخامة المراكب وحفلات البطر والأشر وأسفار اللهو والمتعة وحال هؤلاء الذين يملأ سمعه وبصره تردي أوضاعهم وسوئها.

أسأل الله أن يرحم ضعف المسلمين ويرفع شأنهم ويعيد لهم عزتهم كما أسأله أن ينير قلوبنا بالحق ويغنينا بفضله عن سائر الخلق، إنه ولي ذلك والقادر عليه وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

* * * * *



السرف

الحمد لله والصلاة والسلام على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه، بعد:

النفس البشرية تنزع في علاقتها بالحياة أحد منزعين متطرفين:

* منزع المادية والشره والانغماس في اللذائذ دون حساب.

* منزع التضييق على النفس والتقتير على الأهل والولد.

قد يكون هذان المنزعان رغبات نفسية يتجاوب معها الإنسان عملياً وقد يكونان قائمين — كل منهما — على فلسفة للحياة تدفع باتجاهه، الفلسفات المادية واللذية بالنسبة للأول، والرهبانية بالنسبة للثاني.

الإسلام جاء ليقيم التوازن في حياة الإنسان بين هذين المنزعين، بحث تكون حياته عدلاً تتمتع بطيبات الحياة التي أباحها الله وتنعم بزينة الله التي أخرجها لعباده، وفي الوقت نفسه تنضبط بضوابط الشرع في هذا المجال فلا يتجاوز الحلال إلى الحرام أكلاً وشرباً وجنساً وملبساً ومسكناً، وأيضاً لا يتمادى مع الحلال على حساب المصالح الروحية والقيمية عبادة لله ودعوة لدينه؛ فهو مستقيم على خط العدل في تعامله مع الدنيا دون شره أو إسراف ودون اعتزال وانصراف وتضييق على النفس ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا﴾ [الفرقان: ٦٧]، ﴿وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ فَتَقۡعُدَ مَلُومٗا مَّحۡسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٩]، ولكن ضعف النفس البشرية أمام المغريات من جهة، واستغفال المستغلين للناس يجعلهم لا ينضبطون على مقام

العدل والتوازن اتباعاً لمنهج دينهم وحرصاً على سلامة حياتهم، وطمأنينة نفوسهم.

وفي عصرنا الحاضر حيث الروح المادية الطاغية عالمياً ومغريات نعيم الدنيا الساحرة اندرج الناس إلا من رحم الله في هذا التيار واستخفتهم مباهج الحياة لدرجة التبذير الجنوني الذي يتجاوز حدود مطالب الذات المعقولة، وهو ما يسمى في الدارج الشعبي «الطخطخة» في المساكن والمراكب والأثاث ومتطلبات الزواج وسواها.

وتفاقم الأمر في السنين الأخيرة مع العولمة التي من أبرز تداعياتها في المجال الاقتصادي والثقافي إذكاء الروح الاستهلاكية لدى الشعوب لاستنزاف أموالها، ولتشغيل مصانع هؤلاء المستغلين وذلك عن طريق الإعلانات الدعائية التي تجاوزت قدرتها العرض المغري إلى صناعة أذواق الناس وتوجيهها لتقبل بعمى على الشراء الذي يصل لدرجة التنافس دون حاجة حقيقية، وكذلك عن طريق التنميط والتجديد لشكليات الأشياء عن طريق الموديلات المتتابعة والموضات المتجددة بما يشد الناس إلى الجديد والملل من القديم عبر صخب دعائي مصاحب حتى أصبح تغير الشريط على جانب السيارة سبباً لتغييرها، وخيط في الشماغ فارقاً بين قديم وجديد يقفز على ثمن القديم وهكذا...

إن الإسراف والتبذير والترف المتجاوز للحد الشرعي والعرفي دليل على تخلف الأمة، بل دليل على سيرها في طريق الانحدار الحضاري فإن من أبرز أسباب سقوط الحضارات فشو الترف والإسراف فيها وعدم تقدير النعمة، ورعاية حقوق الفقراء والمساكين الذين غالباً ما يكون الإسراف لدى فئة على

حسابهم معيشياً ونفسياً وهم يرون ألوان النعيم والبذخ لدى هؤلاء المسرفين وهم حولهم يتلوون تحت وطأة الجوع والعوز والفاقة.

وإذا كان النفعي المادي لا يشعر بمسؤولية وراءه تتعقب إسرافه وإغراقه في متعة الدنيا فإن المسلم غير ذلك ؛ إنه يعلم يقنياً أنه مسؤول عن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه وأنه سيعاقب على إسرافه وإن إيغاله الزائد في النعيم سيكون على حساب تنعمه يوم القيامة فـ «أكثر الناس شبعاً في الدنيا أطولهم جوعاً يوم القيامة»[1] كما جاء في الحديث، وختاماً يقول سبحانه: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [التَّكاثر: ٨].

وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

* * * * *

(١) رواه الترمذي في «القيامة»، وابن ماجة في «الأطعمة».



الرجولـة

الحمد لله وحده لا شريك له والصلاة والسلام على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه، وبعد:

فقد كنت في إحدى الأمسيات جالساً في مجلس شبه عائلي يجمع أخلاطاً أغلبهم من كبار السن وباقيهم من الشباب وكان مجلسي بين ابن وأبيه، الابن فوق العشرين من عمره والأب في بحر السبعين ولم يلبث هذا الابن بعد الجلوس والسلام أن أخذ جريدة وفتحها أمام وجهه ممسكاً بأطراف أوراقها مما حجب وجهه عن الجالسين ولأن المجلس تكسوه مهابة أضفاها عليه وقار بعض الحاضرين، لذا فقد مال الأب عليَّ منبهاً ابنه الجالس إلى يساري إلى طي الصحيفة ووضعها معللاً هذا النهي بأسلوب المربي لابنه بأنه ليس من الرجولة ما تفعله أمام أناس جئت لتسلم عليهم وتراهم ويسلمون عليك ويرونك.

وقبل تنبيه الأب وطي الابن للصحيفة كنت أرى تبرماً واشمئزازاً من عيون الجالسين لذلك الشاب وصحيفته.

والرجولة وهي ما يسميها العامة بالمرجلة ويجمعونها مراجل هي كما ذكر العلماء السابقون المروءة وهي كما قال ابن منظور الإنسانية وذلك بأن تزكو أفعال الإنسان ويكون طابعها السخاء والكرم وبأن يأخذ من الشرف والسؤدد قدراً يبرز فيه على أقرانه فيسمى عند ذاك ماجداً ويكون من ذوي الشهامة.

ولقد كان للرجولة أو المراجل عند آبائنا الأقربين مقام علي وكانت في مقدمة المؤهلات المطلوبة في الشخص المراد مصاهرته أو مجاورته أو الارتباط به بسبب من الأسباب.

ولا يفتأون يثنون عليها في المجالس ويقدرون أهلها ويرددون القصص التي تمثلت فيه صور منها ويوردون الأشعار فيها ولقد حفل الشعر النبطي بأبيات كثيرة بل قصائد في هذا المجال كقصيدتي الشريف بركات في وصية ابنه والشاعر محمد أبو دباس لابنه كذلك، يؤكد الشريف على ابنه بأن يجعل دروب الرجولة مسالكه ويحذر من الميل عنها ركوناً للذي هو أدنى.

ويذكر أبو دباس بعض خصائص الصعاليك الذين لا يرعون حقوق الله ولا واجبات الرجولة ولا يبالون بالمذمة محذراً ابنه أن تكون الغربة عن الوطن والبعد عن الرجال والأماجد قد أوقعه في بعضها.

أما الشاعر العبيدي فإنه يذكر في قصيدة له أن المراجل صعبة كمراقي الجبال وأن النذالة مسلك سهل لأنه منحدر نحو الحضيض ويرى أن طريقيهما: الرجولة والنذالة مفتوحان فمن أراد الجود رام الجود عالياً وارتقاه ومن رضي بالتنصل من المكرمات فالأعذار متيسرة سهلة.

والرجولة فيما يبدو ملكة نفسية يوهبها الله أو يكسبها بعض الموفقين من الناس فتفعل فعلها في حياته طلباً للخير ومبادرة إلى فعل البر ومنافسة في الطيب وصيانة للنفس من الفاحش قولاً وفعلاً.

وتتسع الرجولة لتنشر ظلها على حركة صاحبها في جميع علاقاته مع الله ومع الناس ومع غيرهم.

فهي سخاء وكرم في محله الصحيح وهي صلة لذوي الرحم وبر للوالدين ورعاية متواصلة لذوي العوز من الآخرين ثم من يليهم.

وهي حلم وصفح وإغضاء عن هفوات من يخطئ في حقهم مراعاةً لمصالح عامة، فوق مصلحتهم الشخصية.

وهي تطَهُّر من الأخلاق الدنسة كالحقد والحسد وترفع عن الدنايا وسفاسف الأمور وهي تواضع للناس حتى وإن كان صاحبها من علية القوم وأغنيائهم وهي مصاحبة لذوي المروءة والهمم العالية وعزوف عن مجالسة السفلة واصطفائهم.

بقي أن أشير إلى أن مقابل الرجولة عند هؤلاء هو ما يسمونه بالعفانة في العامية وهي النذالة واللؤم وسقوط آداب الرجولة وضعف الحياء أو فقده ولو أردنا توجيه تسمية العامة لانعدام الرجولة بالعفانة لوجدناه يسيراً إذ العفن عند العرب يطلق على اللحم إذا تغيرت رائحته وأنتن فأصبح لا ينفع في أكل بل في بقائه ضرر، وهكذا الأنذال فساد في ذواتهم شؤم على من حولهم يعيش أحدهم مع الناس كذئب يأكل من لحومهم وكثعلب يمكر بعقولهم وكلص ينتظر غفلتهم ولعل من أبرز صور العفانة والنذالة في بعض الشباب اليوم الاستهتار بالحياة وعدم احترام الكبار ومعاكسة النساء والمجاهرة بالنقائص وفقد الحياء والتقاعس عن أعمال الشهامة والفضل إذا لم تكن موافقة للمزاج تلك الساعة ولم يكن لها مردود مادي أو شهواني قريب وهذا جليّ في ضعف صلة الرحم وعدم المشاركة في حاجات الجار والقريب وتشييع الجنائز وإكرام الضيف ونحو ذلك.

نسأل الله السلامة من الغي والتوفيق للرشد، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

* * * * *



الموقف

الحمد لله الواحد الأحد الفرد الصمد وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبة، وبعد.

لعل من أصدق الكلمات أن نقول: إن الإنسان موقف وإن الأمة مواقف، بها تتخذ ملامح شخصيتها، ومن خلالها تؤثر في من حولها.

والأمم الناهضة تعي من خلال تجاربها أهمية الموقف واتخاذه اتخاذاً سليماً مما يجعلها تجتهد في بذل الأسباب التي تجعلها تتخذ مواقفها المزمعة اتخاذ راشدا.

ولقد كان العرب قبل الإسلام يهتمون بذوي العقول الراجحة والخبرات المتراكمة ليكونوا هيئات استشارية لمشيخات القبائل وقد يصطحبونهم في الحروب لرأيهم لا لفروسيتهم كما كان دريد بن الصمة محمولا على بعيره مع هوازن في حرب حنين بين الرسول ﷺ والمسلمين معه وبين هوازن ويسمى هؤلاء بالحكماء.

ولما جاء الإسلام وجه المسلمين بشأن المواقف وعظم أمرها، ذلك أن الإسلام رسم منهج الحياة والعلاقات بين الناس ولاءً وبراً، وإحساناً وعداءً... الخ وبناء على هذا المنهج المحدد حذر المسلم من أن يكون مائعاً في مواقفه متردداً في قراراته يقول الرسول ﷺ: **(لا يكن أحدكم إمعة يقول أنا مع الناس إن أحسنوا أحسنت وإن أساءوا أساءت ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساءوا أن تجتنبوا إساءتهم)**[1].

(١) رواه الترمذي في «البر»، قال محقق جامع الأصول (١١/٦٩٩): حديث حسن.

ويبين الحق في كتابه موقف المتقين من الجاهلين إذا اجهلوا عليهم ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ [الفرقان: ٦٣]، وموقفهم من المجالس التافهة واللغو الباطل ﴿وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا﴾ [الفرقان: ٧٢].

وفي المروي عن سلمان ﷺ يبين لنا خطورة اتخاذ مواقف متعلقة بحشرة مستقذرة هي الذباب لكن ينتهي بصاحبه إلى الجنة كما ينتهي موقف مضاد بصاحبه إلى النار فقد مر رجلان من الأمم السابقة بأناس يعبدون صنما لهم فحجزهم صاحب الصنم وطلبوا من كل منهم أن يقدم قربانا لصنمهم ولما لم يكن معهم شي اكتفي أهل الصنم بأن تكون القربة ذبابا فقط فجاء أحدهم فلم يبال نظرا لتفاهة الذباب فقربه لصنمهم فكان ذلك شركا منه استوجب النار وأما الآخر فرفض الطلب فادخله الله الجنة[1].

ولقد كانت هذه التربية الإسلامية مؤثرة في حياة المتلقين لها من الصحابة ومن تبعهم وتلاهم مما اكسبهم سداداً وقوة في المواقف.

وقد اشتهرت مواقف في تاريخنا الإسلامي كثيرة كان لها آثار على الدعوة الإسلامية وعلى أمة الإسلام.

كموقف الصديق أبي بكر الحازم في ضبط الأمور بعد وفاة الرسول ﷺ في توحيد الخلافة وفي تسيير الجيوش مباشرة نحو اتجاهاتها التي رسمها الرسول ﷺ وفي حروب الردة ومثل موقف هارون الرشيد من الحاكم الروماني الذي تطاول على الدولة الإسلامية وموقف يوسف بن تاشفين تجاه الغزو النصراني للأندلس في الزلاقة.

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف»، والبيهقي وأحمد بن حنبل في «الزهد»، وقد ورد بأسانيد تصح باجتماعها نسبته إلى سلمان – عن موقع ملتقى أهل الحديث.

ومثل ذلك مواقف العلماء دائمة التجديد إزاء أوضاع المسلمين في أوقاتهم.

ومع التعقيد الذي يعيشه عصرنا تطورت أساليب اتخاذ المواقف خاصة في مجال الأسس التي تبني عليها وبالذات على المستوى العام في الدولة والمؤسسات حيث تخصصت هيئات استشارية دراسية وميدانية تهيئ لاتخاذ موقف ما في شأن من الشؤون.

ولكن الذي يهمنا هنا هو الموقف المتعلق بالأشخاص من حيث هم أفراد أي بمنهج اتخاذ المواقف لدى الفرد في عالمنا العربي والإسلامي.

وهو منهج من أهم ضرورات حالنا الراهنة حيث يعيش المسلم في ظل تغيرات متسارعة ووسائل إعلامية مؤثرة وأوضاع قابلة للتقلب والاضطراب حيث تعتريه الشائعات وتتلون أمامه الخطابات الدعوية وتعرض عليه أوضاع أمته بما فيها من محن ومؤثرات وما يجري في داخلها من صراعات يقدم كل طرف فيها نفسه على أنه المحق والمستحق للتأييد والمناصرة.مما يستفز عقله ومشاعره ويجعله مضطرا لتبني موقف ما والتحمس له وقد لا يكون هو الحق الذي يؤيده الشرع أو تقتضيه المصلحة وهذا ناتج بلا ريب عن نقص في قدرة الشخص على اتخاذ الموقف السليم الصحيح أو الأقرب إلى الصحة إما لجهله بدينه الذي يمثل الأساس فيما يقرره من موقف أو لبعده عن الواقع بما يتحكم فيه من أبعاد وخلفيات أو لجموح عاطفي وتسرع في تلقي ما يُلقى عليه أو غير ذلك من الأسباب.

لهذا كان من القواعد المهمة التي لا بد منها للمسلم حتى تكون مواقفه راشدة وتقويماته للأحداث مسددة ما يلي:

أولاً: الفقه الشرعي ولا أقصد بالفقه الشرعي هنا أن يكون كل مسلم عالماً بالشريعة فهذا ليس بالمتيسر ولا يلزم المسلم لزوم الضروريات وإنما المراد أن يكون لديه تصور عام للإيمان بأركانه والعقيدة الإسلامية بمسائلها المقررة في النصوص الشرعية ومعرفة عامة بالأحكام الشرعية في عبادات الإسلام ونظمه الاجتماعية مما يشكل لديه رصيدا يخوله إذا عدم العلم الشرعي في قضية أو حادثة أن يحكم فيها من خلال قلبه ركونا إليها أو نفورا منها قال ﷺ: **(استفت قلبك وإن أفتاك الناس أفتوك الإثم حاك في النفس وكرهت أن يطلع عليه الناس)** و**(الإثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر)**[1].

ثانياً: الوعي الواقعي إذا كان الحكم الشرعي المتمثل في فتوى أو قضاء يختلف ويتغير حسب اختلاف الظروف وتغير الأحوال فان المواقف كذلك تتأثر بالأوضاع الواقعية لذا كان من الأمور الضرورية للإنسان كي يكون موقفه حكيماً صحيحاً استيعابه للواقع ووعيه الأبعاد المؤثرة فيه وإدراكه للفروق بين المجتمعات في تركيباتها وفي أهلها من حيث مستوياتهم الفكرية وكم من آثارٍ سلبية تركتها بعض المواقف التي يقفها أناس من المفكرين والدعاة أو البارزين في المجتمع كم جنت على المسلمين وعلى الدعوة الإسلامية بسبب جهلهم بالبيئة التي اتخذ فيها هذا الموقف وعدم مراعاة الواقع.

ثالثاً: ومما لا بد منه أساسا لبناء المواقف اعتبار القواعد الشرعية خاصة رعاية المصلحة ونفي الضرر والمفسدة الذين هما مقصد الشريعة الأكبر ومن أهم ما ينبغي هنا التثبت من الأساس الذي سيبني عليه الموقف سواء كان شرعيا أو

---

(١) رواه مسلم في «البر والصلة»، وورد بروايات عند غيره.

واقعياً فما أخطل الموقف الذي يبنى على فهم ناقص للشرع أو على فتوى لم يتثبت منها أو على إشاعة أرجف بها بعض المبطلين وقد نهى الله المؤمنين عنها قال ﷻ: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ [الإسراء: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴾ [الحجرات: ٦].

ولابد أن يعي المسلم أن هناك نوعين من المواقف يخدم أحدهما الآخر ولا يناقضه:

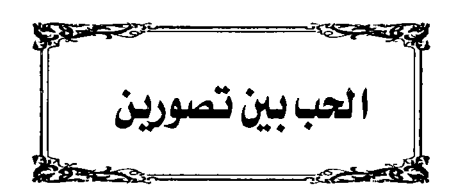
المواقف المبدئية أو الإستراتيجية التي تقوم على أساس قيم الإنسان وعقيدته مباشرة.

والمواقف المرتبطة بمصالح مؤقتة أو التكتيكية وهي التي يقتضيها وضع معين لا يستطيع فيه المسلم أو الأمة فرض مواقفهم المبدئية كاملة.

نسأل الله التوفيق وإن يلهمنا الرشد والسداد.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

* * * * *



الحب بين تصورين

الحمد لله والصلاة والسلام على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه، وبعد:

فإن لفظة الحب أيها الأخ الكريم التي تدور على الصفاء واللزوم والثبات وهي معانٍ ذات وزنٍ في العلاقات الإنسانية، هذه اللفظة وردت بصيغ متنوعة في نصوص شرعية كثيرة، آيات كريمة، وأحاديث شريفة، وقد بين الإسلام من خلالها للمسلم تصوراً تحددت فيه غاية الحب، ومقامه في حياته، وأثره في عمله.

جاء في الحب قوله سبحانه: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤].

وقال سبحانه: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١].

أما سنة الرسول ﷺ فمن أجمع ما ورد فيها بشأن الحب، ذلك الحديث الجامع، الذي أخرجه الشيخان وغيرهما، قال فيه ﷺ: **(ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان، أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، أن يحب المرء**

لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه ، كما يكره أن يقذف في النار)[1].

وقبل أن نستجمع التصور السامي الذي تقرره هذه النصوص ونحوها ، في هذه المسألة ، نعرض للتصور الآخر للحب.

وما هذا التصور سوى ما هو رائج في حياة الناس اليوم حول الحب سواء في حياتهم الواقعية أو الحياة الممثلة التي تقرأها في الروايات أو تشاهدها في بعض الوسائل الإعلامية ذلك الحب الذي لا يتجاوز في غايته الإنسان أو الأشياء المادية والذي تقوم مبرراته على المصلحة العاجلة الدنية أو اللذة الحاضرة الدائرة غالباً على الجمال الشكلي وحقيقة هذا الحب أنها إما أن يصدق مدعيه فيه فيضحي بكل شيء فداءً له أو يهون عنده كل ما سواه مهما غلا أو سما في عيون الآخرين ونفوسهم ولأن غاية هذا الحب المحدودة جمالاً أو منفعة قريبة لا تساوي بأي حال هذه التضحية لذا فإن المحبين من هذا النوع إنما يمارسون هوساً وتهوراً في حياتهم ولذا يعترفون على أنفسهم بالجنون :

قالوا جننت بمن تهوى فقلت لهم ❖ العشق أعظم مما بالمجانين

العشق لا يستفيق الدهر صاحبه ❖ وإنما يصرع المجنون في الحين

هذا إذا كان الحب انجرافاً وجدانياً حقيقياً.

أما إذا لم يكن الحب صادقاً وهذا هو الغالب في حب عصرنا ذلك الحب الشعري الذي تفيض به الأفواه بين الزاعمين تبادله وقد يتوهمون هم أنفسهم أنهم محبون حقيقة لكن هزة عارضة تكشف ذلك الجرف الهاوي الذي تصوره حباً ووداً.

---

(١) رواه البخاري في «الإيمان» ، ومسلم كذلك.

خلاف بسيط بين هؤلاء أو تفاوت في المزاج أو وجهات النظر ينقلب فيها الحب إلى بغض ونفور وعاصفة من الشك تقوضه تقويض الإعصار لخيمة مهترئة، ولهذا تجد لو تأملت أحوال المتغنين بهذا الحب أنهم أتعس الناس بحبهم وأكثرهم قلقاً ومعاناة.

أين هذا من شجرة الحب المباركة التي يغرسها الإسلام في نفس المؤمن ويصوغ بها توجهه وحركته فيفيض سعادة وتفاؤلاً وأنساً وقرة عين بكل أحد وبكل شيء ومع كل حدث وتحول:

صنائع فاق صانعها ففاقت ❖ وغرس طاب غارسه فطابا

الحب في الإسلام أخي العزيز هو الأساس الذي يرتكز عليه تدين المسلم لربه لأن الحب هو العنصر الأكبر من عنصري العبودية لله ﷻ:

فالعبودية التي هي مدار حياة المؤمن تتمثل في عنصرين: الحب والتذلل في غايتيهما وعنصر التذلل نابع من الحب ومظهره الطاعة والانقياد ولهذا قال سبحانه مخاطباً رسوله ﷺ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١].

والشاعر يقول:

تعصي الإله وأنت تزعم حبه ❖ هذا وربي في القياس بديع

لو كان حبك صادقاً لأطعته ❖ إن المحب لمن يحب مطيع

وإذا كان محبوبات الدنيويين محدودة محصورة معرضة للمقبحات فانية في الأخير سواء كانت جمالاً أو مالاً أو جاهاً، فإن محبوب المؤمن أسمى وأجل إنه الله صاحب الجلال والجمال والكمال المطلق الذي لا حد له ولا فناء والمنزه عن تأثير العوارض ودبيب البلى.

ولهذا فحب المؤمن لربه حب تام غامر للنفس محصن عن دنس الريب والشكوك ممتد في الزمن وراء هذه الدنيا إلى الآخرة إلى رضوان الله وجناته وما فوق ذلك من لذة النظر إلى وجهه الكريم.

يقول ابن القيم في كلام جميل له عن المحبة: «ومحبة العبد للرب تعالى تختص عن محبة غيره في قدرها وصفتها وإفراده سبحانه بها فإن الواجب له من ذلك كله أن يكون أحب إلى العبد من ولده ووالده ومن سمعه وبصره ونفسه التي بين جنبيه فيكون إلهه الحق ومعبوده أحب إليه من من ذلك كله والشيء قد يحب من وجه دون وجه وقد يحب لغيره وليس شيء يحب لذاته من كل وجه إلا الله وحده». اهـ.

قال الشاعر المؤمن في انفعال حب إيماني:

سبى قلبي العشاق جيد ومقله ❖ فجنوا وما ليموا فكيف ملاميا

وما أنا بالباغي على الحب رشوة ❖ وأخجل أن يلقاني الله لاهيا

لئن هام غيري بالجمال فإنني ❖ بمصدر أسرار الجمال هياميا

وينبغي أن نعلم أن هذا الحب السامي ليس مجرد لاعج مخنوق بين أضلاع الصدر كحب المتيمين من العشاق والذين يحاذرون البوح بمكنونات ضمائرهم.

كلا إن حب العبد لربه يفيض عذباً ليصبغ كل علاقات الإنسان برسومه فهو المعيار وهو النبع.

وكل ما كانت الأشياء والأشخاص أقرب إلى الله كان نصيبها من الحب أعظم ولهذا كان أحب شيء للإنسان مما بين يديه القرآن الكريم لأنه كلام ربه وكان أحب الأشخاص إليه رسوله محمد ﷺ لأنه أقرب خلقه إليه، حتى

الحركات والأعمال لا مناص لها من الخضوع لهذا المعيار وكلما كان العمل أقرب إلى الله وأثقل في ميزان الإسلام كان نصيبه من الحب أعظم وأجل والعكس بالعكس أيضاً، فإن حب المؤمن للأشخاص والأعمال والأشياء يتضاءل شيئاً فشيئاً كلما قل قربها من الله حتى إذا انفصمت عراها من الدين حل البغض لها محل الحب والبراء محل الولاء.

وحب الأشخاص وبغضهم – هذا الحب الذي نتحدث عنه – ليس مربوطاً بذواتهم وإنما هو منوط بأعمالهم ولذا فقد يتحول المبغوض من المسلم نتيجة كفره وعداوته للدين في لحظة إلى محبوب مألوف إذا آمن واهتدى.

إن الحب في الإسلام روضة خضراء وبستان مونق يتقلب فيه المؤمن في سعادة ونعيم جالساً وقائماً متأملاً وماشياً آكلاً ومستريحاً فهل لأولئك الذين أضناهم الشقاء في الواحات المجدبة والرمال الرامضة والاجواء المكفهرة – هل لهم – أن يفيئوا إلى روضة هذا الحب إلى سعادة الإسلام إلى أمان الإيمان.

﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾

[النساء: ١١٠].

نسأل الله التوفيق في أمرنا والثبات على ديننا وبلوغ رضوان ربنا.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

* * * * *



الجمال

الحمد لله الواحد الأحد الفرد الصمد، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه، وبعد:

روى الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود ﵁ أن النبي ﷺ قال: **(لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من كبر)** فقال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنة – قال ﷺ: **(إن الله جميل يحب الجمال – الكبر بطر الحق وغمط الناس)**[1]، وفي حديث آخر رواه أبو هريرة ﵁: «إن رجلاً أتى رسول الله ﷺ وكان رجلاً جميلاً – فقال يا رسول، إني رجل حبب إلى الجمال وأعطيت منه ما ترى حتى ما أحب أن يفوقني أحد بشراك نعل أفمن الكبر ذلك قال ﷺ: **(لا، ولكن الكبر من بطر الحق وغمط الناس)**»[2].

الجمال صفة سامية تقوم في الأشياء المادية كالإنسان والمتاع والنبات وفي الأشياء المعنوية كالآداب والأعراف والسجايا تصبح بها هذه الأشياء حسنة طيبة وتكتسب بهاءً يجتذب الفطرة السليمة وترتاح له النفوس الإنسانية.

ولما كان مولانا سبحانه جميل يحب الجمال فقد برأ سبحانه الكون المحيط بالإنسان بإحكام وإتقان وأسبغ عليه رداء الجمال قال تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ [النمل: ٨٨]، وقال تبارك: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ﴾

---

(١) أخرجه مسلم في «الإيمان».

(٢) رواه أبو داود في «اللباس» وهو حديث صحيح، جامع الأصول (٦١٥/١٠).

[السجدة: ٧]، وجعل الجمال معنى قائماً بهذه المخلوقات من أجل أن يستثمره الإنسان في طاعة ربه تحققاً وتأملاً كما قال في سورة النحل: ﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ۝ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٥ — ٨].

أما الإنسان نفسه فإن الله سبحانه خلقه فسواه وعدله وصوره فأحسن صورته وخلقه في أحسن تقويم ولكن هذا الإنسان لما كان مختاراً في أفعاله وتصرفاته فإنه يقف على مفترق طريقين أحدهما حسن وهو طريق الخير والآخر قبيح وهو طريق الشر فإذا سلك طريق الخير والحق انعكس هذا الخير على شخصيته فاكتمل جماله وصار جميل المخبر والمظهر، أما إن سلك طريق الشر فإن قبحه وسوءه ينحدر بشخصيته عن إنسانيتها وجمالها فيصبح خبيثاً مستقبحاً كما قال سبحانه: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [التين: ٤ — ٦].

ومن رحمة الله بعباده أن بعث فيهم رسلاً يدلونهم على طريق الخير ويحددون لهم عناصر الجمال ويدعونهم إلى الأخذ بالطيبات التي تزكوا بها حياتهم ويفلحون بها في آخرتهم يقول سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

إن قيمة الإنسانية إنما هي بجمالها وحُسنها وبما تتحلى به من جوانب الخير وكساء الحقيقة والنفس البشرية يعلو مقامها عند الله وعند عباده بما ترتديه من ثياب الجمال والمجتمع الإنساني لا يمكن أن تسير حياته سوية وأن يتعالى في مدارج الحضارة ما لم تكن مقومات الجمال سائدة فيه ومصطبغة بها علاقات أفراده نظاماً وعدلاً وبراً وغير ذلك وما لم يكن عصياً على دواعي التخريب التي تسعى إلى تشويه وجهه وتلويث جماله وإشاعة العفن فيه حتى يتحول مجتمعاً خبيثاً مسخوطاً من الله.

لهذا وجه الإسلام المسلم إلى اكتساب الجمال في نفسه وأفعاله وإلى إشاعته في الحياة والكون المحيط به وإلى التلبس به في سائر الأحوال.

أمره بالتجمل في شخصيته وهيئته كما قال سبحانه: ﴿يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١]، وكان ﷺ يوجه إلى ذلك أصحابه ومن ذلك سنن الفطرة تهذيباً للشعور وتقليماً للأظفار وكان ينكر الصور المبتذلة في الثياب وشعاثة الشعر وغير ذلك.

ومثل ذلك جمال المنطق وطيب القول حيث قال سبحانه: ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣]، وقال محذراً على لسان لقمان: ﴿وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾ [لقمان: ١٩]، وفي الدعوة إلى الله قال: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥]، وكان ﷺ ينفر

من الأشياء القبيحة ويسعى ليستبدل بها أشياء حسنة طيبة وقد تضايق مرة حين سمع امرأة تلعن بعيرها[1] وغير ﷺ بعض الأسماء المستقبحة إلى أسماء جميلة[2].

ودعا الإسلام إلى طبع الجمال على كل العلاقات بين الناس كما في قوله سبحانه: ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ [المزمل: ١٠]، ﴿فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾ [المعارج: ٥]، ﴿وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤٩]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ﴾ [الحجر: ٨٥].

وكثيراً ما يثني الله على عباده المتقين منوهاً بخصال الجمال التي يتحلون بها في صلتهم بربهم وفي علاقاتهم بالناس في أفعالهم ومنطقهم: إنهم الذين هم من خشية ربهم مشفقون وبربهم لا يشركون، إنهم الذين إذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه ومروا به كراماً، والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويستمعون القول فيتبعون أحسنه، إنهم الذين يكتسون ثوب الحياء ويظهرون أثر نعمة الله عليهم إلى آخر صفات الجمال وعناصر الحسن التي تجعل صاحبها كبيراً في الناس قريباً من الله.

إن مما يؤسف عليه أننا نجد حياة كثير من المسلمين رغم هذا المستوى الجمالي الرفيع الذي يرسمه دينهم – نجدها – مهلهلة بدائية تنقصها أبسط عناصر الجمال وينخرها الفساد وتسودها الفوضى والإهمال.

---

(١) أخرجه مسلم في «البر»، وأبو داود في «الأدب»، والترمذي في «البر والصلة».

(٢) انظر أحاديث في هذا في جامع الأصول (١/ ٣٧١).

وقد ضعفت عند هؤلاء المسلمين حاسة الذوق الجمالي فلم تعد تثير حساسيتهم أو تستفز ذوقهم الفطري ما تطفح به الحياة من خوارم الجمال وعفن التصورات والتصرفات مما لا يقبله الذوق السليم وإن شاع في بعض مجتمعات المسلمين كالمجاهرة بالمعاصي، وفوضى الحياة، والاستهتار بالأنظمة، وذهاب المروءات والانقياد الأعمى لكل ممجوج من الأزياء والموضات والأنظمة البيئية.

بل لعل بعض هؤلاء يلتمسون لواقعهم الذي يعج بالفوضى والإهمال وسوء المنظر وفقدان التناسق في شخصية الشخص أو بيته أو مكتبه أو تصرفاته تبريراً يدرأ عنهم وصمة فساد الذوق وافتقاد الجمال بأن كل ذلك أمر ثانوي هم مشغولون عنه بجهود أكبر في الدعوة والكسب وهو تبرير غير وجيه لأن من أعظم وسائل الدعوة إلى الإسلام أن تقدم لهم صورته العملية الصحيحة بما فيها من جمال ونظام.

أليس من أكبر عوائق الدعوة إلى الإسلام واقع المسلمين المختل المنفر لطالبي الحق والخير والجمال وكيف يكون الجمال أمراً ثانوياً وموقعه من الإسلام على ما أسلفنا في الشواهد السابقة.

إنني في ختام هذا الحديث عن الجمال أدعوا المسلمين أجمعين إلى وعي قيمة الجمال في حياة المسلمين أفراداً وجماعات ومن ثم إلى تجميل الحياة المسلمة بالمظهر والعفاف والقناعة والحياء والكرم والنصفة وكمال الهيئة وتنظيم البيوت والمكاتب وغيرها.

كما أدعوهم إلى التربية الحسنة التي تغذي في الناشئ الذوق السليم والحاسة الجمالية التي تجعلهم يميزون بين الحسن والقبيح، ويأخذون بالطيب وينفرون من الخبيث، ويسمون بحياتهم إلى مستوى الجمال الذي يليق بإنسانيتهم وتكريمهم من الله تبارك وتعالى.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

* * * * *



نعمة الصوت

الحمد لله الكريم الرحيم والصلاة السلام على محمد النبي صاحب الخلق العظيم وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فكلما كانت النعم التي وهبها الله للإنسان أكثر ملابسة للإنسان وحضوراً في حياته كان أكثر غفلة عنها وأقل تقديراً لقيمتها ورعاية لأمانتها.

والصوت إحدى النعم العظيمة التي امتن الله على الخلق بها حيث يستطيعون بوساطتها تبليغ حاجاتهم والتعبير عن مكنوناتهم.

والصوت طاقة إنسانية يقوم المرء بتوظيفها لخدمة أهدافه وتحقيق أغراضه ومن ثم فهي مسؤولية يتحملها الإنسان وسيحاسب عليها يوم القيامة؛ على مسلكه في توظيفها وعلى الغايات التي سخرها لها.

وفي هذا الإطار جاءت توجيهات شرعية كثيرة تحدد للإنسان المنهج السليم وعناصر الاستثمار اللائقة بهذه النعمة الجليلة.

من ذلك ما يتعلق بغض الصوت والقصد في النطق مطلقاً، وهو أدب إسلامي وجه إليه القرآن الكريم خلافاً لما كان عليه أهل الجاهلية قبل الإسلام حيث كانوا يتفاخرون بعلو الصوت وغلظته فمن كان منهم أشد صوتاً كان أعز ومن كان أخفض كان أذل؛ كما قال شاعرهم مفاخراً:

جهير الكلام جهير العطاس ❖ جهير الرواء جهير النعم

فقلب الإسلام هذا التصور حيث جعل إعلاء الصوت وشدته نوعاً من الحمق والمنكر.

قال سبحانه في سورة لقمان في وعظ لقمان لابنه: ﴿وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾ [لقمان: ١٩].

والحمار مثل في الذم البليغ ونهيقه مثل في فحش الصوت وسوءه حتى إنه ورد الأمر بالتعوذ بالله عند سماع نهيق الحمار.

ولا ريب أن التزام هذا الادب الإسلامي بغض الصوت أثناء المحادثة والخطاب أو حتى المحاورة والجدال أو الطلب والمناداة يحقق لصاحبه تركيزاً ذهنياً أكثر على ما يتحدث فيه، ويدل على ثقته بنفسه وبصدق حديثه؛ لأن الإنسان الذي يحتد في حديثه ويتعالى بصوته غالباً ما يكون فضلاً عن سؤ أدبه، لديه شك في صدق حديثه وعدم ثقة في شخصيته فيحاول تغطية هذا النقص برفع الصوت وإغلاظه ومغالبة أصوات الآخرين من حوله.

وفي اقتران رفع الصوت إلى الدرجات المنكرة بتصعير الخد للناس والمشي في الأرض مرحاً والتبختر فيها وهي الواردة في سورة لقمان دليل على أنه يدخل في صنوف الاستكبار والتعالي التي جاء الشرع بذمها وتطهير أخلاق المؤمنين منها.

وإذا كان رفع الصوت منكراً بوجه عام فإنها تتأكد نكارته ويشرع غضه بصورة أكبر في حالات معينة منها:

حالة الدعاء وهي حالة تواضع وذل بين يدي الله مما يقضي بأن يغض الداعي صوته متمسكناً بين يدي خلاقه ولهذا قال بعض العلماء إن من التعدي الذي نهى الله عنه في الدعاء رفع الصوت به وذلك في قوله سبحانه: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥]، وفي حديث أبي موسى الأشعري الوارد في الصحيحين أن الناس حينما رفعوا أصواتهم بالدعاء قال

لهم ﷺ: (اربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً)[1]. ومثل ذلك الصلاة حيث جاء في قوله سبحانه: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ١١٠].

ومن ذلك مجالس العلم الشرعي التي يتدارس فيها كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ويقوم فيها ورثة الأنبياء من علماء الشريعة حيث يتأكد فيها غض الصوت والتزام أدب النطق احتراماً للشريعة وتقديراً لحملتها، وقد جاء في سورة الحجرات بيان الثواب العظيم للذين يغضون أصواتهم عند رسول الله ﷺ وخطورة رفع الصوت فوق صوته ﷺ، قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۝ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الحجرات: ٢-٣].

ومما ورد الأمر بغض الصوت فيه العطاس فقد كان رسول الله ﷺ كما روى أبو هريرة ﷺ في الترمذي إذا عطس وضع يده أو ثوبه على فيه وغض بها صوته.

وأشد من العطاس في طلب خفض الصوت ما يخرجه الإنسان من أصوات مستقذرة لدى الناس كالتجشؤ ونحوه.

وعموماً فإن التكلف في رفع الصوت ومده وتمطيطه مما لا يسوغ في الأدب الإسلامي وليس من سمت المسلم في جده وتواضعه وقصده روى الترمذي عن

---

(١) رواه البخاري في «الدعوات»، ومسلم في «الذكر والدعاء» وغيرهما.

رسول الله ﷺ أنه قال: **(إن الله ﷻ يبغض البليغ من الرجال الذي يتخلل بلسانه تخلل الباقرة بلسانها)**[1].

وحينما سمع عمر بن الخطاب ﷺ أبا محذورة يتكلف في أذانه فوق المعتاد قال له مؤنباً: «لقد خشيت أن ينشق مُرَيطاؤك» والمريطاء ما بين السرة إلى العانة.

ولكن مع ما وجه إليه الإسلام من خفض الصوت وما أنكر من تكلف وفحش فيه فإن الوسطية مطلوبة سواء في الدعاء أو الصلاة مما ورد فيه ذلك؛ حيث قال سبحانه: ﴿قُلِ ٱدْعُوا ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ١١٠]، ومثل ذلك إبلاغ السلام للمسلم عليه وإبانة الكلام للمتحدث إليهم.

وفيما يتعلق بالقرآن الكريم فقد حض الرسول ﷺ على أن يحسن المسلم صوته بقراءته قال ﷺ: **(زينوا القرآن بأصواتكم)**[2] وقال أيضاً: **(ليس منا من لم يتغن بالقرآن)**[3] وكانت تعجبه بعض أصوات أصحابه بالقراءة فيثني عليهم ويستمع إليهم.

ويبقى بعد هذا ألا أغفل أنواعاً من الأصوات المحرمة التي لا يليق بالمسلم أن يمارسها ولا أن يشجعها أو يشهدها ومنها الصوتان الأحمقان اللذان ذكرهما النبي ﷺ فحذر فيما رواه الترمذي عن جابر بن عبد الله أنه عليه الصلاة

---

(١) رواه الترمذي في «الأدب»، وأبو داود في «الأدب» أيضاً، وأحمد في «المسند».

(٢) رواه أبو داود في «الصلاة»، والنسائي، وأحمد، وابن ماجه.

(٣) رواه أبو داود في «الصلاة»، وأخرجه أحمد، وابن ماجه.

والسلام قال: (**إني نهيت عن صوتين أحمقين فاجرين صوت عند مصيبة؛ خمش وجوه وشق جيوب ورنة الشيطان**)[1].

ومن المحرم في مجال الصوت أن تتغنج المرأة بصوتها في مخاطبتها للرجل الأجنبي عنها بغية الفتنة مباشرة أو مهاتفة وقد نهى الله المؤمنات عن ذلك في قوله سبحانه: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّۚ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا﴾ [الأحزاب: ٣٢].

ومن ذلك تقليد أصوات الآخرين بهدف السخرية بهم وإضحاك المستمعين عليهم وأعظم من ذلك أن ينتحل هواة تقليد الأصوات شخصيات بعض الغافلين والغافلات من المؤمنين ليقولوا باسمهم أشياء ليست صحيحة وقد لا تليق بأمثالهم.

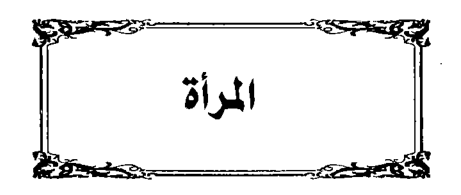
أخي المسلم حري بك لتقوم على السمت الإسلامي القويم أن تتأمل في توجيهات دينك وهدي نبيك وتبني منهما شخصيتك ومسالك حياتك والله يحفظنا جميعاً ويوفقنا.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

* * * * *

---

(١) رواه الترمذي في «الجنائز».



المرأة

الحمد لله الذي خلق الإنسان من نطفة إذا تمنى وجعل منه الزوجين الذكر والأنثى وجعل سعيهم شتى أحمده وأشكره وأثني عليه الخير واستغفره.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له العزة جميعاً وإليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه، هو الذي يحيى ويميت وهو خير الوارثين، يعلم المستقدمين والمستأخرين ثم يحشرهم يوم القيامة إنه حكيم عليم.

وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله بعثه بالهدى والنور بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، فأرشد الإنسانية التائهة، وقوَّم الحياة الفاسدة.

اللهم يا رب صل وسلم عليه وعلى آله وصحبه الكرام، وبعد:

التغيرات الحضارية في عصرنا شملت كل الأشياء، حيث أثارت في كل شأن قضية أو قضايا، لتجعله مشكلة تحتاج إلى حل يتحول به إلى أنماط جديدة. والمرأة من هذه الشؤون حيث أصبحت قضية لها مشكلاتها المتعددة التي تنشأ لها الجمعيات وتقام المؤتمرات وتثور الصراعات الصحفية والإعلامية وكل له وجهته النقدية لقضية المرأة، ومطالبه لما يراد أن تكون عليه وقد اضطربت كثير من النساء أمام هذا الاصطراع فانساق بعض مع دعوات ترفع شعار تحرر المرأة، وانجذبت أخريات دون استبصار مع مغريات العصر في الفن والتجميل والشؤون المظهرية، وتاه سوى ما سبق في بلبلة لا تتبين المرفأ السليم الذي ترسي عليه سفينتها، وإن خير ما تلوذ به المسلمة في مثل هذه الأجواء لتنقذ نفسها من أعاصير الزمن وتغيراته ولتستبين حقيقة وجودها ووظيفتها كتاب الله

وسنة رسوله ﷺ فهو منهج ربها الذي خلقها وهو الأعلم بها وبمصالحها من سواه فلنتأمل في توجيهات العليم الحكيم لنا في هذا المجال لا بد أولاً أن تعرفي – أختي المسلمة – من أنت وما قيمتك في هذا الوجود وفي هذه الحياة، وهذا ما تجدينه في كتاب ربك الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فهلا تأملتِ لتعرفي قضيتك في القرآن الكريم.

إنك كما يخبرك خالقك سبحانه أنت والرجل من أصل واحد ونفس واحدة، وإن القيمة العامة في المحاسبة والتكليف لكما واحدة فأنت كالرجل مسؤلة عن القيام بالعبودية لله والخلافة في أرضه ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ [النساء: ١٢٣ – ١٢٤].

ومع هذا فإن لك مهاماً تختلف عن الرجل بحكم اختلاف الطبيعة بينكما بوجه عام، والأصل أن الرجل طبيعته الجَلَد وتعقل الأمر والمرأة تعيش بعاطفتها وقلبها وإحساسها الرقيق، ولهذا جعل الله القوامة للرجل عليها التي من مقتضاها الكدح والإنفاق رغم أن للمرأة مثل الذي عليها بالمعروف.

ثم إن الله أمر المسلم والمسلمة كليهما أن يغضا من أبصارهما عن النظر في عوراتهما، ولكن لما كانت المرأة موضع الرقة والمتعة والتزين أمرها بالحجاب.

وقد فطر سبحانه كلا من الرجل والمرأة على الانجذاب العميق بينهما وجعل ثمرته سكوناً بينهما تتحقق به سعادة الحياة وإنجاب الولد وعمران الكون، إذا جرى هذا الانجذاب عبر المسلك الشرعي الذي ينظم ارتباط المرأة بالرجل،

واتقاءً للخروج على هذا المسلك كان الأصل هو الفصل بين الرجل والمرأة حتى لا تعميهما قوة الجاذبية إلى ما يدمر حياتهما ويفسد دينهما فأمر الله المرأة أن تقر في البيت وأن لا تختلط بالرجال الاختلاط المريب، البعيد عن الحشمة وأن لا تبدي لهم زينتها.

وهكذا ضمن الدين الإسلامي لك أيتها المرأة كرامتك ومقامك الإنساني القويم لتقومي بدورك الجليل والمؤثر في حياتك وفي حياة الرجل الذي تربينه صغيراً وترعينه كبيراً.

ولقد وعى أعداء الإسلام مقامك الكبير هذا فسعوا إلى إفسادك وتدمير شخصيتك بكل طريق وما زالوا يحاولون أن يخدعوك ويخلبوا لبك بالفتن المغرية التي تستهوي المرأة عادة من خلال وسائل الإعلام وعروض الأزياء وصور الحياة النسائية المتحررة من الفضيلة ونحو ذلك.

لتحذري أختاه أن يخدعوك عما أنزل الله إليك من هداه، أو أن تركني ولو شيئاً قليلاً إلى ما تمليه عليك تلك الاتجاهات الباغية الضالة فإن في هذا الركون الخسار والعار والبوار.

واعلمي أيتها المسلمة الكريمة أن لك في مجتمعك المسلم دوراً ضخماً في الإصلاح ونشر الفضيلة وتوجيه المجتمع كله إلى الوجهة التي يرضاها الله تعالى.

إن الله قد وهبك قدرة على الاندماج السريع مع النساء الأخريات حتى لو لم تكوني على معرفة سابقة بهن، وهذا ما يشهد به الواقع، فإنك تجدين مثلاً في غرف الانتظار في المستوصفات ونحوها سرعة عجيبة لتبادل الحديث بين النساء والتعارف خلافاً لحال الرجال وعليه فإنك تستطيعين بهذا أن تدعين إلى

الخير وتنشرين الحق بين أخواتك المسلمات بشكل متواصل يسير كما أن الله وهبك قدرة على التغلغل في أعماق الرجل والتأثير عليه ربما بدون أن يشعر أحياناً، وهذا ما يلقي عليكِ مسؤولية كبيرة في أن تسيري بزوجك خاصة ومحارمك عموماً نحو الأحسن في دينهم.

لقد استطاعت بعض الخيرات بعلم قليل ولكن بصدق كبير أن تعود بزوجها عن طريقه التيه إلى سبيل الرشاد بينما عجز عنه الرجال من إخوانه وزملائه.

وتستطيعين بما تمنحينه من حب ومتعة وأنس وسكن مريح أن تحصنيه من التردي في الفاحشة والبحث عن متع محرمة أو مشبوهة تعوضه عما يفقده.

واعلمي أيتها المسلمة أنك وزيرة الرجل التي ينبغي أن تعينه على الخير وتدله عليه وتنبهه إلى ما غفل عنه من حق، أو على ما يقع فيه من خلل.

وقد تعرفين ممن حولك من البيوت ما لا يعرفه الرجال فتذكرين زوجك أو أباك أو أخاك إلى ما يمكن أن يقدموه من خير لأولئك الضعفاء فيكون ذلك بركة على بيتكم ورصيداً أمامكم ونفعاً لإخوانكم.

وإن مما ينبغي أن أذكرك به أهمية وزن تصرفاتك بميزان الشرع فإن كثيراً من المسلمات هداهن الله يضيعن على أنفسهن فرص خير كثيرة، ويقعن في أمور كان أولى بهن التسامي عليها.

هناك من طغى على فكرها وجهدها الطبخُ بما يستهلكه من جهود وأوقات وأموال لصنوف الأكل المنوعة مما يحرمها من اغتنام الوقت في أمور تنفعها.

ومن الأخوات من حصرت اهتمامها بسماع الأشرطة أو البرامج محاضرات وقرآناً ونحوه وهذا التوجه مشكور ولا شك لكن على أن لا يطغى على أمور

أخرى قد تكون أنفع وأكثر ثواباً، كقراءة القرآن، وطلب العلم من كتبه المناسبة والقيام بشؤون زوجها وبيتها.

وينبغي أن تحفظ المسلمة نفسها عند خروجها من بيتها وأن تحذر مما يفسد عليها قربها من ربها كالتضمخ بالأطياب، أو إظهار زينتها وبعض أعضائها، روى مسلم وغيره: «أيما امرأة أصابت بخوراً فلا تشهد معنا العشاء الآخرة»[1].

وبعض المسلمات المجتهدات إذا حدث لها عارض من نفاس أو حيض، تحطمت نفسياً وانكمشت على ذاتها وأصبحت كالموظف المعزول عن عمله، وهذا ما ينبغي أن تتقيه المسلمة، فإن سبل الطاعة ليست محصورة بالصوم والصلاة فلتشغل نفسها بذكر الله ودعائه والنصيحة للمسلمين وإطعام الطعام والمنافسة في أعمال البر الكثيرة.

أسأل الله العلي العظيم، أن يرزقنا معرفة الحق والعمل به، والدعوة إليه وأن يصلح نساءنا ونساء المسلمين إنه ولي ذلك والقادر عليه وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

* * * * *

---

(١) رواه مسلم في «الصلاة»، وأبو داود في «الترجل».



الجماع

الحمد لله رب العالمين خلق الإنسان من طين، وجعل نسله من سلالة من ماء مهين، أودع فطرته نوازع المادة والروح وأنزل في كتبه على رسله ما يشبع هذه النوازع، ويغني هذه الفطرة، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، خلق فسوى، وقدر فهدى، خلق الزوجين الذكر والأنثى، من نطفة إذا تمنى، له الآخرة والأولى، وعليه النشأة الأخرى، تعالى وتقدس.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله بعثه في الأميين رسولاً منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحابته أجمعين، وبعد:

ففي الآية السابعة والثمانين بعد المائة من سورة البقرة وهي إحدى آيات الصيام يقول سبحانه ميسراً على عباده وموجهاً: لهم أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ۖ فَٱلْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ۚ وَلَا تُبَـٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَـٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَـٰجِدِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَـٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾[البقرة: ١٨٧].

في هذه الآية الكريمة توجيه من المولى الكريم لعباده المؤمنين في أمر حساس من حياتهم وهوا لصلة الجنسية بين الزوجين الذي عبر عنه بلفظة الرفث، وجاء هذا التوجيه في أمر الرفث متعلقاً بالصيام وأيامه.

وسنشير إلى توجيه الإسلام على قضية الرفث في ظرف الصوم حسب الآية الكريمة ثم نتوسع بعد ذلك في التوجيه الإسلامي العام في هذا الأمر الخطير.

المقصود بالرفث في هذه الآية هو الجماع ومقدماته ومصاحباته ونحو ذلك من متعلقات الجانب الجنسي بين الرجل والمرأة.

وقد وردت أخبار في سبب نزول هذه الآية تفيد أن الصحابة كانوا بعد فرض صيام رمضان إذا صلوا العشاء امتنعوا عن الجماع والطعام والشراب وأنهم يمتنع الواحد منهم عن ذلك إذا نام كما ورد فيما أخرجه ابن جرير عن كعب بن مالك قال: «كان الناس في رمضان إذا صام الرجل فأمسى فنام حرم عليه الطعام والشراب والنساء حتى يفطر من الغد» وأنهم تحرجوا من ذلك وحدث من بعضهم أن واقع أهله فأنزل الله هذه الآية مبيناً إباحة الجماع والطعام والشراب في جميع الليل(1).

وقد اختلف العلماء هل الامتناع عن الطعام والشراب والجماع في الليل مما شرعه الرسول ﷺ أو أن هذا فهم الصحابة رضي الله عنهم لقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٣]، حيث فهموا أن التشبيه يتناول كيفية الصوم حتى أنزل الله بيانه لهم في الكيفية الصحيحة.

هذا في ليالي رمضان أما في الصيام نهاراً فإن الجماع من المحرمات المبطلة للصوم الموجبة للكفارة العظيمة، عتق الرقبة فإن لم يجد فصيام شهرين متتابعين، فإن لم يستطع فإطعام ستين مسكيناً.

---

(١) أخرجه أبو داود في «الصيام»، قال محقق جامع الأصول (٢/ ٢٥): وإسناده حسن.

ولتفادي وقوع المسلم في هذا الإثم فإن العلماء وجهوا إلى أهمية سد الذرائع التي تنتهي إليه كالتقبيل والمداعبة لمن يخشى أن يتدرج به إلى ذلك المحظور فإن فعل شيئاً من هذا بأن قبَّل فأنزل فإن صومه يبطل لأنه خرم حرمة صومه بهذا وقد جاء في البخاري قول الله تعالى: **(يدع طعامه وشرابه وشهوته من أجلي)**[١]، ولا شيء عليه بدون الإنزال فقد ثبت أنه ﷺ يقبل وهو صائم ولكنه ﷺ كما قالت عائشة: **(أملك الناس لإربه)**[٢].

هذا بشأن الرفث في أيام الصيام ولياليه ولكن الآية زادت على بيان الحكم تأكيد الصلة الحميمية بين الرجل والمرأة التي يؤكدها الإسلام ويعظمها ويضبطها ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَٱلْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ ﴾ [البقرة: ١٨٧].

ولأن هذا التشريع من حكيم عليم بحاجة الإنسان وضعفه ومناط مصالحه فقد أنزله مناسباً هذه الطبيعة الإنسانية محققاً مصلحتها.

وقد جاءت نصوص كثيرة توجه المسلم إلى مسالك إشباع غريزته، ونوازعه الفطرية، بما تقوم به حياة الإنسان وتسعد نفسه دون كبت يؤذيها أو تدمير يقضي عليها لقد وجه الإسلام إلى الزواج ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى ٱلْيَتَـٰمَىٰ فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَـٰثَ وَرُبَـٰعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟ ﴾ [النساء: ٣].

(١) رواه البخاري في «الصوم»، والنسائي، وابن ماجة في «الصيام».

(٢) رواه البخاري في «الصوم».

وجعل الزوجية والسكن بين الزوجين والمودة والرحمة من آياته ونعمه على عباده ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الرُّوم: ٢١].

وقال سبحانه: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٣]، وقال عليه الصلاة السلام: (**وفي بضع أحدكم صدقة**)، قالوا يا رسول الله أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر قال: (**أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه وزر**)، قالوا نعم قال: (**كذلك إذا وضعها في حلال كان له أجر**)[1]. إلى غير ذلك من النصوص الكثيرة الواردة بهذا الشأن.

والصلة بين الرجل والمرأة صلة ذات حساسية وخطورة على الزوجين وعلى الأسرة والمجتمع، والمسلمون اليوم كما يعيش كل واحد منهم متأثرون كثيراً بالمدنية الغربية وهي مدنية لا تتسق في كثير من جوانبها الإنسانية مع الإسلام وخاصة في مجال العلائق بين الرجل والمرأة، حيث تدفع الناس إلى المسالك المحرمة دفعاً أو تغريهم بها أو تسهل الوصول إليها في ظل تقدم تقني وعلمي استخدمته هذه المدنية في مسيرتها المنحرفة كما في وسائل الاتصالات المختلفة مقروءة ومسموعةً ومرئية وكما في العقاقير الطبية ونحوها.

وهكذا تحولت كثير من مجتمعات المسلمين التي كانت العفة والحشمة والغيرة والوقوف عند الحدود الشرعية، سمتها وعرفها المكين؛ تحولت بتأثير رياح تلك المدنية المنحرفة، إلى عربة تسير خلف قطار هذه المدنية فاختل ذلك السمت

---

(١) رواه مسلم في «الزكاة».

الإسلامي وانتشر السفور لدى بعض بنات المسلمين، وترجلت كثير من النساء، أو طغى الجانب الجسدي فيها على حساب الجانب القيمي والروحي، وانتشرت صور من العلاقات المحرمة بين النساء والرجال الأجانب عنهن، سواء فيما قبل الزواج، كما في فترة الخطوبة بين الخطيبين، أو بين زملاء الدراسة والعمل وراج تحريم التعدد ومحاربته، وكثرت الأسفار المحرمة إلى الخارج، ومشاهدة الأفلام الداعرة التي تعرض صوراً للعلاقات المنحرفة، ومثله قراءة الكتب الجنسية السيئة، والقصص ذات الإيحاء الإباحي الفاسد، إلى غير ذلك من مسارب ذلك الخلل وصوره في حياة المسلمين في هذا الجانب الخطير.

ومن هنا ينبغي لك أخي المسلم، وأنت تسعى لرضوان ربك، وتهدف لسعادة حياتك الزوجية، ولتجنب مزالق الشيطان، أن تتأمل توجيهات الإسلام في هذه الجوانب وتجتهد في تطبيقها في نفسك وعلى أهلك وأبنائك وبناتك.

وأول خطوة لك في هذا السبيل هي تحصين نفسك بالزواج، وتحصين أولادك، فإن العزوبة والعنوسة مخاطرة عظيمة، خاصة في هذا الزمن، الذي كثرت مغرياته ومغوياته، وقد استعاذ الرسول ﷺ من شر منيه، وبين أن أكثر ما يدخل الناس النار فروجهم ولهذا خاف ﷺ على أمته من طغيان الفم والفرج وقال ﷺ: **(إن أكثر ما أخاف عليكم شهوات الغي، وبطونكم وفروجكم، ومضلات الفتن)**[1]. ولهذا أمر الله بتزويج الأيامى من الذكور

---

(١) رواه أحمد في «المسند»، والبزار والطبراني، وقال محقق جامع الأصول (١١/٧٠٩): حديث حسن.

والإنـاث ﴿ وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [النـور: ٣٢]، وبعـد هـذا لا بـد للمـسلم أن يتجنب ما استطاع عوامـل الإثـارة وأن يتقـي الوسـائل الـتي تفـضي بـه أو بأهلـه وأولاده إلى الحرام.

فيُجنِّبُ نفسَه وأهله مـواطن الاخـتلاط المـذموم، والخلـوة المحرمـة، الـتي يكـون الـشيطان فيهـا الثالـث بـين الرجـل والمـرأة، يـزين ويقـرب ثـم يلـهب ويحـرق ومـن الوسائل التي ينبغي أن يتقيها المسلم والمسلمة النظر الحرام، فإن النظر سهم مـسموم من سهام إبليس يتأدى بالإنسان إذا استرسل معه إلى نهايات مهلكة والعياذ بالله.

ويصون أهله من التبرج والـسفور وتعـاطي مثيرات الفتنـة لـدى خـروج المـرأة من بيتها فقد جاء عن النبي ﷺ: **(أيما امرأة استعطرت ثم خرجت فمرت على قوم ليجدوا ريحها فهي زانية)**[1].

ومن أكبر عوامل التدمير التي أفسدت أخلاقيات كثير من الشباب المسلم، ذكوراً وإناثاً مشاهدة الأفلام الجنسية وقراءة كتبها وقصصها المنحرفة فلا بـد مـن انتبـاه ولاة أمـور هـؤلاء الـشباب، إلى هـذه الثغـرة الـتي قـد تفجعهـم في يـوم مـا بأعراضهم وشرفهم.

والأمر لا يقف عند هـذا الحـد فيمـا جـاء بـه الإسـلام للارتقـاء بـصلة الرجـل بالمرأة وجعلها سامية إنسانية فقد وجه الرجل والمرأة كليهما إلى اتخاذ السبل التي تكفل للآخر إرضـاء نفسه بما يغنيه عن التطلع إلى ما وراء المباح لـه.

---

(١) رواه الترمـذي في «الأدب»، وأبـو داود في «الترجـل»، وهـو حـسن، جـامع الأصـول (٤/ ٧٧١).

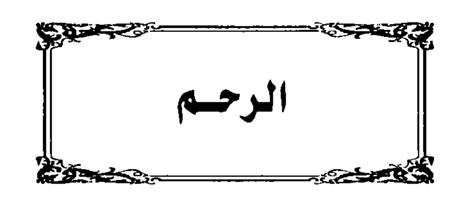
ففي الآية التي تصدرت هذا الحديث قال سبحانه: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ [البقرة: ١٨٧]، فكل منهما لباس للآخر يستره ويقيه بما يشبعه ويرضيه وبين سبحانه أن كلا من الزوجين سكن للآخر يشعر معه بالأنس والمتعة، حرم على المرأة امتناعها عن طلب الزوج إذا دعاها، وإن مما ينبغي التنبه له بين الزوجين خطأ ما يمارسه الأزواج من المبيت خارج البيت أو السهر إلى وقت متأخر مع الأصدقاء مما قد يورث الزوجة تحطماً أو انحرافاً تعوض به النقص، الذي تجده في بيتها، وكذلك خطأ تمارسه كثير من الزوجات، بأن تجعل زينتها ثياباً وذهباً ومساحيق وغيرها للآخرين ممن تزورهم أو يزورونها، أما زوجها فهو محروم من ذلك، إذ لا يراها إلا في ثيابها المبتذلة ووضعها المشين.

وينبغي أن يعي المسلمان الزوج والزوجة أن الناحية الجنسية التي أباحها الله لهما ليست غاية في ذاتها وأن الحياة الزوجية ليست متعة لذة وحسب وإن كانت المتعة اللذية لها اعتبارها بين الزوجين بلا ريب.

فليجعل الزوجان المقاصد الشرعية، عفة وحصانة وإنجاباً، هدفاً لهذا العمل المباح المشروع، وليكن لهما سعي نحو طلب ما عند الله وهذا ما توجه إليه الآية الكريمة، في قوله سبحانه: ﴿فَالْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧].

أسأل الله أن يعصمنا من مضلات الفتن، ما ظهر منها وما بطن، وأن يثبتنا على صراطه المستقيم وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

* * * * *



الرحم

الحمد لله الغني الحميد الواسع الحكيم، له ما في السماوات والأرض وكفى به وكيلاً، عنده ثواب الدنيا والآخرة، وهو السميع البصير.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له عنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين، وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار، ثم يبعثكم فيه إلى أجل مسمى، ثم إليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعملون.

وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، قضى حياته مجاهداً هادياً وصابراً في البأساء والضراء، وآثر الرفيق الأعلى عند ربه على البقاء في هذه الدنيا صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، وبعد:

فإن الإنسان يدرك في نفسه ومن خلال ما حوله، أن هناك مناسبات كالأعياد ورمضان، والمشاركة في توديع الأحبة في المقابر ونحوها لها سمات تتبخر فيما سواها من أوقات أخرى، منها التمام الشمل وتقارب النفوس، وصفاء القلوب بين الأقارب والأرحام.

ومن سمات هذه المناسبات صلاح ذات البين وعمران القلوب بحب الخير للآخرين، والسعي على المعوزين من الأقربين والجيران.

وإنها لخصال إسلامية كريمة إذا صبغت حياة الناس سعد المجتمع ورضي عنه الله وفتح عليه البركات ولكنها ضعفت في حياة كثير من المسلمين وتقهقرت من

علائقهم فإذا جاءت مثل هذه المناسبات انبعثت هذه الخصال شيئاً ما في الحياة، وتقارب الناس بعد تباعد ولانوا لبعضهم بعد تنافر وهذا ما يجعل المسلم الذي يريد الإصلاح لنفسه ولمجتمعه يأخذ من هذه المناسبات وأمثالها زاداً لما بعدها فلا يكون صلاحه مع الآخرين، محصوراً في ظلالها ثم تعود الأحقاد والإحن إلى ما كانت عليه فيكون كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً.

فتعال أخي المسلم نتأمل فيما جاءت به الشريعة المطهرة بشأن صلة المسلم بمن حوله من أقارب وجيران وإخوان ونسبر في ضوئها واقعنا عسى أن ننتفع بهذا التأمل فالذكرى تنفع المؤمنين.

إن الله تعالى بعث محمداً ﷺ ليهدي الناس إلى الصراط المستقيم في حياتهم فوضع للفرد معالم تربية تبني شخصيته بناء إسلامياً، تحقق له نجاح الدنيا وفلاح الآخرة، كما اهتم بالأسرة والمجتمع والأمة فرسم لكل دائرة من هذه الدوائر منهجاً يقيمها على الحق والعدل ويحفظها من عوادي الفساد.

هل تأملت أيها الأخ الكريم في سورة الحجرات الواقعة في الجزء السادس والعشرين من المصحف الشريف، إنك ستجد فيها أن المولى تبارك وتعالى، قد رسم في هذه السورة لعباده، قواعد تربية وتهذيب وتوجيه، في العلاقات بينهم تجعل قلوبهم نقية فيما بينهم وألسنتهم عفة عن ما يثير الإحن في صلاتهم وتصرفاتهم نظيفة مؤدبة تزيد في التقارب وتمحو كل بوادر التباعد.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحجرات: ١٢].

وقبلها قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الحجرات: ١٠ – ١١].

كما أن الرسول ﷺ بين الحقوق المتبادلة بين المؤمنين في مثل قوله ﷺ فيما رواه مسلم: **(حق المسلم على المسلم ست إذا لقيته فسلم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصحه، وإذا عطس فحمد الله فشمته، وإذا مرض فعده، وإذا مات فاتبعه)**(١) كما بين ﷺ أنه لا يؤمن الإنسان حتى يحب لأخيه المؤمن ما يحب لنفسه.

وعلى هذه التعاليم السامية الفاضلة، ربى النبي ﷺ أصحابه فكانوا نموذجاً رفيعاً للمجتمع المسلم وللإخوة المتحابين.

وقد حذر ﷺ أمته من عوامل التفريق والتناحر والتباغض وبين أن من يهدم هذا المجتمع ومن يفسد الأخوة الصافية بين المؤمنين فإنه يفسد على نفسه دينه قبل ذلك قال ﷺ: **(إياكم وسوء ذات البين، يعني العداوة والبغضاء، فإنها الحالقة، لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين)**(٢).

وبين ﷺ في المقابل أن الذي يسعى في إزالة العداوة والبغضاء بين المؤمنين يقوم بأعظم الأعمال في الإسلام قال ﷺ فيما رواه الترمذي وأبو داوود بإسناد

---

(١) رواه مسلم في «السلام»، وأبو داود في «الأدب»، وكذلك الترمذي.

(٢) رواه الترمذي في «صفة القيامة»، قال محقق جامع الأصول (٦/٦٦٨): وهو حديث صحيح.

صحيح: **(ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة، قالوا بلى قال إصلاح ذات البين، فإن فساد ذات البين هي الحالقة)**[1].

هذه هي الآداب الرفيعة والعلاقات الحميمة التي ربط الإسلام المؤمنين ببعضهم على أساسها ولكن واقعنا وواقع كثير من المسلمين اليوم قد هبط عن مستواها كثيراً مع الأسف الشديد، لقد طمست المدنية المادية التي فتن بها المسلمون كثيراً من تلك المعالم الكريمة فتشوهت الحياة الاجتماعية وانحلت كثير من العرى الوثيقة حينما انطفأت عواطف الحب والإيمان التي كانت تغذي حركة التعامل بين الأقارب والجيران والمعارف وعموم المؤمنين، فيرعون الحقوق ويسارعون إلى القيام بها، ولك أن تنظر في العلاقات العائلية بين الإخوة والأرحام والأصهار، فإنك سترى أمراً مقيتاً، ستجد أن الذي يسود العائلة – إما لجهلها أو لافتتانها بالدنيا أو لاستسلامها للأهواء هو سوء الظن المتبادل بين الإخوان وبني الأعمام، وسلق بعضهم بعضاً بألسنة حدادٍ، وفوران الصدور بالحزازات والحقد، تجد أن الواحد يجلس إلى أصدقاء السوء، ليوغروا صدره على قريبه ويفسدوا ما بينهما فيستسلم لأحابيلهم، وتجد أن عرضاً من الدنيا تافهاً يكون سبباً للمشكلات والشحناء التي لا تنتهي، بل تُورَّث الأبناء فينشأون على بغض ذويهم وكيل التهم لهم، ولا ريب أنه بإزاء هذه الصورة القاتمة صورة أخرى لعلاقات طيبة، وأعمال محمودة وتعاون على البر والتقوى.

---

(١) رواه أبو داود في «الأدب»، والترمذي في «صفة القيامة»، قال محقق جامع الأصول (٦٦٩/٦): صحيح.

ولكني أذكر نفسي أولاً وإخواني المسلمين إلى أن تلك الحال المزرية لا ترضي الله وأنها سبب لمقته سبحانه وسبب لشقاء هذه الحياة، التي يعيش فيها الإنسان مشحوناً بالحقد، متوتر الأعصاب بل كيف يرضى إنسان لأبنائه أن يتعاملوا بتلك الصورة التي يعامل بها إخوانه.

ينبغي أن يتذكر المسلم دائماً العقوبة العظيمة، التي توعد الله بها قاطعي الأرحام روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ قال، قال رسول الله ﷺ: **«إن الله تعالى خلق الخلق، حتى إذا فرغ قامت الرحم فقالت هذا مقام العائذ بك من القطيعة، قال نعم أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك قالت بلى، قال فذاك لك)**، ثم قال رسول الله ﷺ: **اقرؤوا إن شئتم: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ﴾** [محمد: ٢٢ – ٢٣][1].

وكان ابن مسعود ﷺ إذا أراد أن يدعو ربه في مجلس قال إن كان فينا قاطع رحم فليقم حتى لا يرد دعاؤنا، فإن السماء مُرْتجة يعني مقفلة دون قاطع الرحم.

فهل يرضى لنفسه عاقل بله مسلم هذه الحال.

فلنبادر إلى التراضي ودفن الإحن والعداوات والتوبة عن سوء الظن والسباب، والإصلاح والعفو عمن سلف منه إساءة إلينا فمن عفى وأصلح فأجره على الله، والذين يدرؤون بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار.

ولا تحقرن أيها الأخ الكريم شيئاً مهما قل، ونوع صلتك لرحمك، بحسب الأشخاص والأوضاع بالسلام والكلام والزيارة والهدية والدعوة والتهنئة

---

(١) رواه البخاري في «التوحيد»، ومسلم في «البر».

بالنعمة والتعزية عند المصيبة ومساعدة المدين المعسر في سداد شيء من دينه أو السعي له في سداده وبذلك الجاه لهم وقضاء الحاجات والتلطف في التعامل مع الأولاد والأهل ونحو ذلك من فضائل الأعمال وصنائع المعروف التي تصفي القلوب وتزرع فيها الألفة والأنس وتمحو السيئات وترضي مولاك وخالقك.

وفق الله الجميع لما يحبه ويرضاه.

* * * * *



المستضعفون والعمال

الحمد لله الذي خلق الإنسان من صلصال من حمأ مسنون، والجان خلقه قبل الإنسان من نار السموم، أحمده تعالى وأشكره.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يهدي بفضله من يشاء ويضل بعدله من يشاء، لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع ولا راد لما قضى ولا ينفع ذا الجد منه الجد.

وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله بعثه الله بالحنيفية السمحة الواضحة ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك.

صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن منهج الإسلام منهج حب وألفة ورحمة وتعاون على الخير بين الناس منهج الإسلام يبني علاقات الإنسان بالآخرين على صفاء القلوب وحسن الطوية لهم، وحب الخير لهم، والتطهر من آفات الحقد والحسد والأنانية والتكبر والطغيان.

أيها الأخ الفاضل:

هل تتصور أنك غير مسئول إلا عن نفسك ووالديك وأهلك دون من سواهم، كلا أيها المسلم.

إن مقامك في هذه الأرض مقام خلافة فيها ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠]، والخليفة مسئول عن رعاية ما

استخلف عليه وفق المنهج الذي رسمه له من استخلفه وسيحاسبك خالقك الذي استخلفك على عملك، هل قمت فيه بالعدل والتزمت فيه بالحق أو لا ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [يونس: ١٤].

ثم إن الله جل وعلا قد جعلك أيها المسلم شهيداً بما معك من إسلام صحيح، ضمن الأمة الشهيدة على الناس، سواء كان هؤلاء الناس من الكفار الذين يحتاجون إلى دعوتهم إلى الإسلام أساساً أو كانوا من المسلمين الشاردين عن منهج الله المحتاجين إلى ردهم إلى الحق وإقامتهم على صراطه. ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٤٣].

هذا هو مقامك الذي تنفرد أيها المسلم به على هذه الأرض فقد امتن مولاك عليك بإنسانيتك القويمة وبالدين الصحيح الذي استطعت به أن تكون موصولاً بخالقك مستضيئاً بنوره، وحملك بناءً على ذلك أمانة عظيمة ناءت بحملها السماوات والأرض والجبال، فأبين أن يحملنها وأشفقن منها، وهي أمانة القيام لله بمنهجه والقوامة على البشرية كلها، فاطرها على الحق، ودعوتها إلى الصراط المستقيم وإخراجها بإذن الله من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ورفع الظلم عنها.

ولعلك تقول ما لي وأنا فرد بين ملايين ولهذا الحمل الثقيل، هذا أمر يتعلق بالأمة بمجموعها، أما أنا فحسبي نفسي، وأنى لي هذه الطموحات الحضارية الكبرى.

هذا المنطق يا أخي منطق التخاذل الذي جر الأمة المسلمة إلى التدحرج في دركات الهوان وإلى انعدام الفاعلية في عصر طبيعته الحركة السريعة المتلاحقة وهو منطق خاطئ مخالف للإسلام.

لأن دين الإسلام هو خطاب من الله موجه إلى الأفراد ليقوم كل فرد بأمانته التي حملها والتي ستكون مسؤوليته غداً أمام الله عنها فردية ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المدثر: ٣٨]، ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ﴾ [النجم: ٣٩ – ٤١]. ﴿وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا﴾ [مريم: ٩٥]، إلى غير ذلك من الآيات.

والخطاب الذي يتوجه إلى الأمة كله إنما يتوجه إليها من خلال أفرادها لأن المطلوبات الشرعية إما أن تكون عينية مطلوبة من كل إنسان بشخصه كالصلاة والصيام والحج وترك المنكرات ونحوها، وإما أن تكون مطلوبات كفائية وهذه هي التي يخطئ فيها كثير من المسلمين.

يقول هؤلاء مثلاً الدعوة إلى الله فرض كفاية إذا قام بها البعض سقط الإثم عن الباقين ويرتبون على هذا الحكم النظري أنهم تلقائياً ممن سقط عنهم الإثم فهم ينتظرون غيرهم ليسقط عنهم الإثم بل إنهم لا يبالون إذا قام أحد بها أو لم يقم، حتى صار سمتهم التواكل والقعود مع القاعدين للأسف.

والصحيح أن فرض الكفاية يعني أن الأمر يتوجه إلى جميع المؤهلين للقيام به فعليهم أن يبادروا جميعاً إليه كأن يحدث منكر مثلاً فالواجب أن يهب كل قادر إلى إنكاره أو نهي مقترفيه فإذا سبق بعضهم وأزالوا هذا المنكر كان ذلك عذراً للآخرين وإن كان قد فاتهم شرف المبادرة وثواب السابقين.

ومنطق التنصل من المسؤولية تجاه الآخرين أيها الإخوة الكرام بحجة أن الجهود الفردية لا وزن لها في عالم اليوم خاطئ أيضاً بدليل أننا نشاهد جهود الأفراد تفعل الكثير ويكون لها مردودات إيجابية كثيرة.

وخذوا – مثلاً – جانبين من الجوانب المهمة في واقعنا والتي تؤدي الجهود الفردية إذا اتسقت إلى نتائج كبيرة مشكورة ومأجورة بإذن الله.

الجانب الأول هم المستضعفون من المسلمين الذين يعيشون في أرجاء الأرض محناً منهكة، كوارث كونية من الزلازل والفيضانات والجفاف، ومكائد شريرة من أعدائها الكفار والمنافقين تقتيلاً وتشريداً ومحاربة للدين وسعياً إلى مسخ عقول الناشئة وتغريبهم.

كما أن هذه الأمة تعيش جهلاً بدينها رغم رغبتها في معرفته وتقع تحت سطوة لا ترحم من الكيد الماكر الذي يريد أن يحرفها عن دينها بالتغريب والتنصير والتأثيرات الثقافية الخبيثة وهم لهذا بأمس الحاجة إلى مد يد العون إليهم، وتقدير ما يحفظون به حياتهم من الهلاك أو أجسامهم من العري وبطونهم من الجوع، وبحاجة أمس إلى من يهديهم سواء السبيل، بتعريفهم بدينهم الصحيح وتصحيح عقائدهم من الشرك والفساد والضلال.

وهذه المطالب الملحة لهؤلاء البؤساء باستطاعة أي مسلم قادر مادياً أن يسهم فيها وينفع إخوانه وينشر دين الله حينما يقدم ما تستطيع نفسه أن تجود به مهما قل من نفقات مادية أو عينية فتتولى الهيئات الموثوقة نيابة عنه إيصالها إلى مستحقيها وتوظيفها فيما ينفعهم شراءً للكتب وبناء للمساجد وتكليفاً للدعاة حيث يعود ثوابها إليه بإذن الله.

أما الجانب الثاني فيتعلق بالعمالة الوافدة خدماً أو موظفين أو غيرهم، بعضهم غير مسلم أصلاً وبعض آخر قد يكون مسلماً بالهوية ولكنه يجهل حقيقة إسلامه ومن ثم لا يلتزم به إلا في قليل من كثير ولهؤلاء حق في أعناقنا سواء كنا ممن باشر استقدامهم أو كنا ممن يعيشون حوله، وحقهم هو أن نبلغهم دعوة الله ونأخذهم إلى سبيل النجاة من النار «فلأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم»[1].

وأمر الدعوة لمثل هؤلاء ميسر بحمد الله لكل أحد، إما بالدعوة المباشرة بما يعرفه من الدين، فقد قال الرسول ﷺ: **(بلغوا عني ولو آية)**[2] أو بالوسائل المعينة من أشرطة أو كتب تبين الإسلام بلغات أولئك الناس أو بالذهاب بهم إلى مكاتب توعية الجاليات التي تقوم بهذه المهمة.

أما أن يهملهم أو يغرقهم في أعماله أو يحول بينهم وبين الإسلام أو قراءة وسماع ما يعينهم على فهم الدين كما يفعل بعض الكفلاء الجاهلين خشية من ضياع وقتهم في إعلان الإسلام أو حضور محاضرة عنه ونحو ذلك.

من يفعل هذا آثم عند الله تارك لأحد واجبات الإسلام وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بل إنه من الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً، أولئك في ضلال بعيد.

فهل عسيت أيها المسلم، بسبب حبك الدنيا أن تكون ممن يقود الناس إلى النار وأنت لا تعي، أجل فلعل مكفولك الذي استقدمته كان منقطعاً في بلاده لم يسمع بالإسلام ولا بمحمد فيكون في عداد أهل الفترة فجئت به لتقوم عليه

---

(١) رواه البخاري في «فضائل أصحاب النبي ﷺ»، ومسلم في «فضائل الصحابة».

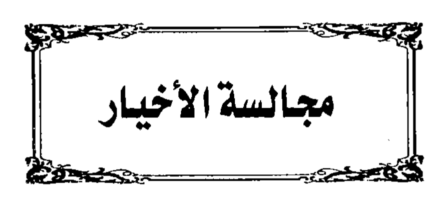
(٢) رواه البخاري في «الأنبياء»، والترمذي في «العلم».

الحجة بما يسمع ويشاهد في أمتنا الإسلامية، جاء في صحيح مسلم عن رسول الله ﷺ قال: **(والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بما أرسلت به إلا أدخله الله النار)**[1].

فلنتق الله أيها الإخوة تجاه الناس من الأقارب والأباعد، ولا يحقرن امرؤ نفسه وليقدم ما في استطاعته من علم ومال، ووقت وجاه فإنه إليها أحوج ما يكون غداً يوم القيامة.

* * * * *

(١) رواه مسلم في «كتاب الإيمان».



مجالسة الأخيار

الحمد لله العلي العليم تمت كلمته صدقاً وعدلاً لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم هو سبحانه أعلم بمن يضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له فالق الإصباح وجعل الليل سكناً، والشمس والقمر حسباناً، ذلك تقدير العزيز العليم، أنشأ الناس من نفس واحدة، فمستقر ومستودع وفصل لهم الآيات لعلهم يفقهون.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله نشر دينه وقاد خلقه إليه وهبه ربه المكرمات الكبرى فجعله سيد ولد آدم وجعل أمته خير أمة أخرجت للناس بإيمانها بالله ودعوتها إليه ﷺ وعلى آله وصحبه، وبعد:

فإن من آثار التدين بالإسلام على المسلمين وما يعيشونه من جو العبادات المشتركة وحلاوة الطاعة أن يتقاربوا وتتآلف قلوبهم ويجتمعوا في لقاءات إيمانية في المساجد والبيوت أو غيرها وأن تغمر مجالسهم الأمور النافعة فتكون هذه المجالس تعاوناً على البر والتقوى في أمور الصدقة والصيام والتفقه في الدين، بعيدة عن الفحش ومنكرات مجالس الغافلين.

ويشعر المسلم الذي يحظى بمجالسة الأخيار أنه لا يعود منها إلا بفائدة في أمر دينه علماً أو سلوكاً إن ألفة القلوب واجتماع النفوس نعمة من نعم الله على عباده وهي صورة من الصور التي تعكس حقيقة الإيمان في نفوس المسلمين لأن من سمات أهل الضلال والمنابذين لأمر الله التنازع والبأس الشديد فيما بينهم، ولهذا امتن الله على عباده بذلك ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ

عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وقال سبحانه: ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٦٣].

كما أن سلامة صدر المسلم على إخوانه المسلمين وترك التكبر عليهم ومن ثم السعي إلى مجالسة الأخيار منهم ليفيد ويستفيد سبيلٌ من سبل الإسلام التي يدعو إليها رفعاً للدين وتعاوناً على الخير ولهذا أمر الله رسوله بذلك ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾ [الكهف: ٢٨]. وقال سبحانه آمراً عباده: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَكُونُوا مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [التوبة: ١١٩].

وحث ﷺ على مجالسة الصالحين مبيناً آثارها الحميدة على الشخص في قوله ﷺ: «مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه وإما أن تجد منه ريحاً طيبة ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحاً خبيثة»[١].

وإذا كان الإنسان بطبعه ميالاً إلى الأنس ببعض من حوله واصطفائهم على الآخرين، مما يجعله يأوى إلى صحبة يأنس بها ويفضي إليها ويأخذ منها فإن الإسلام يوجهه الوجهة السليمة التي تجعل صحبته هذه نافعة له في دنياه وأخراه فأمره بالالتفاف على الأخيار وملازمة الصالحين ليتعلم

---

(١) رواه البخاري في «البيوع»، ومسلم في «البر».

منهم ما يجهله مما يعنيه، وليحيا قلبه ويزداد إيمانه فإن الانشغال بالدنيا وكثرة مجالس اللهو تضعف الإيمان وتورث القساوة في القلوب ولهذا كان الصحابة والسلف من بعدهم يتنادون فيما بينهم «تعالوا نزدد إيماناً» وما ذاك إلا أن يجلسوا مع بعضهم يتذاكرون وقال ابن الحواري الدمشقي «إذا رأيت من قلبك قسوة فجالس الذاكرين» وكان ميمون ابن مهران يذهب إلى الحسن البصري ويقول: «إني آنست من قلبي قسوة فجئت استلينه عندك».

وبصحبة الصالحين يعرف عيوبه أكثر مما لو كان عنهم بعيداً إما بمقارنته نفسه بهم ومعرفة نقصه أوبما يجده منهم من نصح وإرشاد.

ومن أعظم ثمرات صحبة الأخيار أن تشمله رحمة الله إياهم وإن كان دونهم بالعلم والفضل فقد ورد أن الله يقول لملائكته عن أهل مجالس الذكر أشهدكم أني قد غفرت لهم وتقول الملائكة إن فيهم عبدك الخطاء فلان جاء لحاجة فيقول سبحانه هم القوم لا يشقى بهم جليسهم، هذا فضلاً عن دعائهم له في غيبته وبعد موته حين يظل الأقربون إليه مشغولين بتوزيع ثروته فيما بينهم، وعن ما يكسبه من الأجر في جلوسه معهم لأن مجرد الجلوس مع الصالحين إذا صحت النية للمسلم فيه ثواب حتى ولو لم يستطع معاطاتهم من العلم ما يتعاطون.

لقد كان التواصي بمجالسة الصالحين والحرص عليها ديدن السلف الصالح من أمتنا في عصور كانت الاجواء فيها عامرة بالخير صحية النسمات فكيف يكون الشأن في عصرنا هذا؛ إن المسلم اليوم في عصر تتقاذف مؤثراته الفاسدة على المسلم وتحيط به من كل جانب، تحاول أن تصدّه عن دينه وأن تفتنه عن صلته بخالقه وتغويه في أودية الانحراف الثقافية والمادية والشهوانية ولا ريب أن مخرجه

من هذه الفتن هو اعتصامه بكتاب ربه وبسنة رسول الله ﷺ ففيهما الحق الذي إذا استمسك به المسلم تساقطت سهام الباطل دون أن تصيبه، ولكن شعور المسلم بالوحشة وبالغربة إذا سلك الطريق منفرداً قد يصيبه بالإحباط والضعف أو تختلط عليه الأشياء فتظلم الدنيا في عينيه، لذا كان لجوء المسلم في هذه العصر وفي مواجهة هذه الفتن إلى مجالسة الصالحين ومصادقة الأخيار وصحبة ذوي المسلك القويم، ضرورة لسلامة سيره وعامل حصانة له من الضياع بإذن الله.

فلتكن واعياً أيها المسلم هذه المسألة، واحذر أن تبقى في دوائر التائهين، أو أن تعيش شاذاً عمن حولك من إخوانك المسلمين فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية، ويجد الشيطان في المنفرد غنيمته، فابحث عن الصالحين وتقرب إلى الله بمجالستهم واستفد من فضل الله عليهم وينبغي على كل مسلم أن يسعى لما يحقق الفائدة في مجالس إخوانه التي يحضرها حتى تكون نافعة له ولهم في أمور دينهم ودنياهم.

وأول ما يبدأ به المسلم هو اختيار النوعيات الخيرة التقية ذات الفقه في الدين، قال الحسن البصري رحمه الله: «إن لك من خليلك نصيباً ولك نصيباً من ذكر من أحببت، فتنقوا الإخوان والأصحاب والمجالس».

ثم لا بد أن يلحظ أهل هذه المجالس أن تكون مجالسهم عامرة بذكر الله، متعاهدة استحضار الآخرة ومسؤولية الإنسان فيها فإن المسلم اليوم أحوج ما يكون إلى من يبعث فيه الشعور بما أمامه مما تكرس هذه الحياة التي نعيشها نسيانه والغفلة عنه قال أحد الصالحين «إخواننا أحب إلينا من أهلينا وأولادنا لأن أهلنا يذكروننا بالدنيا وإخواننا يذكروننا بالآخرة».

وإن مما يؤسف له أن مجالس كثير من الصالحين بل ومن الدعاة والمنتسبين للعلم أصبحت في كثير من أحيانها مجالس شغل للوقت وقتل للفراغ بما لا ينفع في دين ولا دنيا إن لم تصل إلى اللهو واللغو المحرم، فأولى لمثل هؤلاء أن يدرؤوا عن مجالسهم هذه السمة المشينة وليس المراد أن تصبح جميع الجلسات قراءة علم ومباحثة وجداً متواصلاً – كلا فهذا ما لا يقبل الناس به؛ ولو حدث أن طغى الجد على بعض هذه المجالس لاضطر أفرادها أن يتسللوا لواذاً باحثين عن مجالس أنس وترفيه سواها.

ومن ثم فإن المطلوب هو التسديد والمقاربة، وأن تكون هذه المجالس في جملتها سائقة الإنسان إلى مراضي الله معينة له على أمور دينه.

ولا بد أن يعي المسلم أن جلوسه مع مجموعة من الأخيار، وتواضعه لهم وصدقه في حبهم ونصيحته لهم وألفته إياهم، لا يعني أن إخوانه الآخرين من المسلمين لا حق لهم في ذلك فينزوي عنهم ولا يكترث بشأنهم وقد يتعامل معهم بشيء من الجفاف وعدم الارتياح كما يحدث من بعض الناس مع من ليسوا من أصفيائهم ومجالسيهم.

إن حقوق المسلمين على المسلم قائمة سواء كانوا من أصحابه أو من غيرهم بأن يكون ذليلاً عليهم ألوفاً لهم ناصحاً محبا لهم الخير كما يحبه لنفسه، غير مستكبر ولا متعال عليهم ولا مسيئاً الظن بهم ولا سيء الطوية تجاههم.

المسلم الذي يطلب سلامة دينه يتوقى مجالس الأشرار والمستهترين فإن مجالستهم تميت القلوب وتهون الانحراف عن منهج الدين ولا يسلم حاضرها

من ثلم لدينه أو هدم لشرفه كما أخبر الرسول ﷺ عن نافخ الكير الذي شبه به جليس السوء، مع أن المسلم حري به أن يتصل بالناس داعياً إياهم إلى الخير آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر أي تكون صلته بهم صلة تأثير ونفع لهم ما استطاع.

وفقنا الله لما يحبه ويرضاه وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

* * * * *



مجالس العلم والعلماء

الحمد لله والصلاة والسلام على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه، وبعد:

المجالسة المقصودة هنا لا تعني مفهومها العام وإنما تختص بالمفهوم الرائج في دائرة طلاب المعارف الشرعية وتعني مجالسة علماء الشريعة والاستمداد منهم والدراسة عليهم.

وقد كانت مجالس العلماء وحلقات علمهم في العصور الإسلامية الغابرة وسيلة تعلم العلوم الشرعية وغيرها كما أنها وسيلة التثقيف العام لسائر الناس فيما يحتاجون إليه من أمور عباداتهم ومعاملاتهم.

ولكن الوضع تغير في عصرنا الحديث حيث جدت أساليب في التعليم المدرسي من جهة ومن جهة أخرى استطاعت وسائل الإعلام المتنوعة صحافة وإذاعة وتلفزة وغيرها أن تشارك في تثقيف الناس وإشغال جزء كبير من أوقاتهم خاصة أوقات الفراغ.

فضلاً عن هذا فإن تيسير الكتب في فنون العلوم لكل راغب فتح المجال لمنهج القراءة الحرة والجهود الذاتية التي لا يكون فيها للمتعلم أستاذ إلا كتابه.

ووراء هذا كله طبيعة العصر وإيقاعاته السريعة التي جعلت حياة الناس لهثاً متواصلاً في أعمال وحاجات وهموم لا تنتهي.

كل هذه العوامل أدت إلى تراجع في أفواج المتجهين إلى مجالس العلم في المساجد والبيوت فهل يا ترى انتهى دورها ولم تعد تستحق متابعتها وتخصيص الأوقات لها.

هل هي وسيلة عرفية للتعليم تجاوزها الزمن إلى غيرها؟.

إن الإجابة على ذلك تنجلي من خلال نقاط ثلاث:

الأولى: أن هناك نصوصاً كثيرة وردت بشأن حلق الذكر ومجالس العلم تحض المسلم على الالتحام مع الصالحين من الدعاة والعلماء حضوراً لمجالسهم ومشاركة لهم في العلم وتحذر من العزوف عن ذلك بالانصراف عن مجالس العلم ولقاءات الذكر والتذاكر حيث جعل ذلك نوعاً من الانصراف عن الله والرغبة عما عنده وعلامة على أن شاغله عن ذلك متاع رخيص.

يقول تعالى لرسوله محمد ﷺ: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا﴾ [الكهف: ٢٨].

وجاء في البخاري عن أبي واقد الليثي أن رسول الله ﷺ كان جالساً في المسجد يعلم الناس وهم حوله إذ أقبل ثلاثة نفر فأقبل اثنان إلى رسول الله ﷺ وذهب واحد قال فوقفا على رسول الله ﷺ فأما أحدهما فرأى فرجة في الحلقة فجلس فيها وأما الآخر فجلس خلفهم وأما الثالث فأدبر ذاهباً فلما فرغ رسول الله ﷺ قال: **(ألا أخبركم عن النفر الثلاثة أما أحدهما فآوى إلى الله فآواه الله وأما الآخر فاستحيا فاستحى الله منه وأما الآخر فأعرض فأعرض الله عنه)**(١).

وحض على الجلوس في تلك المجالس في قوله ﷺ: «إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا»(٢) فالمجالسة في هذه المجالس نوع من العبادة المشتركة التي وجه إليها الشرع الشريف لا تلغيها متغيرات الزمان.

(١) رواه البخاري في «العلم»، ومسلم في «السلام».

(٢) الترمذي في «الدعوات»، قال محقق جامع الأصول (٤/٤٧٨): وهو حسن بطرقه وشواهده.

النقطة الثانية: أن علماء الأمة الصادقين قد تعاهدوا هذه المجالس ولم يرضوا الانقطاع إلى الكتب بديلاً عنها بل حذروا من الاعتماد عليها وحدها حتى مع شيوع الكتب وقالوا كان العلم في صدور الرجال، ثم صار في الكتب، ولكن مفاتيحه بأيدي العلماء، وإذا كان إرث النبوة الشريفة علماً فإن وارثيه هم العلماء الصادقون فمن أراد نصيباً من ذلك الإرث فليأت مجالسهم وليغش حلقاتهم قال سهل بن عبد الله: «من أراد النظر في مجالس الأنبياء فليأت مجالس العلماء لأن العلماء خلفاء الرسل في أممهم ووارثوهم في علمهم فمجالسهم مجالس خلافة النبوة».

أما النقطة الأخيرة فهي أننا في عصر متفجر في أحداثه وفي معارفه وهي أحداث ومعارف تمسنا معشر المسلمين في حياتنا الدينية والدنيوية مساً يهز الوجدان ويستدعي مواقف ورؤى متجددة عمادها علم الشريعة ورعاية المصلحة وليس من السهل على من قرأ كتاباً أو كتباً في الشريعة ورعاية المصلحة أو سمع مجموعة من الأشرطة أن يملك الموقف الصحيح ويستطيع أن يفتي من خلال قراءته الحرة.

فلا بد والأمر على هذا النحو من الركون إلى الراسخين في العلم من العلماء حيث الحكمة مع العلم، والتجربة مع الفقه في النظر إلى الأمور وفي إصدار الفتاوى وفي تحري المصلحة، ومُجالس العلماء لا ريب أنه أول من يستفيد من هذا التفاعل بين العلماء بما يحملونه من فقه الشريعة وواقع الحياة المتجددة.

وهكذا بحضوره المتكرر لمجالس العلم بما فيها من تقريرات علمية وفتاوى واقعية وبمشاركته بالسؤال والمناقشة يكتسب اتزاناً في الرأي والمواقف وإدراكاً لأبعاد المنهج الذي يسلكه العلماء في التعامل مع القضايا.

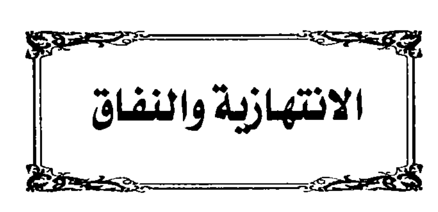
ومجالس العلم اليوم تنتشر بحمد الله في بلادنا في المساجد والبيوت يقوم عليها أكفاء من العلماء الراسخين في تخصصاتهم، ويستفيد منها جم من الشباب الراغب في العلم والمعرفة.

ومن الخير أن تكثف هذه الدروس والمجالس وأن يتم توزيعها على الحارات والمدن بحيث تكون متيسرة للراغبين في كل مكان.

كما أن من الخير لهذه المجالس أن تحتفظ بسمتها الموروث عن سلف الأمة من حيث كونها مجالس علم وأدب يكتسب منها طالب العلم الخلق الزاكي كما يكتسب المعرفة العلمية وقد كان السلف يرعون طلابهم خشية أن تصيبهم آفات أهل المعارف الدنيوية كالغرور بما ينالون من علم ومجاراة السفهاء وتحويلهم العلم إلى جدل كلامي لا ثمرة له ذكر ابن القيم في مفتاح دار السعادة أنه مما روي عن لقمان قوله لابنه: «يا بني لا تتعلم العلم لتباهي به العلماء وتماري به السفهاء وترائي به في المجالس».

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

* * * * *



الانتهازية والنفاق

الحمد والصلاة والسلام على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه، أما بعد:

فالنفاق مرض نفسي خبيث إذا توطن قلب إنسان أفسده فساداً يصعب برؤه منه، وهو جريمة لضخامتها يندر أن يعتذر عنها أصحابها.

والمنافق أخطر على الإسلام والأمة من الكافر الصريح الذي يعلن عداوته من الخارج، ويتعامل معه الناس بوضوح.

ولفظاعة هذه الجريمة في دين الإسلام كانت عاقبته من أشد العقوبات وأنكئها يوم القيامة، وهي تعذيب صاحبه في قعر جهنم تحت الكفار والمشركين ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [النساء: ١٤٥].

ولخطورة موقعهم وكيدهم في المجتمع المسلم جاءت آيات كثيرة تكشف صوراً من ممارساتهم وخصائصهم النفسية ومواقفهم الاجتماعية:

* فهم على الرغم من كفرهم وانحراف أفكارهم وضلال فلسفاتهم وإرادتهم بالأمة الشر إلا أنهم يزعمون تمويهاً على الناس أنهم مؤمنون ويسعون للإصلاح وحب الوطن ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٨]، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ [البقرة: ١١].

* وإذا انتقد خروجهم على منهج الله وتجاوز سبيل المؤمنين، وإذا قيل لهم لماذا تخرجون على ما يدعوا إليه المصلحون ودعاة الإسلام ثارت ثائرتهم

وصاروا يتهمونهم بأنهم سذج وسفهاء ويتنقصونهم ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٣].

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ ۝ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴾ [المطّففين: ٢٩ - ٣٠].

* وهم يحبون أن تشيع الفاحشة في المجتمع المسلم حيث يسهمون في هدم عفة المرأة وفي ترويج التحلل الخلقي والفساد الجنسي بمقارفته مباشرة أو بترويجه بالحديث والكتابة والأدب والفن.

* إنهم على الرغم من فقدانهم الارتكان على حقائق سليمة ومواقف صحيحة إلا أنهم يتخذون الأدب وصناعة الكلام من أجل التمويه وتغطية نفاقهم والتلبيس على الناس وبالذات على القيادات ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [المنافقون: ٤].

* من سمتهم القلق المتواصل والانسحاب من المسرح عند أدنى هزة نتيجة خوفهم من تعرية حقائقهم العفنة وافتضاحهم ومن ثم سقوطهم إذا انكشفت سوءاتهم ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [المنافقون: ٤].

* عند الأزمات ينكشف نفاقهم فيلوذون بأعداء الأمة، ويدعون غيرهم إلى الاستسلام لهؤلاء الأعداء والتحبب إليهم باسم المصالح والمحافظة على الذات ونحوها ﴿ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ

فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴾ [المائدة: ٥٢]، السمات والخصائص التي كما قلت تعبر عن مرض في القلب وفساد في الدين، وانمحاء للإنسانية.

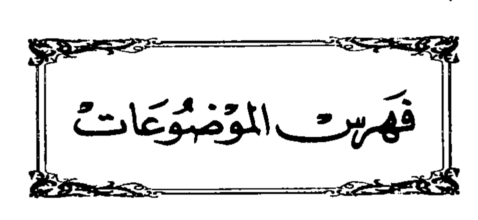
إن النكبات الكبرى للأمم لا يمكن أن تحدث عبر القوة الخارجية المهاجمة وحدها؛ إن المنافقين «العملاء» الذين يهيئون لهذا العدو أرضية الهزيمة هم السبب الأول في كل النكبات، والعدو الواعي يدرك ذلك، ولهذا يهيئ من العملاء المنافقين الانتهازيين من يكون له رأس الحربة أو كاسحة الألغام في هجومه سواء من المفكرين أو المثقفين أو من السياسيين أو العسكريين وشواهد الواقع قاطعة في هذا المجال.

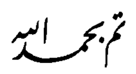
وإذا كان لكل ألوان النفاق مخاطرها وشؤمها على الوطن والأمة والدين فإن من أسوأها الانتهازية ونفاق المثقفين والمفكرين الذين يتزيون بزي المصلحين والوطنيين بل أحيناً بزي الدعاة الدينيين وهم يمارسون تضليل الأمة وطمس وعيها، وتتويه فكرها دون رؤية واضحة أو مواقف سليمة كل ذلك خدمة لمؤجريهم من أعداء الأمة، وتمادياً مع أمراض نفوسهم التي تشعرهم بوضاعتهم وذلهم وحقارتهم في المجتمع فيزدادون بعداً عن قومهم وحقداً عليهم وارتماءاً في أحضان أعداء أمتهم، إن إنساناً لا دين له ولا هوية تحدد قيمة وجوده قد يُفهم التجاؤه إلى العمالة لمكاسب مادية أو مطامع سياسية؛ لكونه لا يفقد بها شيئاً كبيراً، لكن الذي لا يمكن هضمه عقلاً أن يقع مسلم له دينه وهويته وأمته المحتاجة لجهده ووطنه الذي ترعرع في كنفه — أن يقع — فريسة لإغراء مادي أو تلاعب شلة مخترقة فيضحي بكل هذه العناصر ليتحول انتهازياً

منافقاً في وطنه وعلى حساب دينه وأمته والعياذ بالله. لقد كشفت وثائق مخابرات بعض الدول الكبرى في الآونة الأخيرة عمالة مدارس فكرية ومجلات ومفكرين لخدمة أهدافها على حساب أمتهم وأوطانهم، وإنها لفجيعة كبرى أن ينكشف الستار عن رمز من الرموز الفكرية أو الوطنية فإذا هو عميل يقوم بدور موكول إليه من خارج ذاته.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

* * * * *


فهرس الموضوعات


تم بحمد الله

* * * * *